منشورات المركز الدولي لخدمة اللغة العربية بمراكش - 1

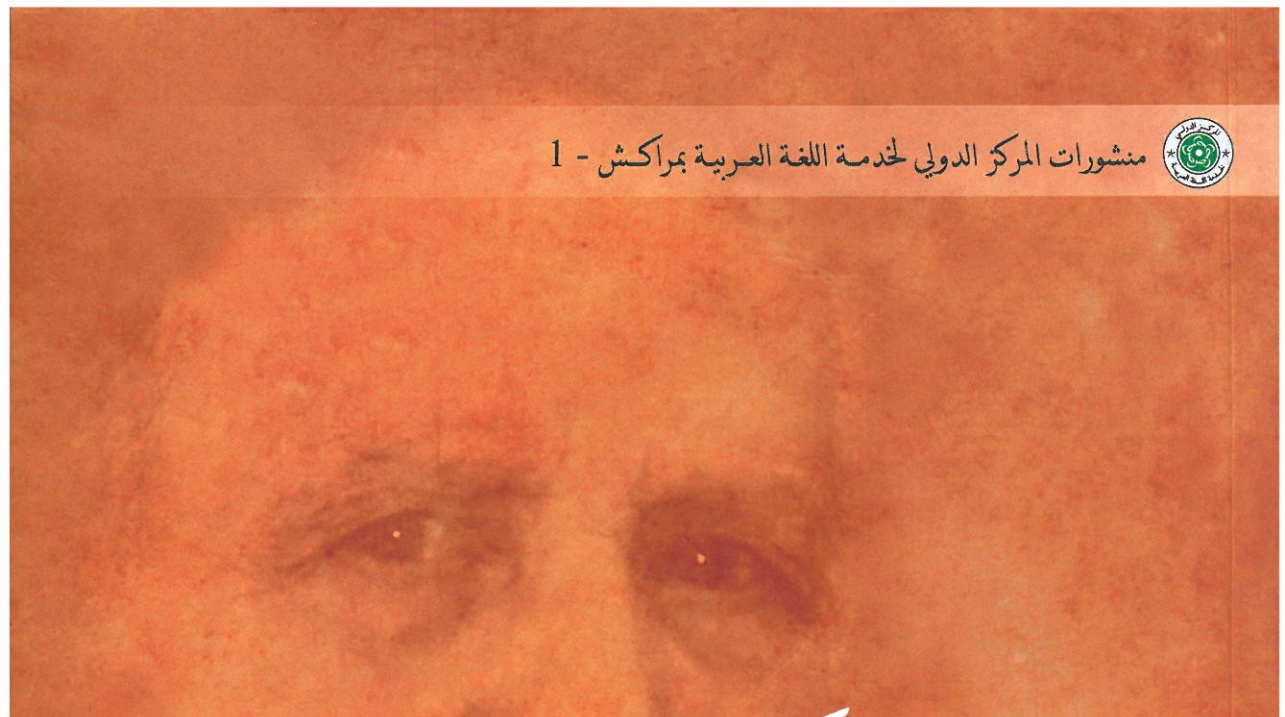

العلامة محمد بنشريفة

وفن صناعة التراجم

دة. فاطمة حرار

مؤسسة آفاق

العَلاَّمَةُ
مُحَمّد بَنْشَرِيفة
وفن صناعة التراجم

دة. فاطمة حرار

العَلاَّمَةُ
مُحَمَّد بَنْشَرِيفة
وفن صناعة التراجَم

الطبعة الأولى: مراكش 1439هـ/ 2017م

العلامة محمد بنشريفة وفن صناعة التراجم

دة. فاطمة حرار

رقم الإيداع القانوني: **2017 MO 4273**
الرقم الدولي: **978 – 9954 – 467 – 80 – 0**

جميع الحقوق محفوظة

الناشر:

منشورات المركز الدولي لخدمة اللغة العربية
مراكش - المغرب

البريد الإلكتروني: arabiccenter2017@gmail.com

مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال،
483/4 الوحدة الرابعة، الداوديات - مراكش - المغرب
Tél: 05 24 30 73 59
www.afaqedit.com
Email :afaqedit@gmail.com

تصميم الغلاف: محمد جمال الدين بنعطية

المطبعة والوراقة الوطنية – مراكش – المغرب

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال.

إهداء:

إلى كل السابحين في فلك علوم اللغة العربية والسابرين أغوارها
والسالكين في هذا السبيل مسلك
العلامة محمد بنشريفة

مقدمة:

إن الحديث عن شخصية العلامة محمد بنشريفة[1]، حديث عن شخصية "صانع مبدع"، تجليات إبداعه لا حصر لها، فهو لا يهتم إلا بالغابر من مجد الأمة: شخصياتها الغابرة أوالبعيدة عن دائرة الشهرة، ولا يسعى باحثا إلا وراء النصوص المنسية المبعدة والأخبار التاريخية المغمورة، وأمام شح الأخبار والمصادر تحسبه يغوص في المجهول، فتجده ينبش في التراب مؤمنا إيمانا قويا بالكرامات، وبأن تحت التراب ذهبا، فيحفر في الغور، ليخرج لنا قطعا فنية إبداعية ناطقة بالحيوية، صنعة يد فنان يستنطق الصمت، ويعيد إحياء الهامشي والغابر المنسي من الأخبار والنصوص والشخصيات.

شخصيته تلك تجعل قارئه أمام سؤال حتمي: ما سر القوة العلمية للرجل؟

سؤال اختزل الجواب عنه، هو نفسه، في كلمتين: "إنها الهمة العالية والصحبة القوية"، عبارة تخفي وراءها معان عدة، وتنبئ عن تواضع الرجل الذي يأبى التفاخر بثقافته الموسوعية وجرأته العلمية، كسِرّ من أسرار قوته. ولعل النظر في بنائه لعدد مهم من السير، من شأنه أن يكون شاهدا على إبداعه، ومجالا لكشف مكامن قوته العلمية والمنهجية.

---

[1]- رسم العلامة محمد بنشريفة اسمه على إصداراته بثلاثة وجوه مختلفة هي على التوالي: **1**- كتابتها منفصلة بالألف(**محمد ابن شريفة**)، نسبة إلى جدته "شريفة" العاملة على تربية الأب الذي نشأ يتيما، فنسب إليها وبقي الاسم عالقا، وهذه الطريقة في كتابة أسماء الأعلام _حسب رأيه_ عرفت في المغرب أيام المرابطين، نحو ابن عائشة وابن خديجة... **2**- كتابتها منفصلة بدون ألف (**محمد بن شريفة**)، التزاما منه بالقاعدة الإملائية القائلة بحذف ألف "ابن" إذا جاءت بين علمين. **3**- كتابة "ابن" متصلة بـ"شريفة" (محمد بنشريفة)، أثبتها في أعماله الأخيرة التزاما منه بالوجه المثبت في الحالة المدنية والأوراق الرسمية، وبالتالي عليها سنعتمد.

وقبل فصل القول في صنعة الصانع وقصته مع مواده الخام، ونزوعه في اللَّم والنسج وإعادة النظام، سأعجل بنبذة[1] – ولا أدعي فيها التمام– بحثا عن أسرار تفرد علامتنا في الإبداع والإحكام، وفي الكشف عن خبايا الأعلام.

سئل العلامة يوما: "ما سر قوتك العلمية والمعرفية المبكرة ؟"[2]، فأجاب اليوم مبتسما: **"كادت الهِمَم أن تفعل"**[3]، عبارة تحمل في طياتها عبرة وحكمة وسرا من أسرار النجاح، وأضاف مفسرا: همة تنظر إلى ما عمل الكبار وفحول التراث العربي في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي والأندلسي والمغربي، همة لا ترضى ولا تقبل بأدنى مما قدموه، فهُم القدوة، والانتماء إليهم قوة. إنه السر الأول لقوته، وقد انعكست هذه القوة على أعماله، إذ نجده ملما بالتراث العربي في المشرق والمغرب والأندلس، همة قال عنها الدكتور عباس الجراري: "همة تعلقت بالنصوص الغميسة العريقة والمباحث

---

[1]– ولد العلامة–تقديرا– سنة 1930م ببلدة في أولاد عمرو الغربية بالعتامنة في مدينة الوليدية من إقليم الجديدة، من أب شريف حسني صقلي من قبائل دكالة، التي كانت تزخر بالفقهاء والمدارس القرآنية والعلمية، اقترح تاريخ ميلاده عندما اكتشفت الحالة المدنية، وأشرف على تربيته وتعليمه في الكتاتيب وأولاه عنايته حيث أنهى حفظ القرآن في سن التاسعة. نشأ الأب هو الآخر نشأة دينية، وأشرفت على تربيته الجدة "شريفة"، سيدة متدينة كانت تحظى بمكانة ووقار خاصين، عملت على تربية الأب الذي نشأ يتيما، فنسب إليها وبقي الاسم عالقا "ابن شريفة"، كان حافظا للقرآن ولحكم ابن عطاء الله السكندري... يمتهن التجارة في بيع الأثواب، وجه ابنه لحفظ القرآن الكريم وحفظ المتون العلمية. يقول العلامة متحدثا عن أبيه بافتخار، "كان يحب العلم والعلماء، في ليلة القدر يقرأ "السلكة" كاملة وكان يخصني بالدعاء..." (حوار مع العلامة محمد بنشريفة في منزله بالرباط يوم الخميس 06 يوليوز2017م، من س17 إلى 19 مساء) – (حوار أجراه معه البرنامج التلفزيوني "أقواس" يوم الإثنين 3 دجنبر 2001م)– (جهود الأستاذ العلامة محمد بن شريفة في خدمة اللغة العربية بالمغرب، محمد قرقزان (في ندوة تحقيق التراث المغربي الأندلسي حصيلة وآفاق، تكريما للأستاذ محمد بن شريفة (منشورات كلية الآداب وجدة رقم 16، سلسلة ندوات ومناظرات 4، طبعة 1، 1997):373.

[2]– سؤال عبر عنه الدكتور شوقي ضيف(ت2005م)، حين أبدى إعجابه بأطروحة تلميذه لنيل الدكتوراه: "أمثال العوام في الأندلس" لأبي يحي الزجالي(ت617) دراسة وتحقيق سنة1969م، مستغربا من قوة العمل مذهولا بالمستوى العلمي لصاحبه، معتبرا إياه **"أحسن ما قدم لجامعة القاهرة على مدى عمرها الطويل"**.

[3]– حوار مع العلامة محمد بن شريفة في منزله بالرباط، يوم الخميس 06 يوليوز2017م (من الساعة 17 إلى 19 مساء).

الشائكة"[1]، وكان لها أثر كبير في تميزه وإبداعه، وفضل أكبر في انفتاحه على مشاريع كبرى متنوعة، يتلاقح فيها التراث العربي بتلويناته وعصوره، ويتقارب التراث المشرقي بالمغربي والأندلسي، لينتج لنا مثقفا موسوعيا متفردا، أخذ من كل جميل الأجمل.

أما السر الثاني في القوة العلمية المبكرة، حسب تقديره، بعد الهمة العالية، هي "الصحبة القدوة"، ويقصد صحبة شخصية مراكشية: العلامة المرحوم أحمد الشرقاوي إقبال (ت2002م)، سماه "الصاحب المعجزة"، هذه الصحبة جعلت العلامة محمد بنشريفة يعشق مراكش، وعشق مراكش لا يعرفه – حسب قوله– إلا من عاش فيها في ذلك الزمن مع تلك الصحبة، وسار معها في أزقتها وأحيائها وأضرحتها... وصحبة الخير الأولى لم ولن تنسى، بل تحضر في لحظات النجاح والفوز لأنها نجاح وفوز، تحضر في أغلى مكان في الكتاب، حيث حضور الأرواح الطيبة والأيادي الكريمة والبصمات الخيرة: صفحة الإهداء كما حضرت في كتاب شروح أندلسية غير معروفة لـ "سقط الزند"، التي أخرجها العلامة وقدم لها، ثم أهداها إلـى "صحبته القدوة" في إهداء ناطق بطبيعة هذه الصحبة:

"إلى روح الأستاذ المرحوم أحمد الشرقاوي
إقبال الذي سمعت من حفظه أشعارا من سقط الزند
واللزوميات وأقوالا من رسالة الغفران والفصول والغايات"[2]

السر إذن في:

– "الهمة العالية والصحبة الخيرة"، وفي الانتماء إلى الأفاضل وإلى الكبار في هذا الزمن وذاك. وفي قائمة هؤلاء الأفاضل "السيد الوالد" الذي أشرف على تربيته وأولاه عنايته، اعتبره العلامة أحد أسباب نجاحه وتفوقه، بجانب انتمائه إلى جيل محب للغة

[1]– كلمة السيد عباس الجراري (ندوة تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق (تكريما للأستاذ محمد بن شريفة، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بوجدة، رقم16، سلسلة ندوات ومناظرات رقم4، ط1، 1997) (23 –27).

[2]– شروح أندلسية غير معروفة لـ "سقط الزند" قام بإخراجها والتقديم لها الدكتور محمد بنشريفة، ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 2011م): (صفحة الإهداء).

العربية، وانتمائه إلى "دليل الوجاهة العلمية": بادية دكالة، باعتبارها مركزا من المراكز العلمية آنذاك.

– التأثر بحقبة الانفجار التأليفي بمصر والشام، والاستفادة من آثارها وعلمائها، أمثال: العقاد وأحمد أمين والمازني وطه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهم.

– النفس العاشقة لارتياد الميادين الشائكة والإتيان بالجديد، يقول: "وقد شرطت على نفسي أن أرتاد ميدانا من الميادين المتروكة في الأدب الأندلسي والإتيان بشيء مبتكر يضيف إلى العلم شيئا جديدا"[1].

– الرؤية العلمية الشمولية للتراث، فثقافته واسعة واهتماماته متنوعة، وهي رؤية ممتدة تشمل أشكال العلوم والفنون على اختلاف مشاربها، في مجال الأدب، في حقل الشعر والشروح والأمثال والأزجال والتراجم والبلاغة والفلسفة والتاريخ والمنطق والفقه والنوازل والحكم والخطوط والفلاحة والرياضيات والموسيقى... ثقافة واسعة، لتنوع اهتماماته وكتاباته في مجال البحث العلمي، فهو محقق للتراث الأندلسي المغربي المغمور، وصانع للسير المنسية ومؤرخ لتاريخ الأدب المغربي الأندلسي وناقد ولغوي... وهذا التنوع والغنى دليل نضجه الفكري وإلمامه بالتراث ككل لا يتجزأ، ودليل تفرده في ميدان تخصصه.

وهناك وجه ثان لرؤيته الشمولية للتراث، ويتجلى في إلمامه بالتراث العربي، إنه ينتصر للمدرسة العربية في إطار اشتغالها بالتراث الأندلسي المغربي، ويهتم بهذا التراث في علاقته بالتراث العربي عموما، وكان هاجسه الأكبر إثبات مساهمة المغاربة في تاريخ الحضارة الإسلامية عامة، وتأكيد التفاعل بين تراث المغاربة وتراث المشارقة، وعن هذا الربط والتفاعل يقول الدكتور عباس ارحيلة: "فكان له ما أراده ونجح في أكبر تحدّ علمي وقف عليه حياته العلمية، فأصبح به قدوة وظاهرة وعمدة"[2].

---

[1]– أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي: حياته وآثاره، محمد بن شريفة، تصدير محمد الفاسي (الرباط، مطبوعات الرسالة، 1966م): 6.

[2]– الدكتور محمد بن شريفة وفن التراجم، عباس ارحيلة (ندوة: المدرسة المغربية في كتابة التراجم، محمد بن عبد الملك المراكشي أنموذجا، مع تكريم العلامة الدكتور محمد بن شريفة، تنظيم المجلس العلمي المحلي لمراكش يومي 27–28 أبريل 2013م بكلية اللغة العربية بمراكش) (قيد الطبع).

من مظاهر قوته وتفرده، طبيعة اختياراته العلمية وانشغالاته الفكرية، التي ميزت تعامله مع التراث العربي عموما، وهي اختيارات تخدم القارئ المعاصر وتواكب متطلبات العصر ومنها:

– انشغاله عموما بظاهرة المخطوطات مجهولة المؤلف، فهو دائما في مواجهة الظواهر المعاصرة غير الصحية على صعوبتها، وانشغاله بهذه الظاهرة جعلت جل عناوينه يغلب عليها طابع التصويب والتصحيح، أو طابع الكشف والإتيان بجديد غير مسبوق.

– انشغاله بالحاجات الملحة التي تطلبتها وضعية التراث: حاجة عصوره إلى تجلية حقائقها التاريخية والأدبية ووثائقها المهملة.

– انشغاله بالجوانب الشائكة والمواضيع المتروكة عند عامة الباحثين، مثل التنقيب عن المجهول من الآثار، وتخليد المغمور من الرجال، لتستفيد الأجيال.

وتعتبر صفاته الخُلقية ونشأته الصوفية[1]، سرا من أسرار قوته، لإيمانه بالكرامات، بالانتصار في ركب الصعب وما يبدو للآخر مستحيلا، فنجده يشتغل في صمت وهو عاشق لفكرته، مؤمن بها صابر على مشاقها وصعابها، ليهدينا التحف النادرة.

أما الشاهد على تفرده فهو، من جهة، شهادات العلماء والمجالس العلمية، التي اعترفت بتميزه وقوته، فقد عرف تقديرا خاصا من علماء المشرق والمغرب والاستشراق، واعتبروا حضوره تشريفا ومكرمة للتبرك منه، وعنوانا على خدمته للثقافة العربية[2]؛ ومن

---

[1]– نشأ العلامة محمد بنشريفة نشأة دينية صوفية، هذه النشأة كانت تنهاه عن تزكية نفسه وتحذره من حب الظهور

[2]– انتخب: عضوا لأكاديمية المملكة المغربية ومقررا للجنة التراث فيها منذ تأسيسها عام 1980م – عضوا مراسلا للأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد في إسبانيا – عضوا مراسلا بمجمع اللغة العربية بدمشق وسوريا وعمان– عضوا مراسلا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، وتم انتخابه بإجماع الأعضاء كلهم بمن فيهم محمود علي مكي تقديرا لمكانته العلمية الرفيعة.– عضوا بالمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بعمان – عضوا بمؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي بعمان. – عضوا بمجلس الأمناء بمؤسسة حمد الجاسر الخيرية بالرياض – عضوا بمجلس الأمناء بمؤسسة البابطين للإبداع الشعري بالكويت سابقا – مؤطرا بالمركز الإقليمي لتدريب كبار موظفي التعليم في الدول العربية، بيروت، سنة 1962–1963م، وحصل خلالها على شهادة المركز – عضوا مشاركا في مؤتمرات عالمية لصيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية وترميمها – عضوا في عدد من اللجن العلمية والجمعيات الثقافية في المغرب والعالم العربي... وقد شارك أستاذه أمجد الطرابلسي في تأسيس أول تخصص في الدراسات=

جهة ثانية، تتويجه بأوسمة وتكريمات وجوائز وطنية وعالمية[1]، بالإضافة إلى السبق المعرفي والفوز بالمراتب الأولى، فقد كان – ومازال– سباقا، وأول القائمة في كل شيء، لا يقنع إلا بالعلياء من المراتب والدرجات[2].

وقد فاز فن الترجمة عنده بحظوة خاصة، وتجاوز كونه مجرد تعريف بالشخصية وبآثارها، إلى النظر إليها بكثير من الوعي، فكانت تعبيرا عن تجربة المترجم الشاقة والمريرة، تجربة مجاهد في سبيل هدف علمي وطني، تعبيرا عن تجربة واحد من كبار صناع الترجمة في العصر الحديث، لتميز اختياراته لشخصياته، وتميز منهجه في البناء مع أول عمل له في إطار أكاديمي داخل الجامعة[3] ثم خارجها.

ولأهمية فن الترجمة في بناء مشاريعه العلمية، كانت حاضرة وبقوة، في تأليفاته وفي دراساته وفي مقدمات تحقيقاته، وهي في مجملها تناهز سبعين عنوانا، فقد كان مؤمنا ومنذ البداية بأن الترجمة هي الوحيدة القادرة على كتابة تاريخ عام للأدب المغربي الأندلسي، بل هي أساس بناء كل تاريخ، لأن الأمصار وتاريخها تعرف برجالاتها.

= العليا، وشغل منصب أستاذ كرسي الأدب الأندلسي منذ سنة 1970م الى تاريخ إحالته على المعاش سنة 1995م، كما اشتغل عميدا للدراسات الأندلسية في العالم العربي والإسلامي، والمدافع عن فنونها وأجناسها، والكاشف عن غابر نصوصها ومخطوطاتها.

[1]– من بين هذه الجوائز: – جائزة المغرب الكبرى للكتاب عام 1986م (عن دراسته " أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة") – جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي سنة 1988م. – جائزة الاستحقاق الكبرى (الجائزة التقديرية لسنة 1993). – جائزة الكويت للتقدم العلمي عام 1999م. – وسام العرش من درجة فارس عام 1978م. – وسام العرش من درجة ضابط عام 1988م.

[2]– إنه في طليعة **أول** فوج حصل على الإجازة من كلية الآداب بالرباط، جامعة محمد الخامس،عام 1960م– **أول** من حصل على دبلوم الدراسات العليا في الأدب من الكلية المذكورة عام 1964م– مثل **أول** أطروحة لنيل درجة الدكتوراه يتقدم بها مغربي بكلية الآداب، جامعة القاهرة، بمرتبة الشرف الأولى في فبراير 1969م. – **أحسن** ما قدم لجامعة القاهرة على مدى عمرها الطويل: رسالته لنيل الدكتوراه سنة 1969م، بشهادة شوقي ضيف وعبد الحميد يونس– ضمن الرعيل **الأول** الذي عينه صاحب الجلالة المرحوم الحسن الثاني في أكاديمية المملكة المغربية في فجر تأسيسها (حسب شهادة محمد الكتاني) – **أول** مغربي حاصل على جائزة الملك فيصل العالمية سنة 1988م– **أول** من كتب عن القاضي عياض الفقيه ودقق في تفاصيل سيرته الفقهية...

[3] – أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي: حياته وآثاره، محمد بن شريفة.

وعندما آثر العلامة محمد بنشريفة – في بداية تجربته العلمية– أن تكون البداية دراسة الأعلام دراسة بحث وتوسع واستقصاء، كان يضع استراتيجية بعيدة المدى، وهندسة معمارية لمساره العلمي، محددا خطواته الكبرى، مسافرا بخطته عبر الزمن، فكانت الخطوة الأولى في لحظته: بناء تراجم الأعلام، والخطوة الموالية بعدها: البحث عن آثار مترجميه المخطوطة المبعثرة والمتفرقة وجمع شتاتها وتوثيقها، وخطوة المستقبل: الوصول إلى الهدف الأكبر: إصدار الأعمال الكاملة لمترجميه: تحقيقا ودراسة، وهو أحد مشاريعه الكبرى، ومن دواعي تعاطيه للتراث المغربي الأندلسي.

هكذا كان تخطيطه لبناء سيرة أبي المطرف ابن عميرة، فقد شرط على نفسه ارتياد الميادين المتروكة، وفي نيته "التعريف بمن لم يعرف بهم ونشر ما يوجد من آثارهم"[1]، فكانت البداية مع سيرة أبي المطرف: حياته وآثاره سنة 1964م، وكانت الخطوة الموالية: نشر أثر من آثاره: "التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات" لابن عميرة سنة 1995م وفاء بالعهد الذي قطعه على نفسه خلال هندسته لمساره العلمي: "ونحن نريد من وراء نشرنا التنبيهات أن نفي بوعد كنا التزمنا به ألا وهو نشر آثار أبي المطرف أحمد بن عميرة"[2]. وها هو اليوم وفي أواخر سنة 2017م يحقق هدفا من أهدافه الكبرى: "وسننشر بعد هذا إن شاء الله رسائله وشعره"[3]، ويشرف على إصدار "الأعمال الكاملة لأبي المطرف أحمد بن عميرة"[4]، وهو عمل جاد –كباقي أعماله– عبر عن سعادته لإنجازه، محققا لأشعاره ورسائله ومصنفاته الأدبية والتاريخية في ستة أجزاء، في انتظار إصداره – أطال الله في عمره– لـ "الأعمال الكاملة لمترجمين آخرين"، وإضاءة حلقات جديدة أخرى من شأنها المساهمة في كتابة تاريخ عام للأدب المغربي الأندلسي.

---

[1]– ابن حريق البلنسي، حياته وآثاره، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة، ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1996م): 5.

[2]– أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي: حياته وآثاره، محمد بن شريفة: 46.

[3]– التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، ابن عميرة، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة، ط1(الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1991م): 46.

[4]– تشرف الرابطة المحمدية بالرباط على طبع هذا العمل الضخم في ستة أجزاء، والمعنون بـ "الأعمال الكاملة لأبي المطرف أحمد بن عميرة" على أساس إخراجه ونشره في نهاية سنة 2017م.

أما الدافع وراء بناء جل السير، فكان هو الواجب الديني والوطني تجاه الأمة بإحياء سير السلف المنسية والهامشية، وقد أدرك الشيوخ المغاربة قيمة هذا الواجب، واعتبروا "معرفة القائل مما يعين على فهم القول وتقديره بقدره"[1]، فنهضت بعض الأقلام، وتبنت قضية الإحياء، وكان مجال الترجمة ومجال تحقيق النصوص من أدق المجالات نهوضا بهذه القضية، بل كان بناء السير المنسية الدافع الأول لتحقيق عدد من النصوص، باعتبارها "الغرض والأساس من نشر هذا التراث"[2]، لذلك اعتبر المحقق أولى الناس بتقديم ترجمة مستوفاة ودقيقة، فعلماء التحقيق القدامى بادروا إلى إخراج ما في الحفظ "رجاء التواب في تنويه بعالم، وتنبيه على فضل فاضل...وتحقيق لنسب أو خبر، ولا يخلو أن يكون في أثناء ذلك زيادة علم تقتنى ... "[3].

وقد أتقن هذا الفن من لدن الأسلاف في العهد الإسلامي، ومثّل وجه التوثيق، ولعل هذا ما دفع ببعضهم إلى القول: "معظم المصادر والمراجع التي نطالعها ونستخرج منها القواعد والمعاني والأخبار تكتسي طابع التراجم والفهارس أو ما يسمى بالمشيخات والمعاجم والبرامج"[4].

والعلامة المغربي عندما يتحدث عن فن الترجمة، فهو لا يفصل التراجم المستقلة عن تراجم المؤلفين للنصوص المحققة، لأنه يجول في التراث من خلال أعلامه، ليخرج الغابر منها، حين وقع على منجم كنوزه – بفضل خبرته وتمرسه وقراءته الفنية القائمة على التنبه واليقظة– يقول: "إن كتب المناقب تشتمل على الشطر الخفي والشعبي من

---

[1]– المنتخب من شعر ابن زاكور، عمل عبد الله كنون الحسني (القاهرة، دار المعارف،1966): 5– 6.

[2]– جهود المستشرقين الفرنسيين في نشر التراث المغربي، محمد قاسمي: في ندوة "تحقيق التراث المغربي الأندلسي حصيلة وآفاق" تكريما للأستاذ محمد بن شريفة (منشورات كلية الآداب وجدة رقم16، سلسلة ندوات ومناظرات4، طبعة1،1997): 292.

[3]– جدوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، أبو محمد الأزدي الحميدي الأندلسي (ت488هـ) تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، ط1 (بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م):12 .

[4]– الترجمة في الغرب الإسلامي فنها ووظيفتها في حفظ التراث وتحقيقه، أحمد حدادي: في ندوة "تحقيق التراث المغربي الأندلسي حصيلة وآفاق" تكريما للأستاذ محمد بن شريفة: 143.

تاريخ المغرب"[1]. وكان منطلقه دائما في اختيار الأعلام: ما هي الفوائد التي يمكن أن يجنيها الباحث من هذا النوع من الكتابة؟ كما كان الدافع في تحمسه وإخلاصه لهذا النمط من الفنون، هو الرغبة في تأسيس لبنات متواصلة للخروج بعمل تركيبي لكل التراجم التي أقامها والتي سيقيمها، لذلك نجده يكثف من صناعة السير في المؤلفات والدراسات والتحقيقات...

بناء الترجمة إذن، واجب وطني، وهو أيضا عنده متعة للتذوق الفني، وصفة الفنية لا تتحقق إلا بعد اكتشاف قطعه المجهولة ولم شتاتها، "وقليل أولئك الذين يتعاطون مع التراث علما وفنا في آن، وأولئك هم المبدعون الذين يجمعون بين... البناء والطلاء، الصنعة والإحياء"[2].

وعلامتنا المغربي شهد له معاصروه بإحيائه لأعلامه، وأشادوا بمهارته في بنائها، فكيف ستشهد له أعلامه بذلك؟ وما هي طريقته في البناء وأسراره في الصنعة؟ وإلى أي حد استبطن عوالم شخصياته الدفينة؟

إن الإجابة عن سؤال المنهج، يشترط تتبع هذه التراجم في شموليتها وتنوعها من جهة، ومن جهة أخرى تناولها في علاقتها بتجربته العلمية كلها، وبمشاريعه الفكرية الكبرى وأهدافه من الكتابة عموما، مع وضع تجربته في سياقها العام، ضمن تجارب مقارنة، ومن جهة ثالثة، يتطلب الوقوف الفعلي على منهجه بتفصيلاته وتفريعاته الدقيقة، من خلال أمثلة تطبيقية تصور تلك التفصيلات وتتتبعها، وتصور طريقته في صناعة الدليل ونسجه من نبذ متفرقة ومتباعدة، ولعل هذا التناول من شأنه أن يمكننا من الكشف عن خصوصيات "صانع للسير في العصر الحديث" أو خصوصيات تَوجه مغربي في بناء التراجم.

---

[1]- الماجريون، محمد بنشريفة (في "أعمال الملتقى الفكري الثاني لمدينة آسفي: أبو محمد صالح المناقب والتاريخ"، الرباط، النشر العربي الإفريقي، 1990م):31.

[2]- طريقة محمد بن شريفة في تحقيق التراث ودراسته، عز الدين عمر موسى (مجلة العرب، الرياض، ج1- 2، نوفمبر - ديسمبر، 1998م):31.

وقد تم اعتماد خطة قائمة على المقايسة والمقارنة والمقاربة، وعلى منهج وصفي تحليلي في تتبع مكونات الترجمة، وتحليل مظاهرها الموضوعية والفنية، والكشف عن وظائفها، ثم رصد منهج صناعتها، للنظر في الثابت والمتحول من المكونات والخصائص والوظائف والأدوات المنهجية، وفي حقيقة المساهمة الفعلية لكاتب الترجمة في خدمة التراث..

ولتحقيق مقاصد هذا البحث، والإجابة عن أسئلته، بُنيت تصوراته على فصول ثلاثة وخاتمة، الفصل الأول اهتم بتتبع المترجم في بنائه للأسماء والألقاب والأنساب والأسر: المنهج والوظيفة. والفصل الثاني تتبع بناء الصورة العلمية والسياسية لعصر المترجم لهم، وإقامة أصول ثقافتهم: الوظيفة والمنهج. والفصل الثالث رصد الجديد الذي قدمه المترجم في تطلعه إلى حياة التوظيف، وحياة التأليف، وحياة المشيخة، وإلى العوامل المؤثرة في عملهم الإبداعي. وخاتمة تستخلص أهم نتائج البحث، وتنفتح على آفاق فن الترجمة، وما يمكن أن تسفر عنه في مراحلها المستقبلية، وفي ارتباطها بالمشاريع العلمية الكبرى للعلامة الدكتور محمد بنشريفة.

وبالرغم من اقتصاري على نافذة من نوافذ الحياة العلمية للعلامة محمد بنشريفة: نافذة صناعة التراجم، فإنني أطمح – من خلالها- إلى تقديم صورة تختزل هذه الحياة العلمية في شموليتها، صورة تستحضر جل إنتاجاته على وفرتها وصعوبة إحصائها في مجال التأليف والتحقيق والدراسة، وتؤرخ لانتصاره في جهاده ضد الجور الذي أصاب علماء التراث وعلمه، صورة تساعد القارئ على الاقتراب من حياة علامة مغربي أفناها خدمة للعلم والوطن.

الفصل الأول:

بناء الأسماء والألقاب والأنساب والأسر

تمهيد:

"إنما ينهض الإنسان بالبحث العلمي عندما يعين عليه الطبع والوجدان، وتطوله الأداة المستوفاة، وتدفع إليه رغبة الكشف والاكتناه"[1]، شهادة على لسان المحقق المغربي محمد الكتاني، تنطق بدواعي اختيار البحث، وتلمح إلى صعوبة هذا الاختيار، وهي عند العلامة محمد بنشريفة مرحلة دقيقة، تثير في المجتمع انفعالا وفي القارئ فضولا وشوقا، لأنها تركز على النادر العزيز، وتختار الملح والضروري وما من شأنه أن يضيف جديدا إلى المكتبة العربية، يقول: "وثمة ثغرات وفجوات ما زلنا في حاجة إلى سدها وملئها "[2]، وهو اختيار صعب، فيه كثير من التحدي العلمي، ويتطلب أناة الباحث وجرأة العالم في مجال بحثه، ومن هذه الاختيارات التي جعلت منه متفننا صانعا مبدعا للسير[3] :

---

[1]- روضة التعريف بالحب الشريف، ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، عارضه بأصوله وعلق حواشيه وقدم له محمد الكتاني، ط1 (بيروت، دار الثقافة، 1970م): 9.

[2]- مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، القاضي عياض وولده محمد، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بنشريفة، ط1 (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990م): 5.

[3]- السير هي التراجم مطولة مستقلة، فقد جرت عادة المؤرخين أن سموا الترجمة بهذا الاسم حين يطول نفس الكاتب فيها. وأول ما استعمل اللفظ، في "سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم". وقد كان التراث العربي القديم حافلا بكتابة التراجم والسير في عصر مبكر جدا، وبلغ أوج ازدهاره في القرن السابع الهجري مع ابن خلكان (681هـ) في وفيات الأعيان، كأول مؤرخ عربي جعل من الترجمة الخاصة فنا حقيقيا وابتدع التأليف فيها (ينظر: التراجم والسير، محمد عبد الغني حسن (القاهرة، دار المعارف، 1956م: 28-46). والترجمة العربية القديمة لم =

- أبو يَحْيَ الزّجالي(ت694هـ): "وهو شخصية لا يكاد الدارسون يعرفون عن أمرها شيئا "[1].

- عبد العزيزالمَلْزُوزي (ت697هـ): "لا نملك نصا قطعيا فيه لضياع أولها من جهة، ولعدم ورود اسمها في المظان المعروفة..."[2].

- أبو الحُسَيْن ابن فُرْكُون (ت - ؟): "لانعرف له اسما، إذ أنه يذكر نفسه ويذكره غيره دائما بأبي الحسين... "[3].

- الكفيف الزّرْهُوني: "ومن المؤسف أننا لم نجد له ذكرا..."[4].

- أبو علي المَاجَري (ت668هـ): "لا نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من كتب الطبقات..."[5].

- حول مؤرخ أندلسي مجهول: ترجمته "موجزة لا تحدد بلدا ولا تؤرخ ولادة ولا تعدد شيوخا ولا تلاميذ ولا تذكر تأليفا ولا تسرد نماذج من الشعر الحسن"[6].

- ابن عبد ربِّه الحفيد: فصول من سيرة منسية (ت602هـ): "بناء سيرة غير معروفة، وهي سيرة كاتب من كتاب الدواوين... عصر الموحدين"[7].

= تعرف الأسلوب النقدي والتحليل ومنهج التحقيق العلمي إلا في فترات قليلة، مثل تراجم شمس الدين السخاوي (902هـ) في معجمه الضوء اللامع، وهي مثال للترجمة العربية النقدية (ينظر: تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، محمد عبد الله عنان، ط1 (القاهرة، دار المعارف، 1947: 6-7).

[1]- أمثال العوام في الأندلس، أبو يحي عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله الزجالي القرطبي، دراسة محمد بن شريفة (فاس، مطبعة محمد الخامس، 1975م، ق1):هـ

[2]- من منافرات العدوتين "نص جديد": طرفة الظريف في أهل الجزيرة وطريف لأبي فارس عبد العزيز الملزوزي المعروف بعزوز (مجلة كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ع1 يناير 1977م): 14-15.

[3]- ديوان ابن فركون، تقديم وتعليق محمد بنشريفة، ط1 (الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1987م): 11

[4]- ملعبة الكفيف الزرهوني، تقديم وتعليق وتحقيق محمد بن شريفة (الرباط، المطبعة الملكية، 1987م): 6

[5]- أول تأليف مغربي في المنطق: "أسهل الطرق إلى فهم المنطق" أبو علي الماجري، محمد بنشريفة (مجلة المناظرة، ع2، دجنبر 1989م):27.

[6]- حول مؤرخ أندلسي مجهول ، محمد بن شريفة (مجلة الأكاديمية، ع2، فبراير 1985م):101-122.

[7]- ابن عبد ربه الحفيد: فصول من سيرة منسية، ط1 (بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1992):3.

- الأمير المرابطي مَيْمُون بن ياسين (ت530هـ): حياته وحجه. ترجمته: "فقيرة لاتتعدىٰ بعض النتف من كتاب الذيل والتكملة..."[1].

- ابن مغاوِر الشاطِبي (ت587هـ): "مجموع نور الكمائم وسجع الحمائم... لولاه ما عرفنا شيئا عن ولاية أبي الربيع في الأندلس"[2].

- ابن حَرِيق البلنسي: "ومما نأسف له اليوم ضياع هذا الديوان الكبير..."[3].

- البَسْطي آخر شعراء الأندلس: "لا ذكر له ولا لشعره في المصادر المعروفة، ولولا ظهور نسخة وحيدة من ديوانه في السنين الأخيرة ما وقف له علىٰ عين ولا أثر"[4].

- أبو الحجاج يوسف بن غَمْر، مؤرخ دولة يعقوب المنصور: "أما حياته فلا نعرف منها إلا القليل الذي يستفاد من ترجمته الشحيحة في التكملة"[5].

- الفقيه الكانوني: "نَسِيَ أن يقيد ما يتعلق بحياته كتاريخ ولادته ومكانها ونشأته بقية أطوار حياته"[6].

ومن حق هؤلاء، وغيرهم كثر، أن "تفرد سيرهم، وتبسط أخبارهم وتنشر آثارهم كلما تيسرت المواد وأسعفت الوسائل"[7]. وأمام عجز المصادر التاريخية والأدبية، وسكوت كتب الطبقات والمناقب والتراجم، علىٰ المترجم التحقق من أسماء المؤلفين

---

[1]- الأمير المرابطي ميمون بن ياسين (ت530هـ): حياته وحجه، محمد بن شريفة (كتاب دعوة الحق، ع10، 2002م (المحمدية، مطبعة فضالة، 2002م): 6.

[2]- ابن مغاور الشاطبي: حياته وآثاره، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة، ط1 (الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1994): 68.

[3]- ابن حريق البلنسي، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة: 73.

[4]- البسطي آخر شعراء الأندلس، محمد بن شريفة، ط1 (بيروت لبنان، دار الغرب الإسلامي،1985م):7.

[5]- أبو الحجاج يوسف بن غَمْر، مؤرخ دولة يعقوب المنصور: تعريف وتصحيح تحريف (مجلة أكاديمية المملكة المغربية، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية،ع10، 1993م): 89.

[6]- الفقيه الكانوني ومؤلفاته، محمد بن شريفة (أعمال الملتقىٰ الفكري الأول لمدينة آسفي، آسفي: دراسات تاريخية وحضارية، 23- 25 يونيو1988م (الرباط، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، 1989م): 175.

[7]- ابن لبال الشريشي (ت582هـ)، محمد بن شريفة، ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1996م):5

ورفع أنسابهم إلى أجدادهم، ومعرفة أعمارهم والوقوف على وفياتهم، وهذا علم خاصة أهل العلم، "وإنه مما يلزمه من العلم العناية به والقيام بحفظه"[1].

فهل حقق النسابة محمد بنشريفة هذه العناية في كل تراجمه؟ كيف حققها لينعت بالنسابة؟ وما مدى تأثره بشيوخه في مجال هذه الصناعة؟ وما مدى تأثيره على تلامذته؟

1- بناء الأسماء والألقاب والأنساب:

اهتم علماء العرب القدامى اهتماما خاصا بتحقيق أسماء الأعلام وألقابهم وأنسابهم، فهو عندهم "فن مطلوب لم يزل أهل العلم بالحديث يعنون به ويتحفظونه ويتطارحونه بينهم وينتقصون من جهله"[2]، واعتبرت معرفة المؤتلف والمختلف من الأسماء والأنساب فنا جليلا "من لم يعرفه من المحدثين كثر عثاره ولم تعدم مخجلا وهو منتشر لا ضابط في أكثره..."[3]، لذلك كان غاية العلماء، أمثال ابن حجر العسقلاني في كتابه "هدي الساري"، حين ضبط الأسماء المشكلة في صحيح الإمام البخاري لتسهيل مراجعتها[4]، وقد عد هؤلاء العلماء معرفة المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب واجبا لمواجهة مظان الغلط في كل علم[5]، واعتبروا وجود اسم المؤلف في ظاهر النسخة - وإن كانت النسخة أُمّا لا يمنع من وقوع التصحيف والتحريف فيه، ولا يكفي للحكم عليه، بل لابد من إجراء تحقيق علمي للتثبت وقطع الشك باليقين، وذلك بالرجوع إلى كتب الفهارس القديمة والحديثة، وإلى كتب تراجم المؤلفين وكتب البرامج[6]؛ والمترجم الذي

---

[1]- المنتخب من شعر ابن زاكور، عمل عبد الله كنون الحسني (القاهرة، دار المعارف، 1966):3.

[2]- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، الإمام المحدث الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمان الشهرزوري المعروف بابن الصلاح (ت642هـ) (بيروت، دار الكتب العلمية، 1978): 165.

[3]- نفسه: 172. وما يأتلف أي يتفق في الخط صورته ويختلف في اللفظ صيغته.

[4]- هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، الإمام الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب (المدينة المنورة، المكتبة السلفية، (د.ت)): 209-217.

[5]- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ابن الصلاح: 179. وهذا نوع متفق لفظا وخطا ويسمى بالمشترك.

[6]- البحث الأدبي، طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره، شوقي ضيف (القاهرة، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية، 1972): 190. =

يعرف طبقات الرجال ويستأنس بأسمائها وألقابها وكناها، قادر على وضع الحدود بين فقرات الترجمة. فهل استطاع النسابة المغربي وضع هذه الحدود؟ وكيف واجه وضعية تراجمه وثبت أسماءها؟ وإلى أي حد نفض غبار الإهمال عنها؟

1-1- أبو يَحْيَ عبيد الله الزَّجَّالي (617هـ- 694هـ):

هو مؤلف كتاب "أمثال العوام في الأندلس"، الذي تقدم به العلامة محمد بنشريفة دارسا ومحققا[1]، لنيل شهادة الدكتوراه[2] تحت إشراف عبد العزيز الأهواني (ت 1980م)[3]، وهو رسالة تعكس صورة الباحث الجامعي في مجال التحقيق، اعتبرها شوقي ضيف (ت 2005م)[4] - عضو لجنة المناقشة- من أحسن ما قدم لجامعة القاهرة على مدى عمرها الطويل[5]، وقد اهتم المترجم في دراسته بترجمة أبي يحي الزجالي في فصل كامل وكان اهتمامه بها خاصا، لأن معرفة جامع الأمثال مهمة في توثيق الأمثال نفسها والثقة بها والاطمئنان إليها وتحديد نسبتها الأندلسية[6]، وهي ترجمة لا يكاد الدارسون يعرفون من أمرها شيئا، ولم يحصل المحقق منها إلا على تعريف قصير موجز ومخل في "ذُرة الحجال في

=- منهج البحث وتحقيق النصوص، يحي وهيب الجبوري، ط1 (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1993م): 129.

[1]- تلك الأمثال مستخرجة من كتاب الزجالي:"ريّ الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام"، أخرجها المحقق في قسمين: قسم للدراسة في سبع وعشرين وثلاثمائة صفحة، وقسم ثان لتحقيق المتن في ستين وخمسمائة صفحة.

[2]- تعد أول رسالة تقدم بها مغربي للحصول على درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة1966م، وقد نوقشت في تاريخ فبراير 1969م من قبل لجنة برئاسة عبد العزيز الأهواني وعضوية شوقي ضيف وعبد الحميد يونس، وحصل صاحبها على مرتبة الشرف الأولى.

[3]- ترجمة الأهواني (1915هـ- 1980م) في: نخبة من أساتذة الأدب والفلسفة: دراسات في الفن والفلسفة والفكر القومي في شرف المغفور له عبد العزيز الأهواني، ط1 (القاهرة دار القاهرة للنشر، 1983م).

[4]- شوقي ضيف أديب وناقد ومحقق، ولد بضمياط (1910م 2005م)، ترجمته في كتاب "شوقي ضيف سيرة وتحية" إشراف وتقديم طه وادي (القاهرة دار المعارف 1992م).

[5]- كلمة الأستاذ محمود علي مكي، ضمن ندوة "تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق" تكريما للأستاذ محمد بن شريفة (منشورات كلية الآداب، وجدة رقم16، سلسلة ندوات ومناظرات4، طبعة 1، 1997): 35.

[6]- أمثال العوام في الأندلس، الزجالي، ق1: هـ.

غُرة أسماء الرجال" لشهاب الدين أبي العباس المعروف بابن القاضي المكناسي (ت1025هـ)، أثبت نصها كاملا موثقا، ووصفها بالغموض الشديد لأنها لا تضم إلا الاسم وسنة الولادة والشيوخ وبعض الأشعار[1]، ويبدو أن المحقق اعتبرها مفتاحا، لأنه غير واثق تمام الوثوق به وبصاحبه.

وللتحقيق في الاسم، قابل بين النسخ الثلاث لمجموع "ري الأوام"، فأثبت الفروق بينها حول الاسم، واختار أدقها ثم قابلها بترجمة ابن القاضي المكناسي، الذي بدا قصوره المخل واضحا في قوله: "عبد الله- كذا- بن أحمد بن محمد بن أحمد الزجالي"، في مقابل القراءة الصائبة عنده: "أبو يحي عبيد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبيد الله الزجالي"[2]، مؤكدا صوابها، بشاهد عثر عليه في السفر الثامن من مخطوط "الذيل والتكملة" للمراكشي، فعطف الشاهد على الإشارة، وكشف تحريف مصدر الترجمة وصوَّبه.

وللتحقيق في نسب الزجالي، تتبع المترجم أسرته من جهة الأب ومن جهة الأم، ليؤكد، اعتمادا على شاهد من "الذيل والتكملة"، على أصله المغربي وإن كان قرطبي البيت والنشأة، فكيف أثبت ذلك أمام سكوت المصادر الخاصة؟

لقد اعتمد على المقابلة بين المصادر التاريخية للتحقق من أصل الزجاليين، فعرض الفروق الدقيقة بين النصوص المؤرخة لهذا الأصل، يقول: "يتفق المؤرخون على أن أصل الزجاليين من البربر البتر الداخلين إلى الأندلس، ولكنهم يختلفون في القبيلة أو الفخذ الذي منه هذا البيت"[3]، ثم حقق في هذا الخلاف ليعرض موقفه مستندا إلى إشارة انفرد بها ابن خاتمة الأنصاري (ت 770هـ) قائلا: "والذي يبدو لنا أن كونهم من نفزة هو الأقرب إلى الصواب، ذلك أن نسبة الزجالي -فيما نرى- تشهد أنهم من نفزة، إذ هي نسبة

[1]- أمثال العوام في الأندلس، الزجالي، ق1: 3- 4.

[2]- نفسه: 3.

[3]- نفسه: 7.

إلى زجال"[1]، فعرف بزجال الجد الأعلى لقبيلة "نَفْزَة"، وعلل الخلاف البسيط الوارد بين المصادر حول هذا الأصل.

وبما أن التاريخ وسيلة تعرف به الأنساب، فقد حقق في تاريخ أصل الزجاليين، الذين لا تذكر المصادر متى دخلوا الأندلس، ولا من هو أول داخل منهم إليها[2]؛ وحقق في تاريخ تنقلاتهم، استنادا إلى استقراء النصوص وتحليلها، وإلى تجميع التلميحات المتباعدة وتنويع القرائن التاريخية والشعرية، إلى أن أثبت صلتهم بالناحية العمرانية والسياسية[3]، وانتقالهم إلى المغرب وطنهم الأصلي، ثم أثبت أصل الزجالي من جهة أبيه بشجرة تقريبية لهذا النسب، ووثق فروعها توثيقا تاريخيا[4].

ولم يغفل النسابة التحقق من أصل الأم "بنت الفقيه القاضي أبي الحسن ابن قطرال"، ذات الأصل العربي الأنصاري، إذ عرض للخلاف الذي دار بين كتب التراجم حول هذا الأصل: أهو مغربي فاسي، حسب ابن عبد الملك المراكشي، أم هو أندلسي على حد رأي ابن الأبار وابن الزبير وابن عميرة المخزومي؟ وجعل مرد هذا الخلاف إلى تقلبه في منصب القضاء وفي أوقات مختلفة بين مدن المغرب والأندلس قائلا: "ويصح لأي من هذه المدن أن تدعيه – بقسط ما–... أما ابن عبد الملك المراكشي فله ملحظ خاص في اعتبار الرجل فاسيا، ذلك أنه يرى أن المترجم إذا ولد ببلد عد منه ونسب إليه وإن انتقل إلى غيره"[5]. وهذا التعليل يتسم بكثير من المرونة، فيه تريث العالم الذي لا ينخدع بالآراء الجاهزة؛ ولعل ما زاد منهجه وجاهة، تحقيقه في نسب الشخصية وفي أصلها العربي وشرح معناه ولفظه، والبحث في موطنه وفي الفرع الذي ينتمي إليه، وهذا وجه من وجوه الاستقصاء في بناء الأنساب.

---

[1]– أمثال العوام في الأندلس، الزجالي، ق 1: 8.

[2]– نفسه: 8.

[3]– نفسه، 13– 15.

[4]– نفسه: 17.

[5]– نفسه: 19.

1-2- أبو الفارس عبد العزيز بن عبد الواحد المَلْزُوزِي المكناسي المعروف بعَزُّوز (؟ - 697هـ):

هو شخصية أدبية مغربية مجهولة، ساهمت في الحوار الأدبي والمنافرة بين العدوتين، وقدمت نصا أدبيا جديدا إلى رصيد التراث المغربي، هو "طُرْفَة الظَّريف في أهل الجزيرة وطَريف"[1]، وقد نشره العلامة وقدم له بدراسة[2]، تضمنت التحقيق في اسم المؤلف، الذي لا يملك فيه نصا قطعيا، لضياع أول النص، ولعدم ورود اسمه في المظان المعروفة، فلجأ إلى النقد الداخلي بحثا عن أدلة من النص تساعد على معرفته، مستعينا بالحدس، يقول: "زعمت أنه عبد العزيز الملزوزي كبير شعراء بني مرين المعروف، ولكن مع وضع علامة شك أمام الاسم"[3].

ولتسويغ حدسه، راكم عددا من القرائن المتنوعة واختبر صحتها، بالمقابلة بين النص المحقق وما وصل من شعر المؤلف، وبينهما وما جاء في مصادر التاريخ المريني، فاهتدى إلى البحث في تاريخ أسماء الأعلام الواردة في المتن، للتعريف بها والتحقيق في صلتها بالمؤلف "عبد العزيز"، يقول: "ومهما يكن من إغفال هذا الأثر الأدبي اللطيف... فإني أرجح نسبته إلى عبد العزيز الملزوزي، ذلك أن اسم عبد العزيز الوارد ذكره في النص... يدلنا النص نفسه على أنه ناثر شاعر من أقران قاضي الجماعة أبي فراس العمراني، ومن جلساء أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق، الذين يصحبونه في حله وترحاله، لا يمكن - في تقديرنا- أن يكون إلا عبد العزيز الملزوزي"[4].

وثمة قرائن أخرى يستأنس بها لتأييد هذه النسبة، منها تشابه الأسلوب والنفس من حيث الشكل والمضمون، بين النص المحقق وما وصل إلينا من شعر هذا الشاعر،

---

[1]- من منافرات العدوتين: نص جديد "طرفة الظريف في أهل الجزيرة وطريف" لأبي فارس عبد العزيز الملزوزي المعروف بعزوز، تقديم وتحقيق محمد ابن شريفة: 7-49، وهو نص صغير الحجم يترجح بين الرحلة والمقامة في بعض أشكالها الأندلسية.

[2]- نفسه: 7- 24.

[3]- نفسه: 15.

[4]- نفسه: 16.

فسهولة النظم وغلبة الطبع والارتجال وارتكاب بعض الضرائر الشعرية، هي خصائص أسلوبية في النص، ومن المظاهر المعتادة في نظم الملزوزي، لاسيما أرجوزته التاريخية[1]. أما من حيث المضمون فيتجلى التشابه في الحديث عن الجزيرة الخضراء، موضوع الرحلة، والتي حل بها المؤلف صحبة السلطان المريني، وورد ذكرها في النص على أنها قرية الجدار الوارد ذكرها في قصة موسى والخضر، وهي نفسها التي أشار إليها المُلَزوزي عارضا قصة قرية الجدار في بائيته التي أنشدها بين يدي أمير المسلمين سنة 684هـ في الجزيرة الخضراء[2].

لقد اهتدى المحقق إلى معرفة صاحب النص والتحقيق في نسبه اعتمادا على منهج، عطف فيه اليقين على الحدس والجزئي على الكلي، وذهب في التحقيق كل مذهب، فجمع بين استقراء الشعر والنثر، واستقراء الخبر التاريخي لنسج الدليل، وسنده في ذلك القراءة الفاحصة للنصوص، والإحساس بأسلوبها للتهدي إلى معرفة صاحبها، وهو نهج ظهرت بعض ملامحه مع شيخه المرحوم محمد الفاسي محقق كتاب "أُنس الساري والسارب" لأبي عبد الله محمد القيسي (ت؟)، وهو علم مجهول لم يرد اسمه ولا رحلته في مرجع من المراجع القديمة[3].

ولولا هذه الرحلة، لما علم أحد بوجود هذا الاسم، الذي كشف المحقق عنه وعن نسبه القيسي ولقبه ابن مليح وشهرته السراج؛ ومن قرائنه الدالة، ثقافة المؤلف الإسلامية وأسلوبه المنمق، وما يورده من الأحاديث النبوية والأبيات الشعرية وتراجم الرجال. وللمزيد من ضبط الاسم قابل بين نسبته في كتب التراجم وما ورد في المتن المخطوط، كما أحصى الأسماء التي تحمل النسب القَيْسِيّ بالتسلسل بحثا عن مؤسس هذه الأسرة[4]؛ وبما

---

[1]- من منافرات العدوتين: نص جديد "طرفة الظريف في أهل الجزيرة وطريف" لأبي فارس عبد العزيز الملزوزي المعروف بعزوز، تقديم وتحقيق محمد ابن شريفة: 16.

[2]- نفسه: 16.

[3]- أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال سيد الأعاجم والأعارب، أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي، حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسي (فاس، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية 1968): أ.

[4]- نفسه: ب.

أن هدفه بناء شخصية مجهولة، فقد كان منطلقه هو أيضا الترجيح والحدس، معبرا عن ذلك في قوله: "فلعل رحالتنا ابن مليح من حفدته... فلعله مؤسس هذه الأسرة القيسية... لا نعرف... ولم يرد.."[1].

1-3 - أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوْسي المراكشي (634-703هـ):

هو صاحب كتاب "الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة"، الذي اعتبره العلامة محمد بنشريفة معجما كبيرا جدا في الأعلام، ومفخرة من مفاخر التأليف؛ يقع في تسعة أسفار، ظهر منها بقية السفر الرابع[2] والسفر الخامس[3] بتحقيق الدكتور إحسان عباس[4]، وتولى العلامة محمد بنشريفة تحقيق السفر الأول[5] ثم الثامن[6]، بعدما عدل عنه الدكتور إحسان عباس وحذر من خطورة تحقيقه، لشيوع محوه وعقبات إخراجه. ولم يكن على حد تعبيره، ليستطيع تذليل جانب كبير من العقبات في تحقيقه لولا عون صديقه المغربي الأستاذ بنشريفة، فقد عرض عليه أن يتقاسما هذا العبء، فرحب بالأمر مخلصا[7].

---

[1]- أنس الساري والسارب، القيسي: أ.

[2]- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، حققه عن نسخة الأسكوريال إحسان عباس (بيروت، دار الثقافة، 1964م، بقية السفر4).

[3]- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، تحقيق إحسان عباس (بيروت، دار الثقافة، 1635م، س5).

[4]- إحسان عباس أديب ومحقق معاصر، ولد في حيفا بفلسطين سنة 1920م وتوفي 2003 (إحسان عباس والنقد الأدبي، محي الدين صبيحي (دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1983م)).

[5]- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، تحقيق محمد بنشريفة (بيروت، دار الثقافة، 1984، س1)، ونظرا لحجم السفر قسمه المحقق إلى قسمين مستقلين من القطع العادي، الأول في أربعمائة وخمس عشرة صفحة، والثاني في مائة واثنتين وخمسين (ص 416-568).

[6]- الذيل والتكملة، ابن عبد الملك المراكشي، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة (الرباط، مطبعة الجديدة، 1984م، س8).

[7]- نفسه، بقية السفر 4: ب.

وبما أن البداية كانت مع تحقيق بقية السفر الرابع، فقد خصه المحقق بمقدمة مختصرة، أثبت فيها نص ترجمة المؤلف كما ورد عند ابن الزبير في صلة الصلة[1]، وهي ترجمة أولية، إلى حين تقديم دراسة كاملة للكتاب بكل أسفاره المتوافرة، يقول: "وبما أن الكتاب نفسه يمدنا بكثير من المعلومات المهمة، عن المؤلف نفسه، وعن طريقته في التأليف والنقد... أرجأنا كتابة ترجمة مسهبة له إلى أن نستوفي دراسة أجزائه جميعا، ونستخرج المادة الصالحة لذلك منها، وعندئذ يكون في مقدورنا أن نكتب معا[2] دراسة تفصيلة عن المؤلف..."[3].

أما في مقدمة السفر الثامن، فقد اعتمد العلامة في تحقيق نسب المراكشي على إشارات من كتب التراجم، قارن بينها أولا، ليتوصل إلى أن جميع الذين عرفوا به قالوا في نسبه ونسبته: "الأنصاري الأوسي المراكشي"[4]، إلا أن ترويه في الحكم، دفعه إلى مقابلة مصادر الترجمة بإشارات مبثوثة في ثنايا الأسفار المتوافرة من "الذيل والتكملة"، ليتوصل إلى أن "أعلى ما نجده في سلسلة نسب ابن عبد الملك ما أثبته هو نفسه في ديباجة الذيل والتكملة"[5]، ولم يكتف بذلك، لأنه لا يعرف بعد متى استقر سلفه بمراكش، بل اهتدى إلى نبذ وشذرات حاول أن يقوي من إشعاعها، منها استئناسه من تعلقه بمدينته، ومعرفته بخططها وأنساب أهلها وأحوالهم أنه مراكشي عريق، مؤيدا رأيه بفهرس المخطوطات[6]. واعتمادا على إشارتين شحيحين من كتاب "الذيل والتكملة"، حقق في نسب ابن عبد الملك من جهة أمه، وشرح ملابسات "تعرف لأول مرة في البيئة العائلية

---

[1]- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي بقية السفر4 : هـ.

[2]- يتحدث المحقق بصيغة ضمير المتكلمين "أرجأنا"، "نكتب معا" ... وفي ذلك إشارة إلى روح التعاون ووحدة العمل المشترك بين المحققين.

[3]- الذيل والتكملة، المراكشي، بقية السفر 4: ب.

[4]- نفسه، سفر 8: 4.

[5]- نفسه: 4.

[6]- نفسه: 4- 5.

والاجتماعية التي ولد في ظلها وترعرع في بحبوحتها"[1]، فقام بحل شفرة الإشارتين، والاهتداء إلى نتائج طريفة، منها أن "جدة ابن عبد الملك لأمه أخت للحرة مريم زوج الخليفة يوسف بن عبد المومن، ويكون جده لأمه محمد بن أحمد القيسي سلفا للخليفة المذكور"[2]، وأن والدته هي بنت محمد بن أحمد القيسي الفاسي[3].

ولا غرابة إن اعتبر هذا التحقيق "من أوفى ما كتب عن هذا الرجل إلى الآن"[4]، إذ أعطت ترجمته الإخبارية أكثر مما يعطيه الخبر التاريخي، بفضل الإصرار على تقديم الجديد، فنيل الشيء بعد الطلب أحلى، وموقعه من النفس أجمل، ومطلب المحقق بناء الأنساب والأسر العريقة والتعريف بمؤسسيها، وهو مطلب شاركه فيه بعض الغيورين على التراث المغربي والأندلسي، أمثال شيخه محمد الفاسي في بنائه للنسبة القيسية[5]، ورضوان الداية في بنائه لأسرة بني سعيد...[6].

1-4- أبو الحسَيْن بن أحمد بن سُلَيْمان بن أحمد بن محمد ابن أحمد ابن ابراهيم بن هشام القرشي المعروف بابن قُزْكون (781هـ- ؟):

هو صاحب الديوان الشعري[7] الذي ظفر به المحقق، بعدما كان في طي العدم، وقال عنه: "لا توجد له ترجمة في المراجع الموجودة، ولعل ابن عاصم عرف به في الروض الأريض المفقود الآن، ولا نعرف له اسما إذ أنه يذكر نفسه ويذكره غيره دائما بأبي الحسين..."[8].

---

[1]- الذيل والتكملة، المراكشي، بقية السفر 4: 7.

[2]- الذيل والتكملة، المراكشي سفر 8: 6.

[3]- نفسه: 5.

[4]- جهود الدكتور محمد بنشريفة في خدمة التراث النقدي الأندلسي، علي لغزيوي: في ندوة تحقيق التراث المغربي والأندلسي حصيلة وآفاق: 393.

[5]- أنس الساري والسارب، القيسي: ب.

[6]- رايات المبرزين وغايات المميزين أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، حققه وعلق عليه رضوان الداية، ط1 (دمشق، طلاس للدراسات والترجمة، 1987م): 13.

[7]- ديوان ابن فركون، تقديم وتعليق محمد بن شريفة، وهو تحقيق يقع في أربعمائة وست صفحات، منها أربع وتسعون للتقديم (5- 99)، والديوان عبارة عن أشعار لشاعر البلاط النصري في عهد السلطان أبي الحجاج يوسف الثالث.

[8]- نفسه: 11.

وأمام سكوت كتب التراجم، لجأ العلامة محمد بنشريفة إلى النقد الداخلي للديوان ولمجموع آخر للشاعر مازال آنذاك مخطوطا، وهو "مظهر النور الباصر في أمداح مولانا أبي الحجاج الملك الناصر"[1]، الذي كشفت نصوصه عن اسم الشاعر كاملا؛ وقد ظل المحقق معتقدا بأن "أبا الحسين" قد يكون اسما له، ولم يؤكد ذلك بالدليل إلا في إخراجه لـ "مظهر النور"، يقول: "وأبو الحسين اسمه لا كنيته، وابن فركون شهرته وشهرة أبيه أحمد"[2]؛ وهنا تكمن القيمة المصدرية للنصوص المحققة في ضبط الأسماء والأنساب، باعتبارها وثائق أدبية فريدة تكشف عن الجوانب الغامضة من الترجمة وتجابه كتب التراجم وتصوب تحريفاتها وتختبر صدق رواياتها.

1-5- البسطي آخر شعراء الأندلس:

يعتبر "ديوان البسطي" من الوثائق الأدبية، ذات القيمة المصدرية التي تؤرخ لشاعر أندلسي مغمور لا ذكر له ولا لشعره في المصادر المعروفة "ولولا ظهور نسخة وحيدة من ديوانه في السنين الأخيرة ما وقف له على عين ولا أثر، إنه البسطي آخر شعراء الأندلس"[3]، وفي تحقيقه لهذا الاسم اعتمد على تخمينه وافتراضاته، وقبِله مبدئيا إلى حين العثور على أي إشارة إليه أو نسخة أخرى من ديوانه[4]، والمنهج عينه رسم خطوطه العلامة عبد الله كنون، في ضبط أسماء بعض تراجمه، وتقييد ألقابها ودرس أنسابها إلى أصولها، مثل صنيعه في تحقيق اسم ملك غرناطة يوسف الثالث، حين اعتمد على دراسة نسخة ديوانه التي ضاعت منها الصفحة الأولى المتضمنة للاسم، فاضطر معها إلى البحث عن قرائن في الديوان، وإلى التخمين أحيانا، جادا في تكثيف الإشارات لتعليل تخمينه[5]،

---

[1]- مظهر النور، جمع أبي الحسين ابن فركون، إعداد محمد بنشريفة (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1991) وهو عبارة عن المدائح التي قيلت في السلطان أبي الحجاج يوسف الثالث (ت 820) على عهده، أخرجها المحقق في مائة وثلاثين صفحة من القطع المتوسط وافتتحها بمقدمة لم تزد عن عشر صفحات.

[2]- نفسه: 7.

[3]- البسطي آخر شعراء الأندلس، محمد بنشريفة: 7.

[4]- نفسه:13- 15.

[5]- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، حققه وقدم له ووضع فهارسه عبد الله كنون (تطوان، معهد مولاي الحسن 1958م): س.

إلى أن انقشعت السحب عن الاسم شيئا فشيئا[1]، وكشف عن اسم أدبي جديد ينتمي إلى فترة من أشد فترات تاريخ المغرب غموضاً.

1-6- عبد الله الكفيف الزرهوني (؟-؟):

هو صاحب مَلْعَبة الكفيف الزرهوني[2]، شاعر شعبي من جملة من أهملتهم كتب التراجم، وإن أشار إليه ابن خلدون، مقتصرا على لقبه ونسبته "الكفيف الزرهوني"، المذكورين أيضا في آخر "الملعبة"، وقد انطلق المحقق من إشارة ابن خلدون، وعرضها على نبذ من قصيدة الزرهوني، تلقي بعض الضوء على هذا الشاعر، وتكشف عن اسمه "عبد الله"، ثم عثر على هذا الاسم في تمهيد لقصيدة أخرى من كلامه، موجود ضمن مجموع مخطوط بالخزانة العامة في تطوان، أورده بنصه[3]، فكان هذا الكشف مفازة، لأنه أكد الإشارات السابقة وأتم نقصها، إلى أن ماثلت قوة الخبر التاريخي.

ولإقامة أصل الزرهوني ومنبته، انطلق من إشارة في شاهد شعري للشاعر، عثر عليه في "الملعبة" نفسها، تضمن اسم "صارَوِية"[4]، إلا أن هذه الإشارة لا تخلو من مشكلات، لأن رسم هذا الاسم كما ورد في الأصل المخطوط لا ذكر له في المصادر، وفي غياب نسخة مقابلة، لجأ إلى حدسه واعتبر الاسم تحريفا لصَارِيوَة التي ورد ذكرها في عدد من المصادر[5]، واستند إلى قرائن مختلفة ومتنوعة منها أنه لا وجود لقبيل أو بلد يحمل اسم "صَارَوِية"، وأن اسم صَارِيوَة معرضة للتحريف في الكتابة والنطق، نحو ما نجده في بَطْوِية وبَطِّيوَة وبَقْوِيَة وبَقِّيوَة[6]. فتحريفها جائز خصوصا وأن النسخة الخطية كثيرة

---

[1]- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث: ش.

[2]- ملعبة الكفيف الزرهوني، تقديم وتعليق وتحقيق محمد بنشريفة، أخرجه المحقق في ثلاثمائة صفحة من الحجم العادي، خمسون منها للمقدمة. و"الملعبة" اسم أطلقه ابن خلدون على قصيدة الكفيف فنا من عروض البلد الذي سيتكفل المحقق بشرحه.

[3]- نفسه: 6.

[4]- نفسه: 7.

[5]- نفسه: 7.

[6]- نفسه: 8.

الأخطاء، بالإضافة إلى أن هذا الاسم يحيل على أكثر من موضع. وعلى فرض نسبة الشاعر إلى صاريوة، فالمحقق لا يعرف إلى أيها ينتسب، هل إلى صاريوة: القبيلة في بني يازغة، أو المدشر القديم فيها، أو إلى صاريوة: الحومة القديمة بفاس؟[1].

وللتحقيق في الأمر، استأنس بشعره، وبطابع اللهجة الجبلية المعتمدة فيه، وبموهبة النظم عند بني يازغة إلى اليوم، ليتوصل إلى أنه "نشأ بين ظهرانيهم أولا، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة زرهون، التي تربطها صلات روحية بصاريوة... كما أن اليازغيين كانوا يفدون على مدينة زرهون ويقتنون بها"[2]، ولتكثيف القرائن التي تربط صاريوة بالشاعر وبملعبته، تتبع الصور الشعرية والكلمات المستعملة في "الملعبة"، واستنتج بأن الشاعر يستمد بعض تشبيهاته من مواقع غير بعيدة عن صارِيوة وزرهون، إذ "شبه قرقورة ضخمة بجبل تيرزان الذي خصه الحسن الوزان بمادة قصيرة، وثمة تشبيه آخر قد يدل على مصارعة الأسود التي كانت معروفة في بلاط المرينيين بفاس، وكان يقوم بها أهل زرهون"[3]. وبتكثيف النبذ الشعرية والمعجمية والتاريخية والجغرافية، ولِمشتاتها في بناء منسجم، استطاع بناء الدليل الذي عجزت عن تقديمه كتب التراجم.

1-7- أبو علي بن حسُّون الماجري الكفيف (؟- 668هـ):

هو مؤلف أول رسالة مغربية في المنطق" أسهل الطرق إلى فهم المنطق"، عرف به المترجم لأول مرة ونفض عنه غبار الإهمال والنسيان، يقول: "فأما أبو علي الماجَري أو الماجِري الكفيف فقد كان ذكره هكذا في زمنه كافيا للتعريف به، وذلك لشهرته يومئذ. أما اليوم فإننا لا نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من كتب الطبقات والتراجم ومعاجم الأعلام"[4].

وقد عمد المحقق إلى تركيب ترجمته وبنائها، اعتمادا على إشارات ومواد متفرقة، وجدها في ثنايا كتاب الذيل والتكملة، وافتتح ترجمته بشاهد موثق يجاور بين مقولتين،

---

[1]- ملعبة الكفيف الزرهوني: 8.

[2]- نفسه: 8.

[3]- نفسه: 8.

[4]- أول تأليف مغربي في المنطق: أسهل الطرق إلى فهم المنطق للماجري، محمد بنشريفة: 27.

الأولى لأبي حامد الغزالي (ت505هـ) والثانية لأبي علي الماجري، ليواجهنا بالسؤال التالي: من هو هذا الماجري الذي وضعت قولته إلى جانب قولة الغزالي في الاحتجاج لمشروعية تعاطي المنطق وحجية تعلمه؟[1].

ولولا عثوره على إشارات لابن عبد الملك المراكشي، تلميذ الماجري، لظل أمر هذه الشخصية مجهولا[2]، فقد حدد اسمه كاملا وضبطه بالعبارة ضبطا تاما؛ ونظرا لأهمية هذا الشاهد، أثبته موثقا بعدما أحال على ترجمة عدد من الأعلام المنتمين إلى نسب بني ماجر[3]، وهو نسب عائد حسب تحقيق العلامة إلى قبيل من دكالة، "وما تزال أطلال سور بلدهم الذي وصفه ابن الخطيب ماثلة إلى اليوم"[4].

وللتحقيق في الوجوه المختلفة لنطق هذا النسب: "الماجري بين الجيم والقاف والكاف، انطلق العلامة من إشارة للمراكشي فك رموزها ليتوصل إلى أن المؤلف سمي "الماقري" وكتبها كتاب المغرب بالجيم "الماجري" من بني يجا، وهم فخذ من بني ماجر الذين ينسب إليهم خميس نيجا المعروف بأحواز آسفي[5].

1-8- أبو المُطَرِّف أحمد بن عبد الله بن محمد الحسني بن أحمد ابن عَمِيرَة المَخْزومي (582هـ - 658هـ):

هو مؤلف كتاب "التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات"[6]، وهو مبدع أندلسي حجبته لزمن طويل سحب الإهمال، وأصبح معها نسيا منسيا، إلى أن بعث الله له

---

[1]- أول تأليف مغربي في المنطق، محمد بنشريفة: 27.

[2]- نفسه: 27.

[3]- نفسه: 28.

[4]- نفسه: 28 .

[5]- نفسه: 28.

[6]- التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، أبو المطرف أحمد بن عميرة، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة، ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1991م)، وهو كتاب من صميم كتب النقد والبلاغة، ألفه صاحبه للرد على كتاب "التبيان في علم البيان" لأبي محمد بن عبد الكريم ابن الزملكاني (ت 651هـ)، أخرجه في حجم متوسط يقع في مائة وستين صفحة، خمسون منها للمقدمة.

من أحياه وأعاده نجما؛ وبإخراجه لهذا العمل، يكون المحقق قد وفى بالعهد الذي قطعه على نفسه حين ألف ترجمة ابن عميرة في أول عمل له سنة 1966م، تحت عنوان: "أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي حياته وآثاره"[1]، فخص الفصل الأول للتحقيق في اسم ابن عميرة، متحريا الدقة العلمية في ضبط الاسم بالشكل الصحيح، حين عرض للخلاف الذي دار بين المصادر حول ضبط الاسم بالشكل، وتسلح بجمع الأدلة لضبط الصواب، معتمدا على النسخ المخطوطة من رسائل ابن عَميرة، وعلى "الذيل والتكملة" للمراكشي، الذي ضبطها بزيادة لفظ "صح" فوقه، وعلى رسمها بالحروف اللاتينية (AMIRA) من قبل عدد من المستشرقين المهتمين بهذه الشخصية[2]، ولم يكتف بذلك، بل نقب عن قرائن ذات طابع إيقاعي، تنم عن إصراره في تنويع الأدلة وتوثيقها، حين قال: "وقد يشهد لهذا الشكل قول ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار: "فوجدت بابن عَميرة أنفع ميرة" فالتناسب التام بين السجعتين يقضي فتح العين" [3].

وتحري الدقة العلمية، انعكس على صيغه التعبيرية، فإذا كان واثقا من أدلته وتحقيقه عبر عن ذلك ("وهو أمر واضح البطلان"، "استنتاج لا أساس له...")، وعندما يعمد إلى تخمينه، يتحرى الحذر في حكمه ويختار صيغا تتلاءم وموقفه ("لست أدري"، و"لا نجد ذكرا لهذا"، "لست أستبعد"، "وقد يكون...")، وهي تعابير تحيل عند القدماء على تواضع العالم، وتحيل عند المحققين المحدثين على التروي في الحكم، وعدم الثقة بالمكتوب أمام ظروف التراث المبتور ووضعية أعلامه المجهولة.

1-9- أبو الحسَن عليّ بن أحمد بن علي المعروف بابن لُبَّال الشَّريشي (508هـ-582هـ):

هو مؤلف "رَوْضَة الأديب في التفضيل بين المتنبي وحبيب" ، وهي رسالة صغيرة في النقد الأدبي، تولى المحقق نشرها سنة 1986م، ضمن كتابه "أبو تمام وأبو الطيب في

---

[1]- أبو مطرف أحمد بن عميرة، محمد بن شريفة:6. وقد جعل هذا الكتاب في مجمله ينفتح على تحقيقه لكتاب "التنبيهات" ويغنيه.

[2]- أبو مطرف أحمد بن عميرة، محمد بنشريفة: 33 (إحالة 1).

[3]- نفسه: 33 (إحالة1).

أدب المغاربة"[1]، لانسجام مضمونها مع سياق الكتاب، فخص الفصل الرابع لتحقيق هذه الرسالة، والفصل الثالث لتقديمها والتعريف بصاحبها[2]؛ وقيمة هذه الشخصية تتجلى في الكشف عن نص جديد، يرجع الفضل في ظهوره إلى كتاب "الذيل والتكملة"، وهو المعتمد في تحقيق اسمه وسلسلة نسبه، إلا أنه لم يعن بضبط هذا الاسم، والمترجم نفسه لم يتمكن من جمع المادة الكافية للتحقيق في الخلاف الذي دار حول ضبطه، وبقي باب البحث في هذه الترجمة مفتوحا عنده، إلى أن فاجأنا بتأليف جديد سنة 1996م، عنوانه: "ابن لُبّال الشريشي"[3] تكميلا لما نشره سابقا، وهو سيرة خاصة بهذا العالم، تشمل معطيات جديدة وتحقيقات مكملة أغنت مقدمة التحقيق، ومن الإضافات الخاصة بضبط الاسم، فصل القول في الخلاف الذي دار حوله، والذي لم يعن به من ترجم له أمثال ابن الأبار (ت 658هـ) وابن عبد الملك (ت703هـ)، فقد ورد مضبوطا في بعض النسخ من المخطوط وفي النسختين الخطيتين من برنامج الرعيني بضم اللام: "ابن لُبّال"، واختلف المشارقة في ضبطه بين ضم اللام وفتحها؛ وللنظر في الخلاف لجأ المترجم إلى حدسه قائلا: "ونظن أن ضم اللام هو الصحيح ولعل هذا الاسم مأخوذ من اسم "لب"، بضم اللام وهو شائع في أسماء الأندلسيين"[4].

أما التحقيق في نسبة "الشريشي"، فقد اعتمد على تنويع القرائن التاريخية والشعرية، والتي أجمعت على نسبته الأموية، وهو عند المحقق "شبه نقيب" للأمويين في شريش، يعتمد عليه في تصحيح أنسابهم[5]، ولتمييزه عن غيره، حقق في المؤتلف والمختلف من الأسماء، وترجم في ملحق خاص "لابن لُبال آخر" نقلا عن نفح الطيب،

---

[1]- أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، محمد ابن شريفة، ط1(بيروت، دار الغرب الإسلامي 1986).

[2]- عنون هذا الفصل بـ "مؤلف روضة الأديب في التفضيل بين المتنبي وحبيب" وقال: "وهذه الروضة هي التي نقدم لها بهذه المقدمة"، ويقصد الفصل الثالث. (نفسه: 179).

[3]- ابن لبال الشريشي، محمد بن شريفة، ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة 1996م).

[4]- نفسه: 41-42.

[5]- نفسه: 42.

إلا أنه لم يتحقق من صلته بالمترجم له[1]. ويبدو أن كتاب "ابن لبال الشريشي" على حجمه واستقلاليته، يمثل مقدمة غنية لتحقيق رسالة "روضة الأديب" على صغر حجمها، ذلك لأن المترجم يعتبر ما يقدمه من بيانات، قابلة لصياغة ثانية أو أكثر تبعا لظهور الجديد، ولعل هذا الطابع الانفتاحي لأعمال العلامة كان لأسباب موضوعية وعلمية ومنهجية، من شأنها أن تؤدي دورا كبيرا في بناء مشروعه الأكبر.

1-10- أبو الحسن عَلِيّ بن حَريق البَلَنْسي (؟-؟):

هو اسم لم يعد اليوم معروفا إلا عند الخاصة أو خاصة الخاصة[2]، لذلك دعا المحقق نفسه إلى إحياء ذكره، بعدما لاحظ اختلاف المصادر القديمة حول هذا الاسم وجهل المتأخرين له، إذ كتب في بعض المخطوطات "ابن شَريق" وكتب في أخرى "ابن خَرُنَق"، وتحريا للدقة في التحقيق حدد اسمه كاملا، وأحال في الهامش على لائحة موثقة لمصادر ترجمته[3] تجاوزت عشرين مصدرا، بين مخطوط ومطبوع، أدلى بها المحقق بعد اختيار أنسبها وكشف غلط بعضها[4].

وللإحالة على أهمية بناء الاسم، افتتح ترجمته بشاهدين مضبوطين بالشكل التام، يضبط الأول منهما الاسم كاملا والأصل: "وحَريق كأَمير: أبو الحسن علي بن حريق البلنسي"، ويضبط الثاني نسبه وأصله: "يقول عمر بن أبي ربيعة (السريع):

أَبْنَاءُ مَخْزوم الحَريقُ إذا حرَّكَتْه نَاره تَرى ضَرَمَا
يَخْرُجُ مِنْهُ الشَّرارُ مَعَ لَهَب مَنْ حَادَ عن حَرِّهِ فَقَدْ سَلِمَا "[5]

---

[1]- ابن لبال الشريشي، محمد بنشريفة: 115- 119.

[2]- ابن حريق البلنسي، حياته وآثاره، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة: 5.

[3]- نفسه: 9 (إحالة 1).

[4]- نفسه: 10.

[5]- ابن حريق البلنسي، حياته: 8.

وهذا التقييد للأسماء والأنساب، وضبط حركاتها وحروفها وصيغها وردها إلى أصولها، صورة حية للضبط والتحقيق، وحاجز مانع أمام أي تحريف أو تصحيف محتمل.

1-11- أبو الحجاج يوسف بن غَمْر: مؤرخ دولة يعقوب المنصور:

وفي إطار عنايته بتصحيح التصحيفات والتحريفات الواقعة في الأنساب، اهتم باسم "ابن غَمْر" بجانب أسماء أخرى كابن خُمَيْر وابن بَيَّاع لا ابن زِنْباع، والبِناهي لا النُّباهي... ففي ترجمته لابن غَمر مؤرخ دولة يعقوب المنصور، تجمعت لديه أدلة تثبت أن صواب الشهرة هو ابن غَمْر (بالغين مفتوحة والميم ساكنة[1]، وقد توالت الأدلة لتأكيد تصويبه بما فيها النصوص التاريخية والشعرية والأنساب والمقاربة بينها، وأول هذه الأدلة ورود اسم غمر منقوطا مشكولا في نسخ عتيقة ومقابلة[2]، ووقوفه عند هذا الاسم -وغيره- جعله يؤكد على الحاجة إلى "تأريخ التاريخ"، يعرف بالمؤرخين في جميع العصور في ضوء ما جد من مخطوطات ومطبوعات.

1-12- حول مؤرخ أندلسي مجهول:

على الرغم من غياب ترجمة خاصة بهذا المؤرخ الأندلسي المجهول، واعتمادا على إشارات شحيحة في كتاب "الذيل والتكملة" تمنى العلامة محمد بنشريفة أن يكون في هذا المقال ما يلقي ولو بصيصا من نور على هذه الشخصية التاريخية، فحقق في الاسم، "يقال

---

[1]- وهي تصحيح لتصحيف ورد في مصدر تاريخي نشر في المغرب ثلاث مرات... هو القسم الأخير من كتاب "البيان المغرب لابن عذاري... تصحيف وقع في اسم مؤرخ إشبيلي تكرر ذكره في القسم المذكور عشرات المرات... جاء في البيان، أبو الحجاج يوسف بن عمر..." (أبو الحجاج يوسف بن غمر، مؤرخ دولة يعقوب المنصور، محمد بن شريفة تعريف وتصحيح تصحيف، مجلة أكاديمية المملكة المغربية الرباط، عدد 10، سنة 1993) (107-83).

[2]- منها التكملة لابن الأبار، والمغرب لابن سعيد، والغصون اليانعة له أيضا، والعطاء الجزيل لأحمد البلوي... فقد ورد اسم غمر مرتين بغين منقوطة وتحت النقطة فتحة وبعدها ميم ساكنة في نسخة التكملة التي كتبت لأبي عثمان سعيد بن حكم أمير مِنْرَقَة وهي الموجودة في الخزانة الحسنية بالرباط). نفسه: 85.

له الحُكَيِّم بضم الحاء وتشديد الياء"[1]. ويعني المؤرخ أبا محمد عبد الله بن عبيد الله الحُكَيِّم وهو نسابة أندلسي.

1-13- ابن خُمَيْر السبتي:

وغيرة على أسماء التراث المغربي الأندلسي، تسلحت، بجانب أستاذنا محمد بنشريفة، جماعة من المحققين المعاصرين، من بينهم رضوان الداية محقق كتاب "تَنْزِيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء" لابن خمير السبتي (ت614هـ-؟)، وهو من قبيل ما كان محجوبا مجهولا، وكان يمكن أن يظل كذلك، في نظر العلامة محمد بنشريفة، "لولا أن قيض الله تعالى له محققا متفننا قام بإعداده وتقديمه إلى الناس... ذلكم هو الأخ الصديق الأستاذ الدكتور محمد رضوان الداية، وهو - وفقه الله- من أشهر المعنيين بخدمة التراث وتحقيقه"[2].

وقد اعتمد رضوان الداية في تحقيق اسم المؤلف على ترجمة قصيرة في التكملة لابن الأبار، إلا أن هذا السند، يشوبه انعدام الضبط؛ واعتماد رضوان الداية عليه، دفع العلامة محمد بنشريفة إلى التعقيب عليه وإعادة النظر في تحقيق الاسم، يقول: "كان ينبغي على المحقق أن يبذل جهدا أكبر في البحث عن اسم الرجل وترجمته في مظانها"[3]، ومن حسن حظ مترجمنا بنشريفة أن يجد لهذا السبتي ترجمة أخرى أكثر فائدة في قلائد الجمان لابن الشّعّار (ت 654هـ)، واعتبارها أساسا ليكون له فضل الكشف عن مصدر جديد للترجمة، وفضل تصويب التحريفات، ثم فضل ضبط الاسم وتوثيقه بالعبارة والحركات، ليجعله: "ابن خُمَيِّر على وزن زُبَيِّر، بضم الخاء وفتح الميم وسكون الياء"[4]، وللمزيد من الضبط والتوثيق، بحث عن الأسماء التي عرفت بهذه الشهرة للتمييز بينها والتحقيق في المؤتلف والمختلف منها[5].

---

[1]- حول مؤرخ أندلسي مجهول، محمد ابن شريفة، مجلة الأكاديمية، عدد 2 فبراير 1985: 101- 122.

[2]- ابن خمير السبتي وآثاره، محمد بنشريفة (مجلة دار الحديث الحسنية، الرباط ع10، 1992م) 13.

[3]- نفسه: 13- 14.

[4]- نفسه: 16.

[5]- إن ولع المحقق بتحقيق الأسماء والألقاب والأنساب وتصويب التحريفات الواردة في المصادر، جعله يترقب عددا من الأسماء في دراساته من قبيل التحقيق في اسم أبي الحسن الحرالي المراكشي (ت638هـ) في تصديره =

وفي بنائه لسير الأعلام، قد تسعفه كتب التراجم والمصادر في تحديد الاسم والنسبة[1]، وقد تعجزه القرائن ويسكت الحدس، فيوسع دائرة البحث والباحثين ويدعو للمشاركة في التنقيب والاجتهاد نحو تحقيقه في اسم "البسطي"، وفي بنائه لسيرة ابن عبد ربه الحفيد الذي لم يجد له نسبا معروفا إلى جده الأعلى، لأن سلسلة نسبه لا زالت مفقودة، يقول: "وكل ما نعرف منها أنه ابن الشيخ الأجل أبي الحسن علي بن محمد بن عبد ربه... ولا نعرف متى انتقلت أسرته من قرطبة بلدها الأصلي"[2].

وعلى كل حال فعشق النسَّابة لبناء الأنساب جعلته يجتهد في بناء كل نسب يحتاج إلى إيضاح بما في ذلك أنساب الأسر، نحو بنائه لأسرة بني عشرة وأسرة بني زهر، وبنائه لأصل الأسر السبتية الواردة في نوازل القاضي عياض[3].

والطريف في الأمر: استوقفه نسب "ابن تاويت" الطنجي، فوقف عليه في "معجم السفر" للحافظ السلفي (القرن السادس) خلال ترجمته لأحد الأعلام المغاربة[4]. وتنسب "تاويت" – حسب السلفي– إلى الأمراء اللمتونيين وهو "اسم بربري تفسيره:

= لكتاب تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، تقديم وتحقيق محمادي بن عبد السلام الخياطي، ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة 1997م): 4.

– ابن بَيَّاع لا ابن زنباع، محمد ابن شريفة (مجلة المناهل، عدد 22 يناير 1982م):529–543

– البِناهي لا النباهي: تحقيق في ضبط نسبة الفقيه القاضي أبي الحسن علي الجدامي (بحث معد للنشر).

[1]– مثال ذلك: نسب شيخ الجماعة أحمد بن الزبير الثقفي (ت708هـ)، ونسب أديب الأندلس أبي بحر التجيبي، ونسب أبي مروان الباجي الإشبيلي...

[2]– ابن عبد ربه الحفيد: فصول من سيرة منسية، محمد بن شريفة:27.

[3]– من أصداء الحياة اليومية في سبتة المرابطية، الدكتور محمد ابن شريفة، مجلة المناهل، ع 22، س 7 يناير، 1982م): 235.

[4]– هذا العلم هو: أبو أحمد عبد الله بن تاويت اللمتوني، من أهل القرن السادس، زار المشرق يقصد الحج والعلم (ابن تاويت والتراث الخلدوني، محمد بن شريفة، (في "الكتاب التذكاري عن فقيد العلم والتراث محمد بن تاويت الطنجي، جامعة عبد الملك السعدي، منشورات مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، طنجة، أعمال اليومين الدراسيين، تنظيم جمعية مكتبة عبد الله كنون ومجلة مواسم للثقافة والإبداع بطنجة، بتاريخ 16–17 ماي 1997): 89–97).

صياح"، وقد تحدث إلى الأستاذ ابن تاويت نفسه حول ما قرأ متسائلا عن الصلة بين ذاك الاسم في القرن السادس وبين الاسم الحالي، فلم يستبعد الطنجي ذلك.

لقد أبان العلامة محمد بنشريفة في ضبطه للأسماء والأنساب وتصويب ما حرف منها عن معرفة بطبقات الرجال واستئناس بأسمائها، ومكنه ذلك من التصوير الدقيق لأسماء أعلامها رسما وضبطا بالعبارة، كما مكنه من وضع الحدود بين المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب. وما كان ليتأتى له ذلك لولا تنقيبه في نوادر المخطوطات عن المهمل منها، ولولا تجربته في جمع الشتات وتهذيبه وإعادة تركيبه. كما أبانت تجربته في رفع الأنساب، عن صعوبة إقامة الترجمة في غياب الدلائل النصية دون اعتماد الترجيح والنقد، وهما عاملان أساسيان عنده لإقامة صرح التراجم المجهولة؛ فبالنقد عارض وصحح ورفع الاشتباه عن الأسماء، وبه كشف عن أسرار البنية المصدرية لمادة النص، وراكم أدلة التحقيق التاريخية والأدبية والمعجمية والأسلوبية والإيقاعية؛ وبالحدس والتخمين وتعليل الترجيح، أبان عن المستور وفك الرموز، مستعينا بالتجربة والتخصص في قراءة المخطوطات وتنفس أساليب رجالها، ومستندا إلى منهج امتزجت فيه العلمية بالفنية لتقربا البعيد، وإلى استقراء الحقائق الجزئية وتركيبها ومراجعتها، مع إظهار الحيطة والحذر في إصدار الأحكام.

2- النشـأة:

لقد جال العلامة محمد بنشريفة في التراث من خلال أعلامه، باحثا عن حقائق تهديه إلى إضاءة معالمها، وكلما وجد مخطوطا كفيلا برسم حقائق جديدة لأحد الأعلام، أسرع إلى استخراج فوائده، وسخر محفوظه وذاكرته لاستبطان ما يكمن بين سطوره من حقائق غطاها الإهمال عبر القرون، إلى أن شبه عمله في بناء التراجم بشجرة ضخمة من أشجار الغابة، عندما تستخرجها من الأرض بجدورها، تجدها تذهب عمقا وفي كل اتجاه عشرات الأمتار، وتجدها قد فرعت بجذرها في باطن الأرض مادة وتركيبا[1].

[1]- محمد بنشريفة: أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، مندوب صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، 1965- 1966م، المجلد 13 (الرباط، منشورات المركز الجامعي العلمي، جامعة محمد الخامس، 1966): 217.

والتأريخ للأعلام ومعرفة أعمارهم، ليس إلا تحديدا لسنوات ولادتهم وسنوات وفاتهم؛ ومعرفة ذلك، عند القدماء، من علم خاصة أهل العلم، ينبغي العناية به، وقد اهتم علماء العرب بمقادير أعمار الصحابة وغلطهم، يقول ابن الصلاح (ت642هـ): "روينا عن سفيان الثوري أنه قال: لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ، أو كما قال:"روينا عن حفص بن غياث أنه قال "إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين، يعني احسبوا سنه وسن من كتب عنه"[1].

ولم يكن المحقق ليركز فقط على التأريخ للشخصيات، وبناء أسرها – وإن كان ذلك همه الأكبر– وإنما كشف أسرارها النفسية ومزاجها وطبائعها وصفاتها لبعث الروح فيها، وهي جوانب مؤثرة، التزم بها المحقق في إحياء أعلامه، فكيف استطاع بعث الروح في تلك الجوانب الحساسة من تلك الشخصيات المطموسة؟

2-1- بناء تاريخ الولادة:

إن التحقيق في تاريخ الولادة والوفاة، من أهم صور التعبير التاريخي صعوبة في إقامة السير، عليها مدار الترجمة، وبها يوثق العالم كلامه؛ والظفر بتاريخ ولادة الأعلام ومكانها في المظان، أصعب بكثير من الظفر بتاريخ الوفاة، وتتضاعف الصعوبة مع الأعلام المجهولة، ذلك لأن ذكر تاريخ الولادة[2] لابد أن يكون بسبب مصلحة، هي بدورها ناتجة عن وجود أدب تراجم متميز، فهل ظفر المحقق بها؟ وكيف استطاع ذلك؟

– ابن عبد الملك المراكشي: ليلة الأحد عاشر ذي القعدة سنة 634هـ بمراكش:

راكم العلامة الدلائل النصية الناطقة بتاريخ مولد ابن عبد الملك ونوعها، ثم قارن بينها، ليختار أقربها إلى الصحة وأكثرها ضبطا وتفصيلا، ومنها شهادة شيخه وصديقه ابن الزبير (ت 708هـ) في مخطوط صلة الصلة: "ومولده ليلة الأحد لعشر خلون من ذي القعدة سنة أربع وثلاثين وستمائة"[3]، وأيد هذا النص بشواهد أخرى نثرية وشعرية[4].

---

[1]– مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ابن الصلاح: 189– 190.

[2]– علم التاريخ عند المسلمين، فرانز روزنتال، ترجمة صلاح أحمد العلي بغداد، مكتبة المثنى، 1963م: 144.

[3]– الذيل والتكملة، المراكشي، سفر8:8.

[4]– نفسه: 8.

ولم يكن ليقف عند سنة الميلاد دون تدقيق النظر في مكانها وظروفها، فإذا كان المؤلف قد نص على الدار التي ولد فيها بمراكش، فإنه لم يحدد موقعها؛ وقد تكفل المترجم بذلك، وجعلها في الحومة التي يسكن فيها وجهاء البلد الذين كان والده وأخواله منهم، مؤيدا رأيه بعدة قرائن موثقة منها أن "دار إقامة قاضي مراكش ابن قطرال ملك له وملاصقة لداره التي ولد بها"[1]، وقد جمع في انتقائه لقرائنه بين المصادر المخطوطة والمرقونة والمطبوعة.

- ابن فركون: 781 هـ بغرناطة:

بحثا عن تاريخ مولد ابن فركون في الديوان، توسل العلامة إلى النقد الداخلي بتتبع أخبار الديوان، فوجد ما يدل على ذلك في قصيدة له نظمها في الجناب النبوي سنة 818هـ، أثبتها مضبوطة بالشكل التام، ومنها (الطويل):

ومِنْ بَعْدِ مـا مَـرَّتْ ثلاثـون حِجَّـةً وسَـبْع يُـرَامُ الأَنْـسُ أو يُتَـوَهَّمُ

فاستنطق مدلول إشارتها، وفك شفراتها، ليتوصل إلى الفارق الزمني بين تلك الإشارة وزمن نظم القصيدة، وقال: "ومعنى هذا أنه ولد حوالي 781هـ"[2]، ثم حقق في صدق إشارته الدالة على نبوغه المبكر في قول الشعر دون أن يغفل مكان ولادته بغرناطة[3]، واستطاع، بفضل حاسته النقدية وتذوقه للإشارات الشعرية وحل رموزها، أن يؤلف هذا الجانب من الترجمة.

- أبو المُطَرف أحمد بن عَميرة: رمضان عام 582 هـ بشُقْر:

عرض المترجم في مقدمة تحقيقه لكتاب "التنبيهات"، للخلاف الذي دار بين كتب التراجم حول تاريخ ولادة ابن عميرة ما بين 580هـ و 582 هـ[4]، وهو خلاف سبق عرضه في كتابه "أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي"، حين قام بتحليل الروايات المختلفة

[1]- الذيل والتكملة، المراكشي، س 8: 8.

[2]- ديوان ابن فركون: 12.

[3]- مظهر النور، جمع أبي الحسين ابن فركون: 7.

[4]- التنبيهات، ابن عميرة: 48.

ومقابلتها، ومراجعة النصوص ببعضها، محددا الآخذ منها من المأخوذ عنها، ليخلص بعد تمحيص إلى ترجيحه الخاص: "والذي نرجحه أن يكون ابن عميرة ولد في رمضان 582هـ"[1]، ولتعليل ترجيحه قابل بين المصادر القديمة والمصادر الحديثة، فالقديمة تجمع على أن مولده كان في شهر رمضان عام 582هـ- 1186م، باستثناء المقري في نفح الطيب الذي جعله في رمضان 580هـ- 1184م؛ أما المصادر الحديثة، عربية واستشراقية، فعرفت ترددا بين التاريخين، مما جعل المترجم يرد هذا الخلاف إلى سهو المقري عند نقله للتاريخ، أو إلى تحريف من النساخ، بدليل "أنه يتفق مع التاريخ الموجود عند سابقيه في الشهر ويختلف معه في السنة، وبدليل أنه لم يذكر إلا رواية واحدة في هذا الصدد"[2].

وللتحقيق في مسقط رأسه، لجأ إلى دراسة آثاره، إلى أن كشف عن شذرات شعرية في رسالة له يصف فيها استيلاء المسيحيين على مدينة شُقّر[3] وتوجعه على سقوطها[4]؛ ولتحري الدقة في ضبط مكان مولده، تتبع الخلاف الذي دار بين مترجميه القدماء والمحدثين، وسطر على مواضع الغلط منها، محددا الناقل من المنقول، فابن الأبار جعل بيته في جزيرة شُقر ولم يصرح بمولده بها، وابن عبد الملك شك في مكان ولادته، وتبعه في شكه ابن الخطيب، أما المقري (ت 1041هـ) فقد اضطرب كلامه بين شقر وبلنسية؛ وأما المتأخرون فقد وقعوا في خطأ - حسب تتبع المترجم- حين اعتبروا ابن عميرة بلنسيا شقوري الأصل، نسبة إلى شقورة، ومن بينهم محمد عبد الله عنان (ت 1986م).

وكعادته، قدم وصفا دقيقا لموطن ولادته شُقر، فحدد موقعها الجغرافي والعلمي، اعتمادا على وصف الجغرافيين والمؤرخين[5]، وغايته من ذلك تصوير ظلال البيئة التي ولد فيها المؤلف، فكان في تحقيقه يتحرى الحذر فيما يقرأ، مناقشا للنصوص ومقارنا بينها،

---

[1]- أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره، محمد بن شريفة: 48.

[2]- نفسه: 48.

[3]- عرض المحقق في الهامش للخلاف الذي عرفته المصادر حول ضبط هذا الاسم بين ضم الشين وسكون القاف" شُقْـر"، وفتح الشين "شقر"، وضمها بالمد: شُوقر jucar (نفسه 43 (إحالة1)).

[4]- نفسه: 43.

[5]- نفسه: 46-47-48.

متعقبا لهفوات أصحابها ومصححا لأخطائهم، واضعا اليد على أقدم المصادر وأقربها لزمن المؤلف، مستعينا دائما بتذوق النصوص التي يقتضيها المقام ويحددها سياق الكلام، فإذا أثاره الخطأ وعظم عنده، انفعل وانعكس ذلك على عباراته وأسلوبه: "وهذا التعليق لا معنى له هنا"[1]، وإذا أثاره سكون المصادر ولجأ إلى الترجيح والتخمين اعتذر، وعبر عن تحفظه بحذر: "والذي نرجحه... ومن الغريب أن المقري لم يشر إلى هذا التاريخ، وهو أمر يجعلنا نظن أن ما ورد في النفح ليس إلا سهواً..."[2]، ثم علل وراكم القرائن.

وهذا امتداد لمنهج بعض شيوخه أمثال عبد الله كنون في تحقيقه لتاريخ ولادة الشاعر ابن زاكور، حين اعتمد على جمع الإشارات المتفرقة وإعادة ترتيبها، وعلى منهج التقريب والترجيح، فلجأ أولا إلى رحلة الشاعر وأثبت من خلالها صلته بشيخه عبد القادر الفاسي المتوفى سنة 1091هـ، في مرحلة الصبا، ثم عمد إلى الفرضية التالية: "فلو فرضنا أنه كان حينذاك في سن الثانيةعشر أو الثالثة عشر، وهي السن المقدرة لنجباء الأولاد الذين يفرغون من حفظ القرآن، ويعكفون على قراءة المتون العلمية، لكانت ولادته فيما بعد 1075هـ"[3]، وليؤكد فرضيته اعتمد على إشارات متنوعة، منها أنه توفي مختضرا في 20 محرم عام 1120هـ، وأن الموت اختطفته في عنفوان العمر، كما أنبأ عن ذلك ابن الطيب العلمي في رثائه له من خلال مقولته "عنفوان العمر وابتداره"، وهي عند المحقق إحالة على سن الأربعين، ثم برهن على نبوغ الشاعر المبكر بنظم شعري له في صباه؛ وبذلك ضم الإشارة إلى الأخرى وقدر مولده فيما بعد 1075هـ[4].

- **الكَفيف الماجري:؟ (نهاية القرن السادس):**

واجه العلامة صعوبة كبيرة في تحقيق تاريخ ميلاد الماجري، إذ لا وجود لترجمته في كتب التراجم والمعاجم، ولم يعرف تاريخ ميلاده بالضبط[5]، فهو شخصية عرّف بها

---

[1]- أبو المطرف أحمد بن عميرة ، محمد بن شريفة: 45.

[2]- نفسه: 48.

[3]- المنتخب من شعر ابن زاكور، جمع عبد الله كنون: 9.

[4]- نفسه: 9.

[5]- أول تأليف مغربي في المنطق، أسهل الطرق إلى فهم المنطق للماجري، ابن شريفة: 29.

العلامة لأول مرة، لذلك لجأ إلى التقدير، باحثا عن إشارات تزيل بعض الغموض وتقرب القارئ من عصر المؤلف، وقد وقع على نبذ متفرقة في ثنايا المصادر، أولها جعلته من طلبة العلم الذين أفادوا من الإجازة العامة التي صدرت عن ابن مضاء القرطبي سنة 592هـ، اعتمادا على الجزء الأول من كتاب الذيل والتكملة"[1]، وثانيها جعلته يدرس في مراكش خلال سنة 596هـ، اعتمادا على السفر الثامن من "الذيل والتكملة"، وثالثها جعلته يستمر في تلقي العلم في مراكش حتى نشوب الفتنة بعد وفاة المستنصر الموحدي سنة 620هـ، اعتمادا على إشارة من "البيان المغرب" لابن عذاري[2]، وهي نبذ راكمها المحقق وقارب بينها، ليصور المرحلة التاريخية بشكل تقريبي، وليركب من خلالها واقع مراكش العلمي، ويبني عليها تعليمه وتحصيله ونشأته[3].

أما موطن ولادته، فلم يتوصل إلى نتيجة ثابتة، لغياب الشواهد، لكنه أظهر تردده بين موطنين لارتباط كل موطن بقرينه، لذلك اكتفى بطرح سؤال انفتاحي قائلا: "لا نعرف أوُلد الماجري في مدينة آسفي حيث كان فيها لجل الماجريين دور، وحيث رباط الشيخ أبي محمد صالح أم أنه ولد في بني ماجر، وقد نعته مؤلف مفاخر البربر بنزيل آسفي"[4].

إن هذا النمط من التوثيق، القائم على النقد والترجيح واعتماد الحدس، بسبب الاختيار الصعب للأعلام المهملة وتحدي الظروف للتعريف بها، نلمسه في اختيارات علماء التحقيق المغاربة، أمثال محمد بن تاويت الطنجي في تحقيقه لتاريخ ولادة أبي الربيع سليمان الموحد (ت 560هـ)[5]، باشتراك مع محمد بن العباس القباج (ت1980م) وابن تاويت التطواني وسعيد أعراب، حين انطلقوا من افتراض وعللوه بإشارات شعرية أدبية

---

[1]- أول تأليف مغربي في المنطق، ابن شريفة: 29.

[2]- نفسه: 29.

[3]- نفسه: 29- 30.

[4]- نفسه: 29.

[5]- هكذا أثبته المحققون على الغلاف، مع ضبطه بالشكل: "المُوَحِّد"، في حين ضبطه قبلهم الأستاذ عباس الجراري في دراسته الجامعية: "أبو الربيع سليمان الموحدي"، وكلاهما صحيح - حسب العلامة محمد بنشريفة- لان القياس هو الموحد مفرد الموحدين، مثلما هو قياس المرابط في المرابطين، والنسبة على غير قياس هي "الموحدي" وهي الأكثر تداولا.

وتاريخية، معتمدين على النقد الداخلي بتحليل أشعار الشاعر نفسه، ومقارنتها بالأخبار التاريخية[1]، ليخلصوا إلى القول: "نستطيع أن نقول -في شيء من التحفظ- إنه ولد في حدود اثنين أو ثلاث وخمسين وخمس مائة...إن صح هذا الافتراض"[2]. أما مكان الولادة، فهو غير ثابت عندهم، لذلك اكتفوا بالتخمين والظن: "وأغلب الظن أن مولده كان ببجاية، التي قضى فيها أبوه حياته واليا"[3].

إن الظروف القاسية للتراث الأندلسي والمغربي وضياع أثر أعلامه، في مقابل تحديات إنقاذه، دفعت علماء التحقيق المغاربة لخوض غمار هذه الصناعة، من أجل تصحيح ما يمكن تصحيحه، نحو صنيع ابن تاويت الطنجي ومحمد إبراهيم الكتاني (ت1990م) ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة في تحقيق مشترك لكتاب "البيان المغرب"[4] - قسم الموحدين- لابن عذاري، حين حققوا في زمن هذا المؤلف وكشفوا وهما وقع فيه رينهارت دوزي[5] (Reinhart Dozy) ومن نقل عنه، أمثال العباس بن إبراهيم والزركلي في إعلاميهما حين أقروا بأنه عاش حتى نهاية القرن السابع تقريبا، فاستدرك المحققون المغاربة هذا الوهم وقابلوه بالمتن المحقق معلقين على ذلك في قولهم: "هكذا قيل ولكن المتتبع لما ورد بكتابه، يدرك أنه عاش أوائل القرن الثامن، حيث أدرك العقد الثاني منه، وذلك ما نجده أواخر الجزء المعني هنا"[6].

---

[1]- ديوان الأمير أبي الربيع سليمان الموحد، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ومحمد ابن العباس القباج وسعيد أعراب ومحمد بن تاويت التطواني، بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي وتحت إشراف معهد مولاي الحسن للبحوث المغربية، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس (تطوان، المطبعة المهدية، (د.ت)): 4.

[2]- نفسه: 4.

[3]- نفسه: 5.

[4]- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت الطنجي ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة، ط1 (بيروت، دار الغرب الإسلامي، البيضاء، دار الثقافة، 1985م، قسم الموحدين).

[5]- حقق رينهارت دوزي سنة 1848م الجزء الأول والثاني من البيان المغرب لابن عذاري، وحقق ليفي بروفنسال سنة 1930م الجزء الثالث منه، ثم أعاد جورج كولان وبروفنسال تحقيق نشرة "دوزي" سنة 1848م، ثم قسم ثالث من الكتاب حققه سنة 1963م "هويتي ميراندا" بمساعدة محمد بن تاويت وإبراهيم الكتاني، وحقق إحسان عباس قسما رابعا سنة 1967م، وفي سنة 1985م حقق قسم الموحدين.

[6]- نفسه: 7.

لقد اعتبر العلامة محمد بنشريفة مساءلة تاريخ الولادة وموطنها، إحدى البوابات الأساسية لإحياء الشخصية المغربية الأندلسية، بالرغم من صعوبة تحقيقها، لأنها تسعف في تحديد المنطلقات الأولية والأساسية للدراسة. وأمام حسرته على الإهمال الذي علق بهذا الجانب من التأريخ – وهو جانب الحجج المنطقية المعينة على التمييز بين فقرات التراجم– اجتهد في البحث عن تقنيات في الربط والفصل، وفي المقاربة والمعارضة بين النقد الداخلي للمادة المحققة والنقد الخارجي للمصادر القديمة والحديثة، وكان يجتهد، قدر ظروف تحقيقه، لضبط التواريخ مفصلة، بتحديد اليوم والشهر والسنة، وإذا تعذر عليه ذلك، يحاول بشكل تقريبي: "رمضان عام 582هـ" أو يكتفي برفع السؤال للمتلقي الباحث.

وفي تحقيقه لتاريخ ولادة ***البسطي***، تتبع حياة معاصريه الذين خاطبهم بشعره، مستخلصا لأحداث تاريخية انطلاقا من شعره، ومتوسلا إلى سنوات وفاة رفقائه في الدراسة ومعاصريه، واستطاع أن يقدر ولادته في العقد الثاني من القرن السابع الهجري بمدينة بسطة[1]؛ وفي بنائه لمولد **ابن عبد ربه الحفيد** أشار إلى أن مترجميه لم يذكروا مكان ولادته ولا زمانها، ولكنه استفاد من نسبته السابقة أنه ولد إما في مالقة وإما في الجزيرة الخضراء... ومن سنه عند وفاته، ليستنتج ولادته حوالي 530هـ[2].

أما مولد **الفقيه الكانوني**، فقد عمل العلامة محمد بنشريفة على تصويب الاضطراب الذي وقع فيه الأستاذ المرحوم عبد السلام بن سودة، في تحديده لتاريخ ميلاده ومكانه، فصوب الخلط اعتمادا على مصادر ترجمته وعلى قرائن دالة[3].

والطريف في الأمر، أن المترجم عاين في بنائه موطن ولادة الأعلام، وربطها ربطا مؤثرا بنشأتهم، وأحيانا بحياتهم العلمية والأدبية، مثلما هو الحال مع مدينة شاطبة، موطن

---

[1]– البسطي آخر شعراء الأندلس، محمد بن شريفة: 17.

[2]– ابن عبد ربه الحفيد، محمد بن شريفة: 37.

[3]– الفقيه الكانوني ومؤلفاته، محمد بن شريفة، أعمال الملتقى الفكري الأول لمدينة آسفي، آسفي: دراسات تاريخية وحضارية، 23– 25 يونيو 1988م (شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 1989): 176.

ولادة ابن مغاور الشاطبي (502هـ- 587هـ)[1]، ومدينة شَريش، موطن ولادة ابن لبال الشريشي (508هـ-582هـ)، حين دقق النظر في الاسم وأصله وموقعه، وكان يجتهد في إيجاد وجود للمسميات على الخارطات الحديثة أو القديمة، إلى أن جاءت تعريفاته بمواطن المواليد ركنا مساعدا على التحقيق في ظروف النشأة والتحصيل.

2- 2- بناء الأسر:

إن ولع العلامة محمد بنشريفة بضبط الأسماء والأنساب والألقاب، قد يمكنه من وضع الحدود بين فقرات الترجمة وتعيين المادة المرتبطة بها، وقد يساهم في بناء جوانب أخرى غامضة لترابط مكونات الترجمة، نحو التحقيق في الأسرة، فإصراره على بناء الحياة الأسرية للمؤلف، وتجاوزها أحيانا إلى الحياة العائلية، جعل صناعته للتراجم أكثر تفصيلا، وجعل مجهوده مضاعفا في مواجهة الغموض والتناقضات، وفي إزالة الكثير من التضنن الذي عرفه تاريخ الأسر المغربية، وفي التنقيب عن الشواهد وترجيح الآراء بالدليل، فما الجديد الذي قدمه لهذا الجانب من الترجمة؟ وكيف تحقق له ذلك؟

- أسرة أبي يحي الزجالي:

درسها العلامة من جهة الأب ومن جهة الأم، ليتحقق من أصله المغربي، وإن كان قرطبي البيت والنشأة، ومن انحداره من أسرتين كبيرتين هما: "بيت الزجاليين من جهة أبيه، وبيت بني قطرال الأنصاريين من جهة أمه"[2]، وكان ينفق وقتا طويلا بحثا عن فروع هذه الأسر في المظان وكتب التاريخ والتراجم ووراء الصور الشعرية للمؤلف، فإذا لمرينته إلى نتيجة يطمئن إليها، يصرح بذلك ويلجأ إلى التقدير، أو يرفع أسئلة انفتاحية نحو قوله: "ونحن لا نعرف ما هي الأعباء الثقيلة التي تحملها، فهل هي أعباء الحياة الفردية الشخصية أم أنها أعباء الأهل والأولاد أيضا، فأما الأولاد فلا نجد لهم ذكرا فيما وصل إلينا من شعره"[3].

---

[1]- ابن مغاور الشاطبي، حياته وآثاره، دراسة وتحقيق محمد بنشريفة: 11-13.

[2]- أمثال العوام في الأندلس، الزجالي، ق1:7.

[3]- نفسه: 44.

أما عن زوجه، فقد اقتنص المحقق إشارة من شعره، وردت في السفر الأول من مخطوط "رَيّ الأوام ومَرْعى السوام في نكت الخواص والعوام"، أثبتها المحقق مضبوطة بالشكل (المتقارب):

تَجَـنّيـكِ شَيَّبَنـي فَـاهْـدَئِـي ولا تَعْجَبـي مِـنْ زَوَالِ الشّـبَاب
ولا تَهْـجُرِيـنِـي فأنـتِ الـتي جَنَيْـتِ المَشِيبَ بِطـُول الْعِتابِ

وبما أنه يجهل مبلغ ما في البيتين من الواقع، لجأ إلى التقدير مستخدما مقياس "الإمكان" عله يضفي على القرينة الشعرية بعض المصداقية قائلا: "والغالب أن شعر الفقهاء... – وهذا منه– لا ينطبق عليه ما ينطبق على شعر الشعراء في هذا الباب، ولذلك فمن الممكن أن يكون الخطاب في البيتين لزوجه..."[1]، وهذه طريقة مبتدعة عند المغاربة، فرضتها ظروف هذه الأعلام المغمورة، وإهمال المصادر لهذا الجانب المهم من الترجمة.

وقد اعتبر التحقيق في الصفات الخُلقية والخِلقية جانبا مهما، له ارتباط بنشأة الشخصية، وقد يمتد إلى التحقيق في أفراد الأسرة، فعندما أنبأ المترجم عن صفات مترجمه، بعد تذوق شعره وتفسيره وتأويله، أفصح عن نتائجه قائلا: "وفي هذه الأبيات ما ينبئ عن بعض صفاته الجسمية، ويفهم منها أنه كان متين الخِلقة أزهر اللون كما كان جده ابن قطرال فيما وصفه به ابن عبد الملك"[2].

– أسرة ابن عبد المالك المراكشي:

بالرغم من أن العلامة لم يقف على ترجمة لوالد المراكشي: محمد بن عبد الملك، فإنه عرف به وبأوصافه، ووضح ما كان بينه وبين المترجمين من صلات التلمذة أو الصحبة، وعرف بمكانته الاجتماعية والثقافية من خلال شذرات متفرقة مبثوثة في أثناء تراجم الأسفار الموجودة من كتاب "الذيل والتكملة"، جمعها وأعاد بناءها، ثم رمم بترها، مؤكدا من خلالها بأنه من أهل العلم والفضل، وأنه من "المقرئين الذين كانت لهم مكانة في مراكش"[3].

---

[1]– أمثال العوام في الأندلس، الزجالي، ق1: 45.

[2]– نفسه: 46.

[3]– الذيل والتكملة، المراكشي، س8: 5.

وبما أن المترجم لا يملك ما يكشف له عن حقيقة طفولة المؤلف، والفترة الأولية من تعلمه، فقد افترض، اعتمادا على القرائن السالفة، تعلمه في هذه الفترة على والده، الذي كان من شيوخ الإقراء[1]، والذي فقده – حسب تخمين المترجم- في وقت مبكر من نشأته، مستفيدا ذلك من إشارة للمراكشي في ترجمة ابن قطرال حين قال: "وكان قد جاورني مدة... ولم يكن هنالك من يرشدني للقراءة عليه والأخذ عنه.."[2]، وهذه العبارة في نظره دالة على أن المراكشي كان في حاجة إلى من يوجهه ويرشده، إذ توفي الأب سنة 651هـ وسن الابن لا تزيد عن خمس عشرة سنة تقريبا[3]. ولإضاءة مرحلة الطفولة، لجأ إلى التحقيق في صفاته، ليتوصل إلى نبوغه ووعيه المبكر، من خلال شواهد من كتاب "صلة الصلة"، أيدها بإشارات من كتاب "الذيل والتكملة"[4].

وللتعريف بأسرة المؤلف من جهة أمه، قام بعملية استخراج عجيبة وبطريقة استدلالية، حين حقق في رابط الأخوة بين جدته لأمه وبين زوج الخليفة يوسف بن عبد المومن[5]، وحين حقق في تراجم أحد أخواله للكشف عن البيئة التي نشأ فيها ابن عبد الملك[6]، إلى أن وقف عند معلومات "تعرف لأول مرة في البيئة العائلية والاجتماعية التي ولد في ظلها"[7] وقاده استقصاؤه إلى نتائج جديدة نحو انتمائه إلى أسرة مراكشية نبيلة وبيت نبيه[8].

---

[1]– الذيل والتكملة، المراكشي، س 8: 8.

[2]– نفسه: 9.

[3]– نفسه: 9.

[4]– نفسه: 9.

[5]– نفسه: 6.

[6]– نفسه: 5–7.

[7]– نفسه: 7.

[8]– نفسه: 60.

وأما زواجه وأولاده، فلم تذكر المصادر متى تزوج ولا من أين، ويبدو حسب ترجيح المحقق، أنه تزوج في شبابه "بعد أن قطع شوطا كبيرا في دراسته"[1]، وسنده في ذلك اقتناص إشارات من أسفار "الذيل والتكملة" والربط بينها ربطا فنيا، منها طلب المؤلف الإجازة "خلال رحلته في شبيبته إلى الأندلس لأولاده من ابن خميس، فأجاز لمن أدرك حياته منهم، قال ابن عبد الملك: "وأدركها منهم محمد وأحمد، كان الله لهما". وقد توفي الشيخ المذكورسنة 688 هـ وأدرك محمد المولود سنة 674هـ أربع عشرة سنة من حياته"[2].

وقد فهم المحقق من هذا النص، أن ابن عبد الملك كان متزوجا في ذلك التاريخ[3]، كما فهم من ترتيب ابن عبد الملك أن محمدا هو أكبر أولاده (ت 743هـ)، وأنه ورث سر أبيه وأدبه، أما أحمد فجعله ثاني أبنائه حسب ما فهمه من نصوص ابن القاضي، وقد كشفت نصوص "الذيل والتكملة" عن صحبة الأب لهذا الابن في رحلته إلى تلمسان عام 699هـ[4]. أما باقي أولاده فقد تحدث عنهم المراكشي بالجمع أحيانا وبالتحديد أحيانا أخرى[5].

إن العلامة في تحقيقه لأسرة المراكشي، لم يتجاوز النقد الإيجابي لتحليل نصوص "الذيل والتكملة"، مع اعتماد الترجيح عند شعوره بالتردد والحيرة، وإثبات الوجوه الراجحة والمرجوحة، لكي يختار القارئ نفسه الوجه الذي يرتضيه.

- أسرة الكَفيف الزَّرهوني:

اهتم العلامة محمد بنشريفة بالتحقيق في الأسماء التي يرجح صلتها من حيث النسب بالكفيف عبد الله الزرهوني، إلى أن عثر في "شذرات الذهب" لابن العماد الحنبلي على فقيه محدث مغربي الأصل، اسمه يحي بن عبد الله الزرهوني (ت 773هـ)، فحقق في علاقته بالمؤلف بعد توثيق ترجمته، ليستنتج بأن هذا العلم من حيث الاسم ومن حيث

---

[1]- الذيل والتكملة، المراكشي، س 8: 60 .

[2]- نفسه: 60.

[3]- نفسه: 33.

[4]- نفسه: 60- 61.

[5]- نفسه: 62.

التاريخ "يصلح أن يكون ولدا لسيدي عبد الله الكفيف الزرهوني شاعرنا"[1]، إلا أن قرائنه غير كافية لإثبات هذه الأبوة، ليبقى سؤاله قائما إلى حين[2].

إن الاهتمام بهذا العنصر: "الأسرة" في بناء الترجمة، والالتزام بالتحقيق في جزئياته، كان ميزة تميز بها المترجم عن معاصريه، وانفرد بتحمل أعبائها، سالكا منهج بعض شيوخه أمثال محمد الفاسي، الذي أضاء اسم مترجمه "القيسي" بالتحقيق في الأسرة القيسية، فتتبع هذه الأسرة في كتب التراجم، إلى أن وجد إشارة في كتاب "التشوف" إلى أحد معاصريه يسمى أبا العباس أحمد بن محمد القيسي من أهل مراكش وقال: "فلعل رحالتنا ابن مليح من حفدته"[3]، كما وجد اسما آخر: "فلعله مؤسس هذه الأسرة القيسية"[4]. والملاحظ أن أسلوب الترجيح والتخمين غالب على صياغته نظرا لظروف الترجمة. وقد لا يتجاوز بعض المحققين في تناولهم لهذا الجانب الخاص، عرض الخلاف الذي دار حول مصادر ترجمة الأسر، لإثبات أصح الروايات وأنسبها، نحو صنيع ليفي بروفنسال خلال تحقيقه في أسرة ابن المصعب الزبيري (ت236هـ)[5].

- أسرة أبي الـحُسَيْن ابن فُرْكُون:

في مقابل غياب ترجمة لابن فركون في المراجع المتوافرة، اعتنى المحقق بالتعريف بأفراد أسرته، وأحال على مصادر تراجمهم[6] بعد معارضتها بما جاء في الديوان، وربط شهرة هذه الأسرة بانتقال الجد أحمد بن محمد إلى غرناطة وولايته قضاء الجماعة فيها، وتوصل إلى أن والد الشاعر (ولد 747هـ) كان قاضيا فقيها وأديبا شاعرا، وكان عمه أبو

---

[1]- ملعبة الكفيف الزرهوني: 6 (إحالة 2).

[2]- نفسه: 6 (إحالة 2).

[3]- أنس الساري والسارب، القيسي، تحقيق محمد الفاسي:ب.

[4]- هذا الاسم هو" محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن عبد العزيز بن طاهر القيسي، كان نزح إلى مراكش في القرن الهجري السادس...، حيث توفي سنة 574هـ" (أنس الساري والسارب، القيسي: ب).

[5]- كتاب نسب قريش، أبو عبد الله بن المصعب الزبيري، عني بنشره لأول مرة وتصحيحه والتعليق عليه ليفي بروفنسال، ط3 (القاهرة، دار المعارف، 1953): 6-7.

[6]- ديوان ابن فركون: 9 (إحالة3)- 11 (إحالة 11).

الطاهر فقيها قاضيا...[1]، ونشأ هو في حجر والده – تلميذ ابن الخطيب– إلى أن أدرك مكانة كبيرة في عهد يوسف الثالث.

– أسرة أبي المُطَرِّف أحمد بن عَمِيرة:

اهتدى المحقق في تحقيقه لأسرة ابن عميرة[2] إلى طفولته –وهي ناحية يهملها كتاب التراجم الأقدمون[3] – فكشف كثيرا من الجوانب التي كانت خفية من حياته في أسرته التي لم تتحدث عنها المصادر، وعكف على رسائل ابن عميرة ليستقي منها ما يمكن أن يفيده في ترميم أخبار أبويه وزواجه وأبنائه، معتمدا في ذلك على ما يشبه قياس المعلومات ببعضها، وربط الرسائل ببعضها، فعرف أولا بأفراد أسرته الكبرى، لما فيها من دلالة على مبلغ اهتمامه بشؤون قرابته وإخوته، وتفانيه في خدمتهم في ظروف الجلاء والأهوال[4]، ثم عرف بأسرته الصغرى، المكونة – اعتمادا على رسائله – من زوجه وولديه أبي القاسم (ولد 629هـ) وعبد الله (ولد 639هـ)، يقول: "ولسنا نعرف شيئا عن زوجه وتاريخ زواجه"[5]، لكن من خلال العثور على تاريخ ولادة ابنه البكر أبي القاسم سنة 629هـ، وربط هذا التاريخ بتاريخ ولادته هو نفسه (582هـ) يستنتج: "والذي يبدو لي أنه قد استنفد شبيبته في تحصيل العلم والتجوال... ولم يركن إلى الحياة الزوجية إلا بعد أن أشبع نهمه العلمي... أي بعد أن قارب نهاية العقد الخامس من عمره"[6]. ومن خلال هذا الربط بين المعلومات، وذلك التتبع الدقيق لرسائله الإخوانية عبر تسلسلها التاريخي بشكل تقريبي، وترقب أخبار أبنائه، أيد تلك الأخبار بقرائن نثرية وشعرية من النقد الخارجي[7]؛ فأغنى بذلك هذا الجانب من الترجمة، بتخصيص فصل كامل لحياة ابن عميرة في أسرته.

---

[1]– ديوان ابن فركون: 7 (إحالة3)– 11 (إحالة 11).

[2]– خصص المحقق الفصل الثالث كاملا لحياة ابن عميرة في أسرته (أبو المطرف أحمد بن عميرة، ابن شريفة: 51–62).

[3]– نفسه: 307.

[4]– أبو المطرف أحمد بن عميرة، محمد بن شريفة: 53–57.

[5]– نفسه: 58.

[6]– نفسه: 58.

[7]– نفسه: 60.

- **أسرة ابن لُبَّال الشّريشي:**

لا يعرف المحقق شيئا عن طفولة ابن لبال وأسرته، فافترض نشوءه في أسرة فقيرة من تلك الأسر الأموية التي "أخنى عليها الدهر وجر الخمول أذيالها عليها يومئذ"[1]، معتمدا في تعليل افتراضه على استقراء ما توافر من ترجمته وربطها بالأحداث التاريخية.

وخلال بحثه عن أدلة لإضاءة نشأته، عثر على اسم شبيه باسم المؤلف، لشاعر اسمه أبو الحسن ابن لبال، ترجم له ابن خاقان، إلا أن المحقق لم يستطع تحديد علاقة هذا الشاعر بمترجمه، وإن أشار إلى أن "جد هذا يسمى أبا الحسن علي ابن لبال، غير أن الفرق الزمني بين الرجلين قد لا يسمح بالقول إنه هو المذكور عند ابن خاقان"[2].

انطلاقا مما سبق، يمكننا أن نتلمس مدى إهمال التاريخ لهذا الجانب من الترجمة، ومدى الصعوبة التي يواجهها المترجم المحقق في العثور على إشارات بانية أو مساعدة.

- **أسرة ابن حَريق البلنسي:**

ولد ابن حريق ببلنسية سنة 551هـ لأسرة لا يُعرف عنها شيء، وأمام جهل المصادر لها، انطلق المترجم من افتراض، معتقدا بأن أسرته لم يكن لها نصيب من العلم أو حظ في الأدب، لأنه أول المترجمين من أهل بيته[3]، وذلك بعد أن بحث في أسماء البلنسيين المنتمين إلى مخزوم، ولم يجد إلا قلة قليلة عرف بها، فلجأ إلى شعره منقبا عن إشارة تضيء هذا الجانب، يقول: "وقد أشار في بعض شعره إلى أفرادها إذ يقول مادحا (الوافر):

وإنَّـــكَ أكـــثرُ الـمُـتْـرِين يـومـــاً إذا أحرزْت شُكْرَ بَني حَـــرِيقِ "[4].

ثم عقب على البيت قائلا: "ولكننا لا نعرف من بني حريق هؤلاء إلا أبا الحسن هذا وولديه أحمد وإبراهيم"[5]، وقد كشف من خلال نظمه ونثره، حقيقة ولديه اللذين نعتهما بالخلق الطيب، حين قال في بعض ممدوحيه (الوافر):

---

[1]- ابن لبال الشريشي، محمد بن شريفة: 42.

[2]- نفسه: 42.

[3]- ابن حريق البلنسي، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة: 10- 11.

[4]- نفسه: 11.

[5]- نفسه: 11.

وَلِي زَغـــبٌ كـــزغب الطَّير فُلّـَتْ بِهِنَّ شَـــبَاةُ حَـــدِّي واعتـــزامي[1]

فعرف بالأول: أبو القاسم أحمد[2]، وأشار إلى الثاني، أبو إسحاق إبراهيم، الذي لا يعرف من أمره شيء، لولا عثور المترجم على إشارات لوالده الذي سماه في مقدمة شرحه: "الرسالة المفيدة والأملوحة الفريدة"، وعلى غرارها قدم ومضات تعرف بهذا الابن، الذي لم يكن أقل من أخيه عناية بالعلم والأدب[3].

وكعادته في البناء، يتتبع بالتحليل كل الإنتاجات الشعرية والنثرية للمؤلف، بحثا عن تكثيف القرائن، وهي خاصية من خصائص التعريف بالأعلام، مصداقا لقول شوقي ضيف: "وكيف يمكن لباحث أدبي مثلا أن يكتب بحثا عن شاعر... وهو لم يقرأ كل إنتاجه الشعري"[4]. وفي حالة غياب الأدلة، يلجأ إلى الحدس لتنوير الإشارات الباهتة، مع التروي دائما في إصدار الأحكام وعدم التسليم بها، يقول: "هذا هو أبو القاسم الولد البكر – فيما نقدر– لابن حريق... لانستبعد أن تكون له ترجمة في المظان المفقودة"[5].

– بنو زهر: نظرات في تاريخ أسرة أندلسية:

اقتحم العلامة محمد بنشريفة بناء تاريخ أسرة مغربية مغمورة: بنو زهر، فدرس مصادر ترجمة ابن زهر الجد، يقول مبينا مكمن الصعوبة في بنائها: "كما رأينا بالنسبة لأبيه زهر وجده عبد الملك، فإن عبد الملك الحفيد لا يعرف له تاريخ ميلاد، وكل ما نعرفه أن

[1]– ابن حريق البلنسي: 41.

[2]– قدم المحقق تعريفا بهذا الابن "الأديب البارع" محددا مصدر ترجمته، ومحققا في حياته العلمية وتنقلاته وشيوخه وآثاره الأدبية وقيمته الشعرية، يقول:"ويبدو أنه كان ممن وصلوا إلى تونس بعد ضياع بلنسية ورحيل أهلها سنة 636هـ، ويفهم من الترجمة أنه انصرف خلال حياته بتونس إلى العلم والتعليم..." (ابن حريق البلنسي، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة: 59).

[3]– ابن حريق البلنسي، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة: 62.

[4]– البحث الأدبي، شوقي ضيف: 38.

[5]– ابن حريق البلنسي، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة: 62–63.

ولده أبا بكر ولد 507هـ"[1]. وقد تتبع فروعها وسلسلة الأطباء الذين تخرجوا منها ثم أثبت اكتسابهم لثروة لغوية لا حصر لها[2].

لقد اعتبر المحقق التعريف بالأسرة وبأعلامها، أسا من أسس بناء الترجمة، للتطلع إلى البيئة التي نشأ فيها المؤلف، وأثرها على تربيته وتكوينه وشهرته؛ وفائدة هذا الجانب عنده، تتجلى في تتبعه لأصل الأسر وتسلسل العلم فيها قبل الوصول إلى مترجميه، كما تتجلى في وقوفه عند الأسرة الكبيرة ثم الأسرة الصغيرة لكل مؤلف أو شاعر، ليتلمس من خلال ذلك مساهمتها في الحركة العلمية للمدن، وعدد أعلامها الذين أنجبتهم ومصادر تراجمهم، فإذا لم توفر المصادر ذلك، بحث عن بدائل في النقد الداخلي، بتحليل النصوص ومساءلتها، أو نقب عن إشارات مضيئة نحو عكوفه على رسائل **ابن عَميرة** لبناء حياته في أسرته[3]. وإذا توفرت كتب التراجم على ذلك، كان له فضل دراستها واختيار أقربها إلى الثقة، وفضل المقارنة بينها وفضل تمييز الآخذ منها من المأخوذ عنها، مدركا لفائدة التاريخ في معرفة الأمور على وجهها، ولحقيقته الباطنية التي أدركها ابن خلدون حين قال: "في ظاهره لا يزيد على أخبار الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى... وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق..."[4]، كما كان دائم الحيطة والحذر فيما يقرأ، دائم الشك فيما يواجهه من أخبار، فنجده في تحقيقه يجابه مواقف المؤرخين والمترجمين والدارسين، ويقابل بينها ويقارن.

2-3- بناء تاريخ الوفاة:

إن الاهتمام بوفيات الأعلام، من أهم أركان الترجمة قديما وحديثا، إذ اعتنى بها القدماء خوفا من المدلسين، ولتخلص طبقات الناس من الإهمال والإغفال، واعتبروها

---

[1]- بنو زهر: نظرات في تاريخ أسرة أندلسية، محمد بنشريفة، (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، سلسلة الدروس الافتتاحية، الدرس السابع 1990- 1991): 13.

[2]- نفسه: 20.

[3]- أبو المطرف أحمد بن عميرة، محمد بن شريفة: 51- 62.

[4]- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون: 4- 9.

فنا ولع به ذوو الاطلاع على أخبار المتقدمين من أولي النباهة[1]. وليس من حق المحدثين أن يحجموا عن تناولها، بل عليهم التحقق من صحتها، لكن كيف يمكن توثيقها إذا فقدت المصادر أثرها؟ وما هو رد فعل المترجم أمام جهله لها؟

- أبو يَحي الزَّجالي: توفي يوم الخميس ثالث وعشرين من رجب الفرد عام 694 بمراكش:

وقف العلامة محمد بنشريفة على ترجمة قصيرة للزجالي في "درة الحجال" للقاضي المكناسي (ت1025هـ)، ولم تتجاوز تحديد بعض العلامات الضعيفة، التي لم تكن لتساعد على توثيق الأمثال والاطمئنان إليها وإلى نسبتها الأندلسية، فعمد إلى طريقته في تكثيف القرائن وتقريب تباعداتها، منطلقا من الشك فيما يواجهه من أخبار ليتبين الصواب من الخطأ، فقد وقع على تاريخ تام لوفاة الزجالي، أثبتها بعضهم في آخر نسخة خطية من السفر الثاني من "رَيّ الأوام" وحددها في يوم الخميس ثالث وعشرين من رجب الفرد عام 694 هـ بمراكش[2].

لكن مترجمنا لم يطمئن إلى هذا التاريخ كل الاطمئنان، لخلو النسخة المقابلة للمخطوط منه، فكان من دواعي الضبط عنده التحقق من صحة النص أو خطئه، بقرائن أكثر قربا من المؤلف، نحو شهادة المؤلف في بعض نظمه بأنه شارف السبعين، وهو المولود سنة 617هـ أو 618هـ، ونحو إجازته سنة 682هـ، الواردة في "دُرة الحجال"، فربط بين الإشارات الثلاث، ليطمئن أخيرا إلى الرواية المفصلة التي ذكرت اليوم والشهر والمكان[3]. وقد اعتبر هذا الجزء من الترجمة من العناصر التوثيقية الموجهة للقراءة السليمة.

- ابن عبد الملك المراكشي: أواخر محرم عام 703هـ بتلمسان:

لم يثق العلامة محمد بنشريفة برواية ابن الزبير لتاريخ وفاة تلميذه ابن عبد الملك، بالرغم من تفصيلها وتحديد الشهر والسنة، وبالرغم من صلته بالمتوفى: "توفي بتلمسان

---

[1]- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت681هـ)، حققه إحسان عباس (بيروت، دار الثقافة، (د ت)، م1): 19.

[2]- أمثال العوام في الأندلس، الزجالي، ق1:48.

[3]- نفسه: 48.

الجديدة أواخر محرم سنة 703هـ"، وللمزيد من الاطمئنان، قابل بينها وبين مصادر أخرى متنوعة، أيدت جميعها التاريخ نفسه[1]. إلا أن تحققه من تاريخ الوفاة لم يعفه من تصويب اضطراب وقع فيه بعض المتأخرين، أمثال أحمد الونشريسي الذي حدده في وفياته سنة 704هـ.

والتحقيق في وفاة الأعلام عنده لا ينحصر في تحديد التاريخ مفصلا ومكان الوفاة، بل يتعداه إلى التحقيق في أسباب الموت وظروف الدفن، نحو صنيعه في كشف الخلط الذي وقع فيه الونشريسي حين اعتبره قتيلا، فحدد أسباب هذا الاضطراب في "الخلط بين ابن عبد الملك الوالد وابن عبد الملك الولد، فهذا الأخير هو الذي مات قتيلا أو شهيدا كما سلف، وأما ابن عبد الملك الأب فيبدو أنه مات موتا عاديا بعد أن بلغ سبعين سنة تقريبا"[2]؛ كما حقق في أسباب تردده بين تلمسان وداره في أغمات قبيل وفاته، ليصحح ما ذهب إليه محمد العابد الفاسي (ت1975م)[3] في بحوثه عن ابن عبد الملك المراكشي، حين اعتقد موت المراكشي منفيا في أغمات أو مغربا في تلمسان[4].

وهذا وجه من وجوه التعقب والاستدراك الذي يأخذ به العلامة نفسه، ليحل الاضطراب الذي وقع فيه القدماء والمحدثون، معتمدا على تأويلات النصوص الملائمة لطبيعة الأحداث وسياق التاريخ.

- أبو الحُسَيْن ابن فُرْكون:

لم يتوصل المترجم إلى تاريخ وفاته، ولا يعرف ما كان مآله بعد زوال دولة مخدومه الملك الناصر يوسف الثالث (778هـ- 820هـ) لسكوت النقد الداخلي والخارجي، يقول: "وكل ما نعرفه أنه جمع شعره بعد وفاة الملك الناصر، إذ أنه يترحم عليه في آخر ما

---

[1]- الذيل والتكملة، المراكشي، س8:71.

[2]- نفسه: 71.

[3]- ينظر ترجمة محمد العابد الفاسي (1902م- 1975م) في كتاب "إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين" لمحمد بن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج، تقديم عبد الله كنون، ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1992م): 340- 343.

[4]- الذيل والتكملة، المراكشي، س8، 71.

قاله أو جمعه"[1]، ومع هذا الغموض، فتح باب الاجتهاد منطلقا من تخمينه "لا نعرف عنه شيئا، وأغلب الظن أنه أصيب في غمرة الفتن التي حصلت بعد وفاة يوسف الثالث"[2].

ونظائر هذا الوضع عديدة في التراث المغربي والأندلسي، فجل أعلامه بنيت بعض أركانها، وبقي بابها مفتوحا للاجتهاد، في انتظار ظهور مستجدات أو العثور على قرائن جديدة قصد اكتمال بنائها، ومن بين هذه الأعلام شخصية **الكفيف الزرهوني**، التي لم يتمكن المترجم من توثيق عمرها، واكتفى بالقول: "ويبدو أنه لم يعش كثيرا، بعد نظم قصيدته التي نرجح أنه أنشأها عقب الحادثة مباشرة أو في خلالها، أي في منتصف القرن الهجري الثامن، وفي هذا التاريخ كان الطاعون الجارف الذي قضى على كثير من الناس. وقد يكون صاحبنا من بينهم"[3].

وكلما زاد غموض الشخصية، إلا وطغت معالم الترجيح والتخمين على عباراته، وظهر أسلوب النفي بشكل أكبر (لا نعلم، لا نعرف، لا توجد، لا نستبعد، لم نجد، لم نقف...)، وهي ظاهرة ارتبطت بوضعية أعلام الأندلس والمغرب المغمورة واشتكى منها المحققون المغاربة، يقول محمد الفاسي في تعريفه لأبي عبد الله ابن مليح القيسي صاحب رحلة: "أنس الساري والسارب": "أما مؤلفها فلا نعرف عنه شيئا مطلقا ولم يرد اسمه ولا الحديث عن رحلته هذه في مرجع واحد من المراجع القديمة..."[4]، وأضاف "لم تصلنا رحلة واحدة تحدثنا عن البلاد الصحراوية..."[5]، فترك الباب مفتوحا للاجتهاد في البحث لأن البضاعة منه قدر منزور.

- الكفيف الماجَري: حوالي 668هـ:

ضبط العلامة تاريخ وفاة الماجري، اعتمادا على إشارة لابن عبد الملك المراكشي في الجزء الخامس من "الذيل والتكملة"، مفادها أنه "توفي بعد أبي الخطاب بن واجب بنحو

---

[1]- ديوان ابن فركون: 18.

[2]- مظهر النور، جمع ابن فركون: 7.

[3]- ملعبة الكفيف الزرهوني: 7.

[4]- أنس الساري والسارب، القيسي: أ.

[5]- نفسه: أ.

ست عشرة سنة"[1]، وإذا كانت وفاة أبي الخطاب سنة 652هـ، فإن وفاة الماجري ستكون عن سن عالية، حوالي سنة 668هـ.

- البسطي آخر شعراء الأندلس:

في غياب ترجمة للبسطي واعتماد شعره في بناء ترجمته، اعتبره المحقق آخر شعراء الأندلس، كمؤشر على وفاته، معتمدا على الحدس، ودليله في قوله أنه كان في عصره شعراء كثيرون، مثل ابن عاصم وابن الأزرق الوادي آشي... "ولكن أشعار هؤلاء الشعراء مفقودة، بينما وصلت إلينا أشعار البسطي ولهذا اعتبرناه آخر شعراء الأندلس"[2].

- أبو المطرف أحمد بن عميرة: الجمعة ذو الحجة عام 658هـ بتونس:

اختلفت المصادر في تاريخ وفاته، مثلما اختلفت في تاريخ ميلاده، إلا أن قرائن المترجم في هذه المرة ناطقة ودالة على التاريخ الصحيح، لاتفاق المصادر الموثوق بها، أما النصوص التي خالفت هذا التاريخ، فقد أثبت العلامة وهمها، فكشف غلط ابن الزبير الذي جعلها في حدود الخميس أو بعدها، ووهم ابن الخطيب الذي حددها في سنة 656 هـ "بدليل رسالته إلى ابن الأبار المؤرخة بسنة 657هـ، التي أشرت إليها فيما سبق"[3]؛ وهو بذلك لا يقف عند تحقيق وفيات التراجم، بل يتعداه إلى نقد النصوص وبيان أغلاطها، وتعزيز الرأي الأقوى بالأدلة، فما كل رواية يثق بها. ولا يقوم بهذا النقد إلا المحقق الذي خبر النصوص وعرف دقائقها، بحيث "لا يصبح نقد النص مركبا ذلولا تجرب فيه الآراء، وتطلق فيه الأحكام دون حجة بينة"[4].

والمسلك نفسه كان معتمد شيخه عبد الله كنون خلال تحقيقه في وفاة يوسف الثالث ملك غرناطة، حين استشار مصادر الأدب والتاريخ وقابل بينها، ثم ناقش مختلف الروايات الواردة فيها، لترجيح الرأي بالدليل وكشف أوهام الدارسين وتصويبها[5]؛ ونظرا لغموض

---

[1]- أول تأليف مغربي في المنطق، أسهل الطرق إلى فهم المنطق، الماجري، 34(إحالة 49).

[2]- البسطي آخر شعراء الأندلس، محمد بنشريفة: 233.

[3]- أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، ابن شريفة: 157.

[4]- منهج البحث وتحقيق النصوص، يحي الجبوري: 153- 154.

[5]- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث: م- ن.

هذه الفترة من تاريخ المغرب والأندلس، لم يغلق باب البحث في هذا الجانب، بل قال: "وهذا الذي توصلنا إليه من تحقيق تاريخ هذا الملك صاحب هذا الديوان هو أقصى ما أمكننا الوصول إليه، وعسى الأيام أن تلقي ضوءا جديدا على هذا التاريخ الحافل بالمجد"[1].

إن التحقيق في سنة الوفاة، قد لا يشفي غليل كل المحققين، فمنهم من تأخذه الغيرة الوطنية على شخصيته التي عاشرها وارتبط بها طويلا، فيعمد إلى التحقيق في مدفنه، والتأريخ لموطن قبره. والاهتمام بالأضرحة من الأمور التي استهوت العلامة بنشريفة في بناء تراجمه لأنها جزء من ثقافة عصره، ومن الطرافة أن نحس بولعه بزيارة أضرحة العلماء والصالحين، ولعل قيمة الأضرحة التاريخية من الدواعي التي تجره نحو مراكش لزيارتها والتأريخ لأعلامها، مثل اهتمامه بضريح القاضي عياض[2]، وضريح ميمون بن ياسين (ت530هـ)[3]، وانعكس هذا الاهتمام أكثر على مقدمات تحقيقاته، حين كان يغني التحقيق في ظروف الوفاة وملابساتها بالتحقيق في مكان الدفن وبناء الأضرحة. وهذا الاهتمام من مؤشرات التوجه الصوفي الذي يميز ثقافته الإسلامية وطابع تحصيله ومؤثرات التكوين في عصره.

ولعل التحقيق في الأضرحة عنده، تحقيق في نوع خاص من المعلمات التاريخية والشواهد الناطقة بالكثير من المعاني، خصوصا وأن بعضها طمس من قبل أعداء هذه المعلمات، ومن بينها قبر ابن مغاور الشاطبي بشاطبة، الذي ظل قائما إلى أن استولى النصارى على شاطبة وأجلوا أهلها في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة[4].

---

[1]- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث: ن.

[2]- كيف ظهر ضريح القاضي عياض، محمد بنشريفة: في" أعمال ندوة جامعة القاضي عياض حصيلة تسعة قرون من ثقافة أصيلة ومتميزة" (مجلة كلية الآداب بمراكش، ع6، 1990): 29-41.

[3]- وهو المعروف بضريح سيدي ميمون بمراكش (الأمير المرابطي ميمون بن ياسين، حياته وحجه، محمد بنشريفة: في كتاب دعوة الحق، ع 10، 2002م (المحمدية، مطبعة فضالة، 2002م).

[4]- ابن مغاور الشاطبي، حياته وآثاره، دراسة محمد بن شريفة: 78 (ينظر كذلك: ابن حريق البلنسي، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة: 56).

وقد اهتم بوصف جنازة مؤلفيه، نحو وصفه لجنازة ابن لبال الشريشي المتوفى في يوم الثلاثاء من ذي القعدة سنة 582هـ.

إن التحقيق في أعمار المؤلفين من أهم أركان الترجمة وأكثرها صعوبة في التحقيق؛ وتعالقها مع صورة غلاف الكتاب، ومع صفحة العنوان رفقة الاسم والعنوان، هو وجه من وجوه أهميتها، باعتبارها جزءا من العنونة، ومحورا توثيقيا مكملا لصورة الاسم والنسب.

3- استنتاجات:

إن اختيارات العلامة محمد بنشريفة تنتمي إلى عينة فريدة، عكست النمط الصعب الذي يكلف صاحبه جهدا وفكرا، إذ تعقب عددا مهما من الأسماء، أغنى بجديدها المكتبة التاريخية؛ وقد كان يسلك سبيل بعض شيوخه[1] الذين تسلحوا لرفع حجاب الخفاء عن أعلامهم، فواصل طريقهم الشاق بتحمل مسؤولية ترميم الحلقات المفقودة في تاريخ الأدب المغربي الأندلسي، وهي مسؤولية نادى بها بعض معاصريه داخل الجامعة المغربية، حين اعتبروا الوقوف على تراث الماضي وتمثله وتحليله في ضوء المناهج المعاصرة شرطا أوليا لمعرفة الهوية القومية[2].

وهذا الضرب من التأليف الذي اختاره مترجمنا، وإن كان يختص بتراجم الأعلام، فإنه يفيد البحث في شتى ضروب المعرفة، ويؤكد الذات المغربية الأندلسية، في عهد انطمست أغلب معالمه التاريخية، فالشخصيات المختارة كانت في مجملها ذات صلة ببعضها، تجمعها إما علاقة تلمذة أو صداقة أو قرابة أو معاصرة، فابن حريق البلنسي مثلا كان تلميذا لابن مغاور الشاطبي وصديقا لصفوان بن إدريس التجيبي (ت 598هـ) وشيخا لابن عميرة، وصفوان كان تلميذا لابن مغاور الشاطبي...

---

[1]- ولع المترجم بفن الترجمة بتحبيب من عالم عده من شيوخه هو العباس بن إبراهيم السملالي قاضي مراكش، وتأثر ببعض شيوخه: محمد الفاسي وابن تاويت الطنجي وعبد الله كنون وعبد السلام ابن سودة (ت 1980م).

[2]- كلمة عميد كلية الآداب جامعة عبد الملك السعدي بتطوان في افتتاح الملتقى الأول للدراسات المغربية الأندلسية: في "ندوة ابن الخطيب (مجلة كلية الآداب، تطوان، ع2 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة 1987م):10)

ولعل هذا التقارب من شأنه أن يساعد على حل غموض بعضها البعض؛ والأمل عنده معقود على إنجاز عمل تركيبي لعهد موحدي، أغلب مراحله مجهولة ومهمة جدا في بناء تاريخ الأدب المغربي[1]؛ والتعريف بهذه الأسماء وأنسابها، هو تعريف بمواطنهم وبلدانهم التي كان لها شأن خاص في تاريخ الأندلس والمغرب المغمور في جل فتراته.

وقد أثبت المترجم، من خلال بنائه للأسماء والأنساب وأصولها وأعمارها، أن الترجمة عنده فن تطبيقي، أبدع في تأريخها وتوثيقها، وكل لبنة يقدمها تدل على موهبته في اختيار المصادر المخطوطة والمطبوعة، وعلى اتساع اطلاعه وذاكرة محفوظه، فقد كان بثقافته النقدية وخلفياته المعرفية، مترجما ومؤرخا وأديبا ومحققا ودارسا، فقدم بناء منسجما لإشارات كانت متفرقة في ثنايا الكتب، وأصبحت معه وثيقة تعادل الوثيقة التاريخية، وعن هذه المهارة في البناء، يقول الدكتور عباس ارحيلة "مهارة لا أجد ما يماثلها إلا عند فئة قليلة – فيمن عرفت – من الباحثين مشرقا ومغربا"[2].

ولتعميق الإقناع، اختار من الأساليب البلاغية والنحوية ما يناسب المقام ويخدم الهدف ويزيد من ثقة القارئ بما يقرأ، فعندما يكون واثقا من توثيقه أو تصويبه كل الثقة، يعمد إلى ظاهر النفي (لا يصح، لا يلزم...) أو ظاهر الأمر والتوكيد (يلزم، يجب، لابد، إن، لاشك)، وقد يدل ذلك في الدراسات الحديثة على الخطاب الإقناعي التوجيهي الدفاعي، الهادف إلى توطيد حقائق ومفاهيم إجبارية[3]. وعندما يرجح يعمد إلى التعليل وبيان الأدلة التي دفعته إلى ذلك، حتى لا تخلو المقارنة من الفائدة، فإن كان الترجيح

---

[1]– كتابة السيرة الوثائقية، محمد بن شريفة: في "يوم دراسي حول كتابة السيرة في الفلسفة"، الاثنين 26 ماي 2003م بكلية الآداب، جامعة القاضي عياض بمراكش (قيد الطبع).

[2]– الدكتور محمد بن شريفة وفن التراجم، عباس ارحيلة (ندوة: المدرسة المغربية في كتابة التراجم، محمد بن عبد الملك المراكشي أنموذجا، مع تكريم العلامة الدكتور محمد بن شريفة، تنظيم المجلس العلمي المحلي لمراكش يومي 27–28 أبريل 2013م بكلية اللغة العربية بمراكش) (قيد الطبع).

[3]– مقاربة الخطاب المقدماتي الروائي "مقدمة حديث عيسى بن هشام" و"إنشاء الروايات العربية"، السعدية الشادلي، جامعة الحسن الثاني عين الشق، كلية الآداب بالدار البيضاء، سلسلة الأطروحات والرسائل رقم 6 (الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1998م،):83–84.

معللا مستوفي القرائن، قبله وعطف عليه الشواهد، وقارعه بالأخبار، معبرا عن ذلك بأسلوب الترجيح (أرجح، لعل، قد يكون...)، وإن كان التخمين ضعيف البراهين عبر عن تحفظه بأسلوب النفي المرتبط بفعل "عرف" (لا نعرف، لم نعرف، لم نتمكن، لم نتوصل...) وهي في أغلبها أفعال مضارعة تستلهم الحاضر والمستقبل، تنفي وجود الخبر في الحاضر لتعلن عنه في المستقبل.

وقد هيمن على بنائه هاجس التطلع إلى الجديد، وهو طموح جعله قدوة للباحثين، وجعل اختياراته محط إغرائهم؛ كما جعل الهدف من منهجه في تحقيق الأنساب والألقاب يتجاوز مجرد الوصول إلى نتائج جديدة أو إقناع المتلقي، إلى تحقيق وظيفة تثقيفية لازمة لمن يرغب في ممارسة صناعة الأعلام المغمورة، لذلك نجده يخصص بعض مقالاته ولقاءاته العلمية للحديث عن شروط كتابة السير[1].

هذا المنهج، الذي أقامه صاحبه على تقييد الأسماء والأنساب والألقاب وضبط جلها بالحركات والحروف، وردها إلى أصولها، وضبط تواريخ الولادة والوفاة وكشف أخطائها وتصويب تحريفاتها وتصحيفاتها، لو تجمعت لشكلت حقلا نقديا خاصا، فإذا تعذرت عليه الرواية المفصلة، تحرى فيها حسبما وصلت القدرة إليه وألجأت الحاجة إليه.

وإذا كان بناء الترجمة يتطلب النظر إلى المترجم له في علاقته بمحيطه، فإلى أي حد رصد مترجمنا المغربي المؤثرات الفاعلة في ثقافة مترجميه؟.

[1]- الكتابة كشكل من أشكال الجهاد، محمد بنشريفة (كتاب أبو بكر القادري: دراسات وشهادات، إعداد نجاة المريني، ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1994:89)) - ابن رشد الحفيد، سيرة وثائقية، يوم دراسي حول كتابة السيرة في الفلسفة، علاقة الفلسفة بالعلوم، يوم 26/ 05/ 2003م، بكلية الآداب جامعة القاضي عياض بمراكش.

الفصل الثاني:

بناء ثقافة العصر وثقافة المؤلِّف

تمهيد:

توزع الموقف من بيان عصر المؤلف ودراسته عند علماء التحقيق والترجمة إلى اتجاهين: اتجاه يعتد به لتصوير العناصر المؤثرة والفاعلة فيه[1]، مع إلقاء الضوء عليه بالقدر الذي يتعلق بالمؤلف ومؤلفه[2]، واتجاه يكتفي بتقديم ترجمة مختصرة عن المؤلف[3].

أما العلامة محمد بنشريفة فقد نظر إلى المؤلف وإلى عمله الأدبي، من خلال البيئة التي أنشأته ومؤثراتها السياسية والأدبية، فانطلق من العام إلى الخاص لتصوير الشخصية فاعلة منفعلة بمجتمعها، مقتنعا بأن الحياة السياسية والأدبية للعصر، هما ذواتا الأثر على حياة المؤلف أو الشاعر، القادرتان على رسم اهتمامات العصر الكبرى وتقييم مساهمة المؤلف في بناء عصره، باعتباره رجل دولة أو رجل أدب. لكن لم الربط بين الثقافتين: ثقافة العصر وثقافة المؤلف؟.

إن الحديث عن مشاركة المؤلف في الحياة السياسية، تتطلب إلماما بسياسة عصره؛ وبناء منزلة المؤلف العلمية هو تحقيق في ثقافة العصر وعلومه وحركة التأليف في سائر معارفه، وخاصة في الفن الذي اختص به النص المحقق. وثقافة العصر هي ثقافة هادفة

---

[1]- تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون: 61 – منهج البحث الأدبي، علي جواد الطاهر، ط3 (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979): 54 .

[2]- منهج البحث وتحقيق النصوص يحي الجبوري:93.

[3]- البحث الأدبي، شوقي ضيف: 203.

بكل ما تحمله من هموم جيل، ومن مرجعيات ثقافية تنمو بتفكير أفراده، والبحث عنها هو بحث عن كيان جماعي؛ فالثقافة المغربية والأندلسية عموما تأثرت بالأوضاع السياسية، إلى أن أصبحت ثقافة المفكر أو الأديب موجهة لمعايشة هموم العصر وحلها، وبهذا الترابط ما فتئ البحث عن ثقافة المؤلف اختبارا لمشاركته في ثقافة عصره، ورغبة في إثارة السؤال التالي: هل مثل المؤلف عصره أصدق تمثيل أم لا؟

يقول محمود المقداد "والأجدى في نظرنا هو أن يقتصر المحقق على ذكر أحداث العصر التي كان لها تأثير مباشر في حياة الشاعر، وخاصة إذا انعكست تلك الآثار في شعره، فيساعد بذلك على مزيد من التعمق في فهم الأثر"[1]. والعلامة محمد بنشريفة لم يركز على العصر لملء البياض، وإنما يختار ما يتلاءم وطبيعة كل شخصية، بعد إمعان النظر في علاقتها بعصرها، فليس من رأيه أن تخضع كتابة السيرة إلى تخطيط ثابت، بل يجب تأطيرها حسب طبيعة صاحبها وطبيعة عصره، يقول: "وحرصت أن يكون الحديث عن العصر بالقدر الذي يمس حياة ابن عميرة"[2]؛ ولم يكن ليربط شخصياته بعصرها وبمعاصريها من أجل بناء الترجمة فحسب، أو تصويرها في حركيتها وقيمتها في مجتمعها – وإن كان ذلك عنده من المقومات الفعالة لتحقيق واقع الشخصية– بل كان يحكمه هدف أسمى فرضته ظروف التراث المخطوط، إنه بناء تاريخ عام للأدب المغربي في المغرب والأندلس، من أجل التحقيق في معالم العصر من خلال تراجمه، والتعريف بمراحله الغامضة وسد ثغراته ودفع الظلم والجور عنه، وكشف تحريفاته.

لقد لاحظ العلامة أن من حاولوا كتابة تاريخ عام للأدب المغربي الأندلسي، فاتتهم الإشارة إلى عدد من الأسماء التي شاركت في نسيج هذا الأدب ولحمته، فآثر اللجوء إلى دراسة الأعلام دراسة استقصاء لاستكشاف معالم عصرهم، معتبرا كل واحد منهم "أشبه بزاوية من زوايا العصر أو نافذة يطل منها القارئ على عصرهم"[3]، وهذه

[1]– تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، محمود المقداد: 207.

[2]– أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، ابن شريفة: 307.

[3]– الترجمة في الغرب الإسلامي، فنها ووظيفتها في حفظ التراث وتحقيقه، أحمد حدادي: في ندوة "تحقيق التراث المغربي الأندلسي حصيلة وآفاق": 141.

نظرة متأصلة عند بعض شيوخ التحقيق المغاربة، الذين دأبوا على كتابة تاريخ المغرب وأدبه، انطلاقا من بناء التراجم التي اعتبروها سجلا أدعى إلى المساهمة في بناء المحاور العامة لتاريخ عصور المغرب.

إن دراسة عصر المؤلف عند مترجمنا ومن سلك مسلكه، هي دراسة لتاريخ أدب المغرب والأندلس، ولفتراته التاريخية المغمورة أو المجهولة، ودراسة للصورة العلمية والسياسية لهذا العصر. ولاشك أن المعرفة التاريخية ستكون سند العلامة لتحقيق هدفه، خصوصا وأن الدارسين يرون في التراجم نوعا أدبيا أكثر لصوقا بالتاريخ[1]، ويعتبرونها أثبت صور التعبير التاريخي[2]. وبما أن الأدب المغربي جزء من تلك العلاقات الثقافية التي تفاعلت على أرض المغرب وثمرة لها[3]، فلا يمكن إثارة الجوانب الباعثة في التراث الأدبي دون اللجوء إلى علم تاريخ المغرب.

إن الهدف من هذا الفصل، وضع اليد على ما قدمه المترجم من جديد في هذا المجال، وما ساهم به من تحقيقات في بناء تاريخ الأدب المغربي الأندلسي وترميمه وكشف غموضه وتصويب تحريفاته، في مقابل سكوت المصادر التاريخية أو تمويهاتها، ثم وضع اليد على ما يجعل من الترجمة منبرا من منابر الإبداع والفنية، تتجاوز كونها مجرد تعريف بالشخصيات نحو الكشف عن الجوانب الغامضة من تكوين المؤلف وتحصيله العلمي ومشيخته، فكيف دأب المترجم على بناء هذه الجوانب من الترجمة؟ وكيف ساهم في بناء سجلاتها وربط الصلة بين البيئة العامة والبيئة الخاصة لكل مؤلف؟.

1- ثقافة العصر:

لقد ظلت دراسة الشخصية في ضوء ثقافة عصرها - وما زالت- من الأمور التي تستهوي العلامة محمد بنشريفة، ذلك لأن هدفه الأسمى من بناء التراجم وتحقيق

---

[1]- الدراسة الأدبية في المغرب، الأستاذ عبد الله كنون نموذجا، أحمد الشايب، ط1 (طنجة، منشورات مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، جامعة عبد الملك السعدي، 1991م): 85.

[2]- علم التاريخ عند المسلمين، روزنتال، ترجمة صلاح أحمد العلي:141.

[3]- نشر التراث الأدبي المغربي بين الواقع والمثال، جعفر ابن الحاج السلمي: (في "ندوة التراث المغربي والأندلسي، التوثيق والقراءة": 71.

نصوصها، هو التنقيب عن أحداث تاريخية وأدبية جديدة، تعرف، ولأول مرة، بتاريخ المغرب وأدبه، وتبطل ادعاءات خصومه، فكان يحقق في ثقافة عصر مؤلفيه للدفاع عن التاريخ الوطني، وبناء لبناته المبتورة لإضافة شيء مبتكر إلى العلم، وهذه رسالة حملها شيوخ التحقيق في المغرب، فكانت الانطلاقة من النصوص المحققة نفسها، باعتبارها جزءا حافظا لأسرار هذا العصر، وإحدى وثائقه الناطقة على لسان شاهده، أو بصفتها مختبرا لاستنطاق النصوص، أو اقتناص إشارات لا ذكر لها في أي مصدر تاريخي، علّها تضيء الروايات السياسية والأدبية الغامضة، وتساهم في تسويغ ثقافة المؤلف ووضعها في إطارها العام.

إلا أن هذه الانطلاقة لا تكفي لترميم تاريخ الأدب من خلال بناء الأعلام، بل لابد للمترجم من الإلمام التام بتاريخ أمته وأدبها، وأساليب عصرها، والمعرفة بكتب التاريخ الثقافي والاقتصادي والسياسي، لتمييز الروايات المجهولة والمغمورة، ولابد من تحري صدق الشواهد المعتمدة، وممارسة النقد لإلغاء الشبهات، فإلى أي حد ساهم بناؤه لعصر المؤلفين في تطوير مشروعه العلمي الأكبر؟ وهل كان بناؤه للعصر بالقدر الذي يمس حياة المؤلف ويمس فهم النص المحقق أم تجاوزه؟

1-1- الحياة السياسية:

إن بناء الحياة السياسية لعصر المؤلف، نافذة كبرى لتعليل توجهاته السياسية وفهمها، أو لتصوير شخصيته ماثلة في مجتمعها واختبار مدى تفاعلها مع المحيط، ومدى انعكاس ملامح العصر السياسي على حياة أعلامه الأدبية وعلى إنتاجاتهم.

وقد كان مبدأ الكشف عن الحقائق السياسية، وتقديم الجديد للتاريخ المغربي الأندلسي وإضاءة غامضه، هم طائفة من العلماء الغيورين على هذا التاريخ، فمترجمنا محمد بنشريفة في تحقيقه لعصر **أبي يحيى الزجالي** وبالذات لمرحلة استقراره بمراكش منذ سنة 636هـ - وهي مرحلة غامضة مليئة بالتناقضات- واجه عدة تساؤلات، حاول الإجابة عن بعضها اعتمادا على تحليل الشواهد الشعرية والنثرية[1]، فقد ألم بظروف **عصر**

[1]- أمثال العوام في الأندلس، الزجالي، ق1: 35.

الزجالي وبنكباته ونزاعاته، ووقف عند وضع مراكش السياسي، عاصمة الموحدين، حين قدم إليها سنة 640هـ، وقد أدركها الهرم والخراب[1].

وللتحقيق في هذه الأوضاع التي تعلل سر إهمال الزجالي وفشل نشاطه الأدبي في تلك الفترة، لم يكتف بكتب التاريخ، بل استعان بصورة أندلسية رسمها ابن عميرة المخزومي – بعدما عايش خطوب تلك الفترة وطوحته مثلما طوحت غيره– من خلال استشهاد نثري وآخر شعري دافع عنهما المترجم قائلا: "ومهما تكن البواعث السياسية وراء هذا الكلام، فإنه يصلح – على كل حال – في مجال الاستشهاد"[2]، لكونه يحيل على أثر الأوضاع السياسية في نفسية الأدباء وثقافتهم، فالزجالي الذي عاش حياة العز والجاه في الأندلس، وكان واحدا من أولئك المنتمين للأرستقراطية، انتهى به الحال في مدينة مراكش إلى حياة الانقباض والقناعة والعزلة والخمول[3].

وقد لجأ المحقق إلى تصوير تاريخ ثورات الأندلس وفتنها وأثرها على "الأمثال" واعتبرها: "وثيقة اجتماعية أقرب إلى الصدق وأدنى إلى الأصالة من غيرها في تمثيل روح المجتمع وتصوير طبيعته العامة لأنها نابعة من الشعب"[4]؛ ولتأكيد الصلة بين الأثر الأدبي "أمثال العوام في الأندلس" وظروف عصر الزجالي، جعل المحقق فهم تلك الأمثال متوقفا على الإلمام بملامح المجتمع، فخص الفصل الخامس من دراسته المفصلة لتحديد ملامح هذا المجتمع وأثرها على الحياة الأدبية للزجالي.

وهذه العناية بظروف العصر كانت محط اهتمام بعض العلماء المهتمين بهذا التراث، فرضوان الداية في تحقيقه لكتاب "نَثير الجُمان في شعر من نظمني وإياه الزمان" لأبي الوليد بن الأحمر الغرناطي (ت807هـ)، اقتضت منه صلة المؤلف بالدولة المرينية

---

[1]– أمثال العوام في الأندلس، الزجالي، ق1: 43.

[2]– نفسه: 39.

[3]– نفسه: 49.

[4]– نفسه: 204.

وسلاطينها ووزرائها التأريخ لعصره[1]، خاصة وأن الترجمة عنده ليست فقط تعريفا بالعلَم، وإنما هي مسرد تاريخي وتعريف بالعصور التاريخية وبأعلامها الحاكمة[2]، وهي عند ابن تاويت الطنجي معايشة المؤلف والنفاذ إلى همومه ومشاغله الفكرية وتقلبات الحياة السياسية وأثرها في حياته[3]، وقد هيأ نفسه لهذه التجربة حين حقق كتاب "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا".

وإذا كانت ظروف العصر قد أثرت سلبا على الحياة الأدبية لأبي يحي الزجالي فآثر العزلة، فإن **ابن عبد الملك المراكشي** يعكس بكتابه "الذيل والتكملة" تاريخ الموحدين، ويتفرد بذكر حقائق تاريخية خاصة، إذ سجل بعض الدسائس التي كانت تقع في بلاط الموحدين ولم يعرج عليها المؤرخون، مثل "تسميم المستنصر وفساد الحاشية في عهده... خطة الشورى التي كان العمل جاريا بها قبل الموحدين حذفت في عهدهم"[4].

ونظرا لسعة اطلاع ابن عبد الملك وإلمامه بالمدونات التاريخية، والتزامه بمنهجية صارمة تشهد بها نصوص "الذيل والتكملة"، اعتبر المحقق "فذلكاته" التاريخية من أوثق ما يعتمد عليه في تاريخ الموحدين وأصح نصوص هذا التاريخ[5]، ودليله على ذلك اعتمادها من قبل أصحاب المدونات التاريخية، وفي طليعتهم ابن عذاري الذي نقل عدة نصوص، منها ما يتصل "بنكبة الوزير الكاتب أبي جعفر أحمد ابن عطية..."[6]، وما يتصل "بفتح الموحدين لاشبيلية سنة 541هـ"[7]. أما عن أثر تلك الأحداث في ثقافة المؤلف

---

[1]- أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، وهو كتاب "نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان"، للأمير أبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطي، حققه وقدم له محمد رضوان الداية، ط3 (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1987م): 7-8.

[2]- نفسه: 6، 310 (إحالة1).

[3]- محمد بن تاويت الطنجي نموذج متميز في تحقيق التراث، محمد الكتاني: (الكتاب التذكاري عن فقيد العلم والتراث محمد بن تاويت الطنجي: 76).

[4]- الذيل والتكملة، المراكشي، س8:83.

[5]- نفسه: س8:82.

[6]- نفسه: س8:80.

[7]- نفسه: 80.

وتوجهه، فلا يعرف المترجم عنها شيئا نظرا لصلته بأبي علي عمر المليانى (ت686هـ)، وهي صلة كانت في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق[1] وولده السلطان يوسف (685هـ- 706هـ)، ولا يعرف "الحيثية" التي كانت لابن عبد الملك. ولا الوظيفة التي كان يشغلها يومئذ في أغمات مع الوالي "المليانى"، هل هي خطة القضاء أم الكتابة؟[2] ليعمد إلى حدسه قائلا: "ونكاد نحس من تحرجه من قول الشعر أن وراءه صفة دينية تجعله يستعفى من المشاركة في مثل هذه المطارحات الإخوانية، وما أحسب هذه الصفة إلا أنها خطة القضاء التي تليق بابن عبد الملك..."[3].

وأمام غموض الحقبة التاريخية الوسطى في تاريخ مملكة غرناطة النصرية، وأمام فقدان مصادرها التاريخية، فقد ظفر العلامة بالعثور على ديوان شعري كان في طي العدم **لابن فركون** شاعر البلاط النصري في عهد السلطان أبي الحجاج يوسف الثالث (778هـ- 820هـ)، وهو مصدر -وإن كان أدبيا- يلقي أضواء على الجوانب السياسية الغامضة، ويقدم مادة مهمة تكشف، ولأول مرة، عن أيام مُلك يوسف الثالث وسياسته الداخلية والخارجية[4]، فقد صحح أخطاء وقع فيها عدد من المؤرخين الإسبان المحدثين، حين اعتبروا محمد التاسع ابن نصر الملقب بالغالب بالله خلفا ليوسف الثالث، وأبطل هذا الوهم بقصيدة أنشدها الشاعر بمناسبة بيعة السلطان الجديد محمد الثامن المدعو بالصغير، ولي عهد يوسف الثالث[5]، ولكشف هذا الوهم، استعان بمصادر تاريخية تعرف بمحمد التاسع، وبإشارات شعرية موثقة توثيقا تاما.

وقد اعتبر المترجم هذا الديوان وثيقة تاريخية نفيسة[6]، تكشف عن علاقات يوسف الثالث بالممالك النصرانية وسياسته تجاه قشتالة وملكها "الإِنْفَنْت": (Al infante) التي

---

[1]- الذيل والتكملة، المراكشي، س8: 69.

[2]- نفسه: 66.

[3]- نفسه: 67.

[4]- ديوان ابن فركون: 8.

[5]- نفسه: 46.

[6]- نفسه: 94.

تراوحت بين المجاهدة والمهادنة، ويقدم الرواية العربية – في مقابل الرواية المسيحية المحرفة– حول قضية الهدنة وتعدد الرأي فيها، من خلال أشعار قيلت في تهنئة السلطان بمناسبة اعتلائه العرش[1]، ولاكتمال الرواية التاريخية وترميمها، لم يكتف المحقق بديوان الشاعر، بل استند إلى إشارات تاريخية من مصادر أدبية أخرى على رأسها ديوان يوسف الثالث، وما ضاعف من قيمة الديوان عند المحقق رسمه للعلاقات السياسية بين يوسف الثالث والمملكة المغربية، وإن كان رسما لصورة قاتمة عن العلاقات المضطربة بين الدولتين الجارتين[2] وبين الملكين المتعاصرين: أبو عثمان سعيد بن أحمد المريني ويوسف الثالث النصري، الذي جعله المترجم يهادن النصارى ليتفرغ إلى التشغيب على بني مرين[3].

وبما أن المحقق لا يدري متى بدأت الخصومة بين الملكين المذكورين، ولا من كان البادئ منهما، فقد لجأ إلى التخمين معللا افتراضاته بقرائن من الديوان نفسه، يقول: "وأغلب الظن أن هذا الإجراء جاء ردا على عصيان أهل جبل طارق وانضمامهم لبني مرين، نظرا لسمعتهم في الجهاد والدفاع عن الأندلس"[4]، وقد تحرك الوازع الديني للعلامة وانفعل ضد أخبار الديوان دفاعا عن الملك المريني، ثم هاجم النصريين قائلا: "أنقض النصريون الظّهر الذي يسندهم، وأنهكوا البلد الذي كان يحميهم، ومع ذلك نراهم يرمون أهل المغرب بدائهم وينسلون، وما أفعال هذا الملك الملقب بالناصر لدين الله إلا مثال صارخ على ما نقول"[5].

ولتأييد حكمه ذاك، راكم عدة شواهد شعرية من أطرفها اتهام ابن فركون لشخصيات علمية أندلسية بالخيانة من أجل انحيازهم إلى جانب المغرب في مسألة جبل

---

[1]– ديوان ابن فركون: 60–61.

[2]– نفسه: 70.

[3]– نفسه: 69– 70.

[4]– نفسه: 70.

[5]– نفسه: 73.

طارق[1]، منها شخصية أبي زكرياء السراج[2] وشخصية أخرى نعتها الشاعر بالرئيس البائس، لم يتمكن المحقق من تحديد هويتها[3]، وهي أدلة شعرية مؤرخة تتجلى قيمتها الفعلية في تفصيل المجمل من الأحداث التاريخية الشاهدة على حصار يوسف الثالث لجبل طارق، وعلى عدائه لأبي سعيد المريني[4]، وعلى خبر الصلح بين الملكين[5]. ومهما يكن أمر ذلك الصلح، فالمهم عند مترجمنا هو معرفة أسباب العداء بين الملكين؛ إلا أن غموض المرحلة التاريخية جعلته يوقف التحقيق، وفي نفسه علامات استفهام شتى.

إن هاجس التأريخ لهذا الجزء من الترجمة عند العلامة، رافقته نفحات وطنية تجسدت في دفاعه عن السلطان المريني ونعته بالغيور على دينه وحماية بلده[6]، وفي رد الاتهامات الموجهة إليه حين نعت بولي الضلال والبغي، وظهير الكافرين[7]، واتهم بالتفريط وعدم الدفاع عن سبتة[8]، إلى أن برئت ذمته وافتضح نفاق الشاعر ابن فركون ومخدومه، يقول مستهزئا:"وهذا عجيب، فعندما يستقبل السلطان المريني سفراء فرناندو الأول يكون وليا للكافرين، وعندما يستقبلهم السلطان النصري، ويعقد معهم روابط الهدنة والصداقة لا يكون كذلك، وهذا هو التناقض الواضح والنفاق الفاضح"[9].

ودراسة عصر المؤلف أو الشاعر هي واجهة لتحليل مضامين النص المحقق واستخراج لحقائقه التاريخية، باعتبارها وثائق مؤرخة لرسم العلاقات السياسية، يجب استغلال حقائقها في بناء المشروع العلمي: "تاريخ المغرب وأدبه"وكشف تناقضاته

---

[1]- ديوان ابن فركون: 73.

[2]- أصل هذا الاسم مشكل، إذ يوجد أكثر من شخص يحمله، وقد عرف المحقق بكل واحد على حدة، وحقق في أنسابها وأقربها من شخصية ابن فركون (ديوان ابن فركون: 75).

[3]- حقق العلامة بنشريفة في هويته منطلقا من تخمين أيده بإشارات من الديوان (نفسه: 75).

[4]- نفسه: 79.

[5]- نفسه: 83- 84.

[6]- نفسه: 72.

[7]- نفسه: 89.

[8]- نفسه: 90.

[9]- نفسه: 93.

وأوهامه. فمن النصوص الأدبية التي أضافت إلى التاريخ السياسي صفحات ذهبية طوتها عوامل الإهمال، ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، وهو إحدى اكتشافات عبد الله كنون، التي عدها كشفا خطيرا في عالم الأدب العربي، لانتمائه إلى عصر أحاطت به ظروف غامضة، وانطمست معالمه التاريخية.

ونظرا لأهمية هذا الديوان وقيمة قصائده التاريخية كان معتمد العلامة محمد بنشريفة في بناء الأحداث السياسية لهذا العصر، فقد فصل ما جاء مجملا عند عبد الله كنون[1]، وأجاب عن بعض الأسئلة المعلقة، وحقق في الاحتمالات التي افترضها هذا الشيخ حين قال: "إن عصر أبي سعيد الأصغر قد خص بالتأليف... وإلى أن يقع العثور على هذا التأليف سيبقى تاريخه محاطا بالغيوم ومجالا لهذه الاحتمالات وغيرها"[2]، ولعل دعوته استجيبت على يد تلميذه الأستاذ محمد بنشريفة، الذي كشف النقاب عن ديوان ابن فركون، وألقى أضواء جديدة على هذه الفترة الغامضة من تاريخ الأندلس والمغرب، وحقق بذلك أمل شيخه[3].

وليس من قبيل المصادفة أن يعتني - سالكا مسلك شيوخه- بهذا الجانب من الترجمة، فقد استجاب للترغيب في تحقيق "ديوان ابن فركون" والتعريف بصاحبه، لقيمته الوثائقية وكشفه عن روايات تاريخية جديدة، نعتها بالحجج الموثقة، لأنها أشعار مؤرخة ومسبوقة بمقدمات تشرح مناسباتها، ولأن صاحبها شاهد عصره، فهو مؤرخ لأيام سلطانه، والجامع بين تحرير رسائله وتحبير قصائده، ولعل هذا النوع من الأعلام هو ما جعل كتابة التراجم مرافقة للتاريخ، لانفراد إنتاجاتهم الأدبية بإضاءة الجوانب السياسية والروايات العربية المفقودة.

إلا أن اعتماد الإشارات الأدبية في تحقيق سياسة العصر، قد تحتاج إلى دراسة واسعة عندما لا يفصح الشاعر أو الأديب لسبب من الأسباب، أو يعبر بالإشارة والرمز،

---

[1]- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث: ف- ق.

[2]- نفسه: ك.

[3]- نفسه: ل.

نحو صنيع الشاعر يوسف الثالث الذي كان "يجمجم ولا يصرح"[1] في رائيته التي يتحدث فيها عن أيام الوحشة وما أعقبها، فهي عند محقق الديوان "جمجمات" "لا يؤخذ منها شيء، إلا أن أزمة عنيفة مرت به، فأبعدته عن موطنه وتركته يحن له ويحلم بالعودة إليه"[2]، ولتوضيح هذا الرمز، اضطر إلى البحث عن إشارات أخرى لإضاءة أسباب الأزمة. لذلك نجد العلامة محمد بنشريفة لا يخرج من حسابه الرقابة التي تفرضها المقررات التاريخية والعلمية على ما يورده المؤلف أو الشاعر من أخبار، بل يستعين بها إن انتهت المصادر قبله من تحريرها في المظان وقال التاريخ فيها كلمته، ويواجه بها أخبار النص المحقق لكشف انحرفاته أو مبالغاته المقصودة وغير المقصودة.

والمسلك نفسه كان معتمد شيخه محمد بن تاويت الطنجي في اختبار الحقائق التاريخية الواردة في كتاب ابن خلدون، وإن أقر التنبيه فقط على ما خالف فيه هذا المؤلف غيره مخالفة عفوية لم يكن للقصد فيها مجال، لأن الرأي الخاص للمؤلف "ليس مما يباح فيه التبديل والتغيير"[3].

لقد بنى العلامة سيرة **البسطي** بالنظر إلى عصره لخصوصية هذا العصر، خصوصا وأن ديوانه الشعري يعكس هذه الخصوصية، وقد حدد قيمته في كونه وثيقة تاريخية فريدة تكشف عن جوانب مجهولة من أواخر أيام المسلمين في الأندلس[4]. والبسطي من الأعلام الشاهدة على عصرها، فديوانه يصور مرحلة القرن الهجري التاسع في الأندلس، مرحلة غامضة ومظلمة، ومصادرها التاريخية العربية قليلة، لضياع الوثائق والمدونات في فترة سقوط غرناطة وسواها[5].

---

[1]- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث: ل.

[2]- نفسه: ل.

[3]- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن بن خلدون، عارضه بأصوله وعلق حواشيه محمد بن تاويت الطنجي (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1951م): كا.

[4]- البسطي آخر شعراء الأندلس، محمد بن شريفة: 7.

[5]- نفسه: 9.

وقد اعتبر عصره عصر انحلال دولة غرناطة واضمحلال مملكتها، كثرت فيه الفتن والصراع على الملك (1410-1492) عاصر خلالها الشاعر - حسب تحقيق المترجم- اثني عشر ملكا، فكانت مرحلة جهاد في بسطة لرد الهجمات.

والعناية بالعصر في بناء الترجمة أو غيابها أمر له مبرراته المنهجية عند العلامة محمد بنشريفة، عبر عنها عندما برر أسبابه في ربط ابن عميرة بعصره، بينما تجاوز ذلك مع ابن **عبد ربه الحفيد** بالرغم من انتمائهما إلى نفس العصر الموحدي، فالأول "طغت شهرته لقوة شخصيته وضعف عصره، على حين عاش الثاني في بداية العصر فعفت حيثيته لضعف شخصيته وقوة عصره"[1]، فرأى أن أنسب شيء لبناء شخصية ابن عبد ربه الحفيد مدخلا في الكتابة الديوانية على عهد الموحدين.

ولعل ترقب جديد التاريخ المغربي الأندلسي من خلال النصوص، كان هم عدد من المترجمين والمحققين المغاربة، فالمرحوم محمد الفاسي في تحقيقه لكتاب "أنس الساري والسارب"، اهتم بعرض فوائد الرحلة وأهميتها في تقديم حقائق كانت مجهولة حول رحلة الحجاج نحو المشرق عبر صحاري المغرب، وهي أخبار من شأنها أن تكشف عن حلقة جديدة من سلسلة الرحلات ونظامها، وتساهم في وضع "خريطة طريق الحجاج المغاربة عبر التاريخ وتحقيق أسماء المراحل التي يمرون بها والمسافات التي بين كل مرحلة والتي تليها"[2]، إلا أن المحقق لم يربط نص الرحلة بإطاره التاريخي، ولم يشر إلى ظروف العصر السياسية لتأكيد فائدة النص التاريخية، نحو صنيع شوقي ضيف الذي عن له أن يتصل بالآثار الأندلسية اتصالا وثيقا، وأن ينظر في المخطوطات بحثا عن أمهات كتبها الأدبية، عله يعثر على مواد جديدة لتأريخ الأدب الأندلسي تأريخا علميا دقيقا، وقد وجد في نشر القسم الثالث من كتاب "المغرب في حلى المغرب": "وشي الطرس" مادة نفيسة حول بيئة الشعراء الأندلسيين وعواصمهم ومن عاش فيها من أمراء ووزراء وكتاب...[3].

---

[1]- ابن عبد ربه الحفيد، محمد بن شريفة: 4-5.

[2]- أنس الساري والسارب، أبو عبد الله محمد القيسي: د.

[3]- المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد، تحقيق شوقي ضيف 17- 18.

أما شخصية ابن **مغاور الشاطبي**، فقد ربطها مترجمنا بعصرها ربطا محكما، واعتبر التحقيق في الحياة السياسية تحقيقا في توجهها السياسي، فبنى صورتها فاعلة ومنفعلة بمجتمعها من خلال صلاتها بمعاصريها وخدمتها للأمراء والولاة، واستطاع بذلك أن يلامس مشروعه الأكبر، ويساهم في ترميم تاريخ الأندلس السياسي، ويسد بعض ثغراته بفضل الصلة بين الأديب ومخدومه، وما نتج عن هذه الصلة من إنجاز لمجموع "نَوْر الكمائم وسَجع الحمائم"، وهو مجموع "لولاه ما عرفنا شيئا عن ولاية أبي الربيع في الأندلس"[1]، باعتبارها أول ولاية تقلدها، خلافا لما ظنه الذين كتبوا عنه.

وقد أحصى العلامة الفوائد التاريخية التي انفرد بها هذا المجموع[2] في تصويره لحلقات تاريخية مفقودة. وبما أن الرسالة غير مؤرخة، فقد حقق في تاريخها وجعله سنة 543هـ، وحقق في اسم الأمير الآمر بكتابتها منطلقا من بعض الملابسات والإشارات المبثوثة في الرسالة.

وقيمتها التاريخية لم تمنع المترجم من مقابلتها بالمصادر المختلفة في الأدب والترجمة والتاريخ، للتأكد من صدقها، نحو قوله: "وما ذكره ابن مغاور هنا مطابق تمام المطابقة لما ورد في كتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة..."[3]، أو تفصيل مجملها وتوثيقها[4]، أو نقد أخبارها ورد اتهاماتها، نحو قوله: "ومن التهم التي وردت في الرسالة أيضا قول ابن مغاور مطالبا ابن عز الناس... وهي تهمة غير صحيحة في مجملها"[5].

إن دواعي اختيار النصوص المحققة إذن، لا تقتصر على أهميتها الأدبية فحسب، بل تتعداها إلى القيمة التاريخية للنصوص من حيث محافظتها على أحداث التاريخ المغمور، أو تفصيل مجمله أو حل غامضه، فاختيار العلامة لـ "مَلْعَبة **الكفيف الزرهوني**" كان لاعتبارات تاريخية، فهي تمثل أقدم وثيقة تاريخية حول الحركة التي قام بها السلطان

---

[1]- ابن مغاور الشاطبي، حياته وآثاره، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة: 68.

[2]- نفسه: 35.

[3]- نفسه: 54.

[4]- نفسه: 54- 56.

[5]- نفسه: 37.

أبو الحسن المريني من المغرب الأقصى إلى المغرب الأدنى، إثر سعيه في توحيد المغرب الكبير والدفاع عن الأندلس والغرب الإسلامي كله، والتي انتهت بانهزامه؛ والقصيدة، وإن كانت عامية اللهجة، إلا أنها سياسية المنزع تاريخية المضمون، تتسم بالطرافة، وتقترب من جنس السير والملاحم الشعرية[1]، وهذه سمات جعلتها محط إغراء العلامة الذي تناولها بالتحليل والدراسة، وكشف عن قيمة مضمونها الذي يعكس وعيا مغربيا شعبيا عميقا وتتبعا دقيقا للأحداث... فهي عنده تقدم إشارات عديدة، حول دواعي حركة أبي الحسن المريني إلى إفريقية، وشرعيتها الدينية والتاريخية، وأسباب فشلها المختلفة...[2]. والأهم من ذلك عنده، كشفها للشرعية التاريخية المرتكزة على "أهلية بني مرين لقيادة زناتة..."[3]، وهو مضمون اختبره المحقق وقابله بالمصادر التاريخية المعاصرة للأحداث، ليتحقق من صحته ومن انفراد "الملعبة" بروايات تاريخية لا توجد في غيرها.

وقد كان الجانب الأدبي منطلق المترجم لبناء الأحداث السياسية لعصر **ابن حَريق البلنسي** لترميم صورته الناقصة، فتتبع بالتحليل والدراسة مضامين شعره ونثره، واعتبرهما أقرب وثيقة لمعاينة ظروف العصر، لأن الشاعر كان مداحا لأمرائه وقواده، واصفا لحركاتهم ومعاركهم وانتصاراتهم حسب تعاقبهم على الملك، لذلك اعتبره المحقق شاهد عصره الذي ولد في زمن فتنة وتوفي في زمن فتنة، وهذه أدت إلى "ضياع بلنسية وشرق الأندلس بعد أربعة عشر عاما من وفاة هذا الشاعر الأديب"[4]، وجعل أحداث العصر السياسية أكبر موجه لشخصية الشاعر وثقافته، يقول: "ولعل مناسبة وقعة الأرك الشهيرة كانت من أسباب بداية شهرته وتدفق شاعريته، فقد هزته أخبار هذا الفتح المبين وغمرته مشاعر النصر الكبير، فانطلق لسانه بالشعر لا يكتفي ببحر واحد"[5].

---

[1]- ملعبة الكفيف الزرهوني: 31.

[2]- نفسه: 23.

[3]- نفسه: 25.

[4]- ابن حريق البلنسي، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة: 58.

[5]- نفسه: 41-42.

ولتأكيد الطابع التسجيلي والتوثيقي لأشعار ابن حريق، أحصى المصادر التاريخية التي تضمنت هذه الأشعار واعتمدتها شاهدا كالمعجب والمن بالإمامة والبيان المغرب...[1]. وبالرغم من طابعها التسجيلي، إلا أن حذر العلامة يدفعه إلى تحري الضبط، وتطعيم تلك الشواهد بقرائن أخرى أدبية وتاريخية للتأكد من صحتها.

إن تناول المترجم للعصر السياسي والحكم عليه من خلال رجاله، خصوصا إذا كان هؤلاء الرجال على صلة بأحداثه السياسية، يكون غالبا بالقدر الذي يتصل بحياته، سواء توافرت المصادر التاريخية على أحداثه السياسية أو اضطر إلى بنائها أو ترميها، فقد اهتم اهتماما خاصا بعصر **أبي المطرف أحمد بن عميرة**، وألقى الضوء على مميزات فترته التاريخية الممتدة من القرن الهجري السادس إلى منتصف القرن السابع، فتعرض للناحية السياسية، وما عرفته منطقة المغرب والأندلس من تقلبات في هذا العصر الذي اعتبره من أحفل العصور بالأحداث التاريخية في الغرب الاسلامي[2]، إنها مرحلة تعكس شخصية ابن عميرة –بتقلباتها السياسية والاجتماعية– لصلته الواسعة بأهل عصره، وهي صلة لا يظن المحقق أن أحدا يضاهيه فيها[3]، بحكم الأعمال العديدة التي تقلدها في الأندلس والمغرب وإفريقية[4]، فقد اعتبره خلاصة عصره لاحتكاكه بأحداثه وتأثره بها واشتراكه في صنعها، وعده صورة موجزة عن نهاية الموحدين في الأندلس، وإن كانت في حدود عمره الممتد بين سنة 582هـ وسنة 658هـ دون أن يوغل في التفصيلات التاريخية[5].

وإذا كان ابن عميرة، في نظر المحقق، يمثل عصره أصدق تمثيل، لجمعه بين نواحي السياسة والعلم والأدب، ولما اشتملت عليه حياته من السمات التي تمثل عصره

---

[1]– ابن حريق البلنسي، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة: 47–48.

[2]– أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي حياته وآثاره، محمد بن شريفة:17.

[3]– نفسه: 28.

[4]– يقول المحقق: "فقد بدأ حياته الكتابية مع السادة الموحدين في شرق الأندلس ثم اشتغل مع زيان بن مردنيس أثناء إمارته الأولى في بلنسية وأثناء إمارته الثانية بمرسية، وكان كذلك من رجال دولة ابن هود البارزين ثم..." (أبو المطرف أحمد بن عميرة، حياته وآثاره :21.

[5]– نفسه: 17.

المضطرب المتقلب[1]، وإذا اعتبره حريا بالعناية وجديرا بالدراسة، فإنه في "صحيفة معهد الدراسة الإسلامية بمدريد" يعتبر مثالا لشخصية سلبية لم تنفع عصرها ولا نفسها بشيء، ذلك لأن اكتساب القيمة التاريخية للشخصية تقتضي شرط تفاعلها مع أحداث عصرها تفاعلا إيجابيا، وابن عميرة لم يكن يتطلع إلى أكثر من سعة رزقه، لاهثا وراء الملبوس والشارة، وإذا كان ميراث الدولة الموحدية قد مال، فلأن أمثال أحمد بن عميرة كثر[2].

يرتكز التوجه العلمي للعلامة محمد بنشريفة على كتابة السير، والتغلغل في أعماق الشخصيات الأدبية، وتدبر ذاتها داخل عصرها، لمفاجأة المتلقي بالجديد من الحلقات التاريخية المفقودة، وتعتبر كل سيرة أقامها، امتدادا للسير الأخرى، وقد أعطى لنفسه الحق – بحكم مرحلته وأهداف جيله– لإزالة بعض الوهم والغموض عن هذا التاريخ، والاهتداء إلى كشف جوانب سياسية دقيقة كانت مرتبطة بأزهى الفترات، نحو وقوفه على مرحلة سقوط قرطبة في عهد الموحدين سنة 613 هـ مع الزجالي، ومرحلة ولاية أبي الربيع سليمان بالأندلس في العهد نفسه مع ابن مغاور الشاطبي، ومرحلة تصوير محنة دولة بني مرين وتوضيح العلاقة بينها وبين بني نصر مع ديوان ابن فركون، والحقبة الغرناطية مع البسطي وابن فركون... إلى أن جعل من تراجمه سجلات حافلة بالتاريخ السياسي، وهذا الاهتمام – مثلما هو عند بعض معاصريه– ليس سوى تجل لوطنيته وغيرته على تاريخ أمته.

إن اختيار العلامة لمشروعه في بناء تاريخ المغرب السياسي داخل تراجمه، وإن كان أكثر إجهادا له، إلا أنه أكثر فائدة للمكتبة العربية، من حيث كونه يلبي حاجة ثقافة معاصرة، ويشارك أهداف جيل غيور على تاريخه ووطنيته، فكان في اختياراته تراثيا، يختار من الشخصيات والنصوص والشواهد التراثية ما يقدم فائدة وجديدا للثقافة المعاصرة،

[1]– أبو المطرف أحمد بن عميرة: 28.

[2]– محمد بن شريفة: أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته وآثاره، في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد: 218.

وهنا مكمن إبداعه في تناوله للتراث، فقد كان يدرك تمام الإدراك، أن غابر هذا التاريخ ومهمله لا يعرف إلا ببقاياه الأدبية، بعد النفاذ إلى خفايا نصوصها، وبترتيب الحقائق الجزئية التاريخية واستحضار غابرها مع المقابلة بين الحقائق التاريخية والأدبية، والاستعانة بالحاسة النقدية في التعليق والتصحيح، وفي تكميل الصور الناقصة وبعث الروح في الجوانب الخفية، إلى أن ألف أعلامه متحركة داخل عصرها، متأثرة بنكباته: فالقاضي عياض يواجه الأهوال في حروبه مع الموحدين ليساق مأسورا إلى مراكش حيث توفي وحيدا، وابن عبد الملك المراكشي تألب عليه خصومه وأثرت فيه فتنة سقوط العرش الموحدي، وتوالي الأحداث الأليمة التي أدت إلى هجرته إلى تلمسان حيث توفي غريبا، وعبد الواحد المراكشي يهاجر من وطنه إلى بغداد، ليموت بعيدا عن الأهل والوطن، والماجري طمس الزمان ترجمته بعدما عاين في حياة عصره محنة الفتنة والمجاعة بعد وفاة المستنصر الموحدي سنة 620 هـ، وابن لبال الشريشي يمثل عزيز قوم ذهب مجد قومه...

1-2- الحياة الفكرية والأدبية:

إن تاريخ الأدب "حسب ريني ويليك لم يظهر كممارسة مستقلة وقائمة بذاتها إلا عندما اتحدت الترجمة بالنقد وتحت تأثير التاريخ السياسي"[1]، والعلامة محمد بنشريفة في اختياره لأعلامه ركز على الشخصية المنفعلة بأحداث عصرها، والفاعلة في تاريخها السياسي، وجعل هذا الاختيار من المكونات الأساسية لبناء صرح تاريخ الأدب المغربي والأندلسي، وإثراء ميادينه المتروكة.

ويعتبر النظر في صلات المؤلف بمعاصريه واجهة فعالة لتصوير النشاط العلمي وأحوال العصر الثقافية والأدبية؛ وقد حقق في هذا الجانب ليطل على الحركة الأدبية للعصر. وإذا كان همه تقديم صور واضحة عن الحياة السياسية، للتحقيق في أثرها على الشخصية الأدبية وعلى عطائها الأدبي، فهل استجاب لشروط الترجمة في إقامة تاريخ الأدب؟ وما هي طريقته في التحري عن معطياته وترتيبها وبنائها؟ وهل عدم الاستقرار السياسي يؤثر حتما في الحياة الأدبية للمؤلف؟.

[1]- الدراسة الأدبية بالمغرب، أحمد الشايب: 85.

1-2-1- التراث الفقهي:

إن غيرة العلامة المغربي على الثقافة المغربية، جعل أبحاثه تمتد إلى النواحي المهملة، وجعل صرخاته تمتد إلى الباحث والمتخصص لتنبيهه إلى أمور بحاجة ملحة إلى الدرس، لإغناء تاريخ الأدب المغربي وإزالة الشوائب عنه.

وقد اعتبر التراث الفقهي جزءا مهما من التراث الثقافي بالمغرب وجب الدفاع عنه، واعتبر: "بداية الفقه المالكي بالمغرب وتطوره خلال العهود الإدريسية والزناتية وما قد يكون حصل من صراع بين الفقهاء والخوارج والبرغواطيين وغيرهم، كلها أمور ما تزال في حاجة إلى الدرس"[1]؛ ولعل صيحته تلك كانت نتيجة إحساسه بالإجحاف الذي ووجهت به هذه الثقافة المغربية، ففي الوقت الذي يعرف فيه الكثير عن نشأة المذهب المالكي المبكرة وأطواره الأولى في الأندلس، "لا نعرف إلا القليل فيما يخص مغربنا... بينما ما تزال محاولات تاريخ المذهب في المغرب ضئيلة، وثمة ثغرات وفجوات ما زلنا في حاجة إلى سدها وملئها"[2]، وطبعا لن يفوت عليه هذه الفرصة، خصوصا بعد ما أثاره موقف القاضي عياض السبتي الذي ألف "أجل مؤلف في تاريخ المذهب المالكي حتى عصره"[3]، ولم يبدأ في عد فقهاء المغرب الأقصى إلا ابتداء من الطبقة الرابعة، مكتفيا بذكر ثلاثة فقهاء كلهم من مدينة البصرة المغربية[4].

وللتحقيق في الأمر، اعتمد حاسته النقدية ونبش في مواطن النقص، وانطلق في تعليقه على **القاضي عياض** من السؤال التالي:"فهل معنى هذا أنه لم يظهر ببلدنا أحد من المالكية قبل هذا التاريخ أم أنهم ظهروا وضاعت أخبارهم بضياع المدونات التاريخية كالمؤلفات المتعددة المفقودة في تاريخ فاس..."[5]، فأفرد مقدمة التحقيق للكشف عن

---

[1]- مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، القاضي عياض: 8.

[2]- نفسه: 5.

[3]- نفسه: 5.

[4]- نفسه: 5- 6.

[5]- نفسه: 6.

مصادر جديدة حول المذهب المالكي في المغرب، وعن عدد مهم من الأعلام المغاربة الذين ورد ذكرهم في كتب الرجال والطبقات[1]. وبفضل قراءته الاستكشافية لشواهده، وممارسته النقدية لكل ما يواجهه من أخبار، خلص إلى تعليقات وتصويبات تاريخية وعلمية، منها: أن يحي بن يحي المصمودي أبرز تلاميذ الإمام مالك في الأندلس يعتبر مغربي الأصل[2]، وأن "ما يقال من أن أبا ميمونة دراس بن إسماعيل أو جبر الله الفاسي هما أول من أدخل الفقه المالكي إلى فاس والمغرب الأقصى، كلام غير دقيق، فقد وجدنا أعلاما قبلهما... وأن الفقه المالكي الذي انتشر في المغرب جاءنا في البداية من القيروان أكثر مما جاءنا من الأندلس"[3].

وفي دراسته لهذا التراث الفقهي، الذي يشغل حيزا مهما في التراث الثقافي بالمغرب والأندلس، كشف عن مواقفه النقدية تجاه هذا التراث، وجعله يعكس نزعة عملية وسمة واقعية من مميزات الذهنية الأندلسية والمغربية، لارتباطه الشديد بوقائع الناس ومشكلاتهم الناشئة[4]، ومن ثمة ضرورة الاهتمام بها، للكشف عن حقائق تاريخية وأدلة ملموسة على نبوغ المغاربة السريع في الفقه ومشاركتهم في الإفتاء[5].

1-2-2- رفع الحجاب عن واقع الحياة الأدبية لعصر المؤلفين:

ولتحقيق مأربه والمشاركة في رفع الحجاب عن واقع الحياة الأدبية لعصر المؤلفين، لجأ العلامة إلى الصلات الثقافية بين أعلام العصر، وإلى أثر الأوضاع السياسية عليهم، فقد رسم الصورة المضطربة للحياة السياسية في عصر **أبي يحي الزجالي**، وحقق في انعكاسها السلبي على الحياة الأدبية والفكرية وعلى نفسية علمائها وأدبائها، فقدم نماذج دالة على انشغال كبراء الدولة عن العلم والأدب، واقتصار النشاط الأدبي عموما على

---

[1]- مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، القاضي عياض: 5- 6.

[2]- نفسه: 5.

[3]- نفسه: 8.

[4]- نفسه: 9.

[5]- نفسه: 14- 15.

القول في بعض المناسبات والموضوعات التي يقترحها الخليفة نفسه[1]، فراكم الشواهد الدالة على سوء العلاقة بين الأدباء، وصلاتهم التي يشوبها النفاق والدسائس، وعلى أثر الجو المضطرب في شخصية الزجالي[2]، الذي أراد أن يدلي بدلوه، فلم يلق إلا الإعراض والإهمال والنسيان، وتسبب ذلك في ميله إلى حياة العزلة والانقباض[3]، وقد أيد المحقق مصداق هذا الوضع بأشعار من مجموع "ري الأوام"، تعكس أثر الحصار والحروب بين الموحدين المتقاتلين على إرث الخلافة.

وبالرغم من دفاعه عن شخصية الزجالي، إلا أنه لم يُخف ضعف شخصيته، ولعل هذا ما جعله يهتم بجانب الطباع والأوصاف الخلقية بدل الاهتمام بثقافة العصر وثقافة المؤلف[4].

وإذا كان النشاط الأدبي في عهد الزجالي قاصرا متأثرا بالأوضاع السياسية والاجتماعية، وكان الولاة منشغلين عنه، فإنه في عهد **ابن عبد الملك المراكشي** يمثل أزهى فتراته الأدبية، لما عرفه من مسامرات أدبية في مجالس الأمراء وكبراء البلد. ولتصوير الأوضاع الأدبية لعصره، بذل المحقق جهدا كبيرا في تتبع شيوخ ابن عبد الملك وأصحابه وأقرانه وتلامذته ومنافسيه، فأحصى الشيوخ، وحقق في تراجمهم المغمورة، اعتمادا على الأسفار الموجودة من "الذيل والتكملة"، باعتبارها المصدر الأول في معرفة المؤلف، وقد بلغوا من كثرة العدد مبلغا لم تكن تتسع له سبتة، وأحصى أصحابه وأقرانه من معاصريه الذين اشتركوا معه في الأخذ والرواية عن الشيوخ[5]، فجعل التحقيق في منزلة المؤلف العلمية وثقافته وصلته بمعاصريه تحقيقا في ثقافة العصر، وتصويرا لتاريخ الأدب ولأوضاعه الثقافية في الحواضر التي زارها المؤلف مثل مراكش وفاس وسبتة[6].

---

[1]- أمثال العوام في الأندلس، الزجالي، ق1:40 .

[2]- نفسه: 41.

[3]- نفسه: 43.

[4]- نفسه: 43.

[5]- الذيل والتكملة، ابن عبد الملك، س8: 27.

[6]- نفسه: 72.

أما الحركة العلمية والأدبية لعصر **ابن فركون**، فقد أطل عليها من خلال التحقيق في صلته بأهل العلم والأدب، ومن خلال مراسلاته ومجاوباته الشعرية مع رفقائه وأمراء عصره، وربط تطورها وازدهارها بشخصية الملك الناصر، وبهدوء الأوضاع السياسية للبلاد على عهده، فقد وجدت الحياة الأدبية والعلمية في شخصه نصيرا لها وتشجيعا لرجالها[1]، لكونه عالما وأديبا وشاعرا.

ولبيان ثقافة هذا العصر عرف بأسماء عدد من رجال الأدب والعلم بـ "الحضرة النصرية" وبمواهب شعرية في مقدمتها الملك الناصر يوسف الثالث، الذي كان شعره تصويرا لحياته ومعاناته، وتناول ديوانه بالدرس والتحليل، ليكشف عن قيمته الأدبية[2]، وعن التيارات الشعرية القريبة من عهده، وأثرها على شعره شكلا ومضمونا[3]، كما أبان عن الخصائص الأدبية لهذا العصر من خلال تباري الشعراء في مدح هذا الملك وتهنئته بقصائد عدة، لاعتلائه عرش غرناطة[4]، وفي قصائد عثر عليها في مخطوط "مظهر النور"[5]، فعرف بأصحابها وبقيمتها في تصوير شخصية يوسف الثالث وتعداد أوصافه وبيان مهاراته وخططه السياسية وخصاله مع الرعية[6]، ولتأكيد أحكامه الأدبية، غالبا ما يستأنس بالمقابلة بين ما ورد في ديوان ابن فركون وما جاء في ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث وفي "مظهر النور"، وهي أشعار تضع، من جهة، الملك الناصر بين صفوة أهل الأدب والعلم في عصره، وتدل من جهة أخرى، على ثقافة أصحابها الأدبية وثقافة عصرهم بما تضمنته من صور وتعليقات ومعارضات وتضمينات وتلميحات.

---

[1]- ديوان ابن فركون: 39.

[2]- نفسه: 21- 22.

[3]- نفسه: 57.

[4]- نفسه:26.

[5]- يحتوي مجموع "مظهر النور" على القصائد التي أنشدها بين يدي السلطان بمناسبة عيد الأضحى لعام 811هـ، ويحتوي ديوان ابن فركون على العيديات التي نظمها هو نفسه طوال عهد يوسف الثالث من عيد الفطر عام 811 هـ إلى عيد الأضحى 819هـ (ديوان ابن فركون: 34-35).

[6]- نفسه: 39.

وقد كان العلامة المحقق في اختياره للنصوص التراثية، يسعى إلى النماذج التي تمثل إطارها العام وتغنيه، أو تضيف جديدا إليه، نحو تحقيقه لمجموع "نور الكمائم وسجع الحمائم" **لابن مغاور الشاطبي**، باعتباره جزءا من المجاميع العامة لعصر الموحدين، التي تمثل حلقة، كانت مفقودة في سلسلة النثر الفني بالأندلس، وتقدم مادة جديدة تضاف إلى ما هو معروف من الرسائل الديوانية في عصر الموحدين[1].

ولتصوير المكانة العلمية والأدبية لعصر ابن مغاور الشاطبي، وقف عند شهرة مدينة شاطبة، بكثرة أعلامها من أهل العلم والأدب في القرن الخامس الهجري[2]، وتتبع تسلسل العلم في أسرها، يقول: "وقد رأينا من المفيد تتبع تسلسل العلم في هذه الأسرة، قبل الوصول إلى صاحبنا أبي بكر، ومن الجدير بالذكر أن مثل هذا التسلسل العلمي والأدبي نجده في أسر شاطبية أخرى كبني مُفَوِّر وبني الجيَّان وبني ينَّف وبني أبي تليد وغيرهم"[3]. وهذه الواجهة القائمة على تتبع التسلسل العلمي والأدبي للأسر اعتمدها أيضا في تحقيقه للحياة الثقافية لمدينة شريش على عهد ابن لُبال الشريشي[4].

ومن الأعلام التي عكست مؤلفاتها الحركة الأدبية والعلمية للعصر: **البسطي**، فديوانه وثيقة أدبية عامة ونادرة تصور مستوى بلاغة أهل الأندلس قبيل ضياع الفردوس المفقود[5].

وخلال إقامته لسيرة الأمير المرابطي ميمون بن ياسين -إحياءً لذكره، منطلقا من نتف فقيرة في كتب التراجم[6]- نظر إليها من خلال عصرها، فصنعها سيرة، ارتبطت بالوسط المراكشي بعدما بقيت زمنا مجهولة، لا يعرف عنها المراكشيون وغيرهم إلا ضريح

---

[1]- ابن مغاور الشاطبي، حياته وآثاره: 8 .

[2]- ابن مغاور الشاطبي، حياته وآثاره: 11. عرف المحقق بأبرز علماء شاطبة ممن مروا بها وتوقفوا فيها وأثروا في أبنائها وعلمائها، مظهرا مرتبة كل فرد منهم ومكانته في المجتمع.

[3]- نفسه: 15 .

[4]- ابن لبال الشريشي، محمد بن شريفة: 9-38.

[5]- البسطي آخر شعراء الأندلس، محمد ابن شريفة: 7.

[6]- الأمير المرابطي ميمون بن ياسين حياته وحجه، محمد بن شريفة: 40-42.

سيدي ميمون الذي سميت المنطقة باسمه، ولإقامتها وقف عند تاريخ الحج في المغرب لإثبات المشاركة الفعلية للمغاربة في الحج، وإثبات خبر نقل كتب التفسير وغيرها إلى المغرب في مواسم الحج، ثم إثبات الصلات بين العلماء المغاربة والمشارقة.

وكان المترجم، ومع سكوت المصادر، يهتدي في بنائه للسيرة إلى مهاراته في الربط بين الإشارات المتباعدة، والتقريب بين مختلف العلوم، فجعل الإشارة في مجال الطب والفقه والمعمار والآثار والكرامات وتاريخ الأضرحة ونقوشها... تعطي للترجمة الإخبارية أكثر مما يعطيه الخبر التاريخي، ونسج هذه المواد المتجمعة وجانس بينها... إلى أن أثبت حقيقة حج الأمير المرابطي ميمون بن ياسين، ورد على المصادر التي أنكرت ذلك[1]، وبإثبات حجه أثبت مشاركته في رواية الحديث والسماع عن شيوخه، وبالتالي إثبات نقل كتب التفسير إلى المغرب ومحاولة إثبات دخول كتب الغزالي إلى الغرب الإسلامي[2]؛ وإثبات ذلك كان أمرا صعبا أمام سكوت كتب الطبقات والتراجم لولا تسلحه بجزئيات تاريخية قد تبدو لغير المتخصص منعدمة الفائدة، ولولا نظمه بين الشاهد التاريخي والأدبي والفقهي واللغوي في سلسلة تؤدي حلقاتها إلى بعضها.

1-2-3- صلة المؤلف بمعاصريه:

اعتمد العلامة واجهة أكثر ارتباطا بابن مغاور الشاطبي، تتعلق بصلته بمعاصريه[3] للتحقيق في نوع العلاقات الأدبية السائدة في عصره، وفي طبيعة المحاورات الأدبية والمراجعات الشعرية، ونوع المجادلات السياسية، وكان سنده الأول المقاربة بين قصائد الشاعر، باعتباره مدافعا عن شاطبة، وقصائد شعراء مرسية وبلنسية[4]، من أجل التمثيل للمنافسة السائدة بين المدن العلمية شرق الأندلس؛ ومن أغرب صور هذه الصلات،

---

[1]- الأمير المرابطي ميمون بن ياسين، محمد بنشريفة: 42.

[2]- أفرد العلامة بنشريفة لهذه القضية مقالا شارك فيه في يوم دراسي: أشكال تلقي مؤلفات الغزالي في الغرب الإسلامي الجمعة 17 ماي 2002، تنظيم مركز تاريخ العلوم والفلسفات العربية والوسطية بباريس وشعبة الفلسفة، كلية الآداب بمراكش. عنوان المقال: "قضية دخول كتب الغزالي إلى الغرب الإسلامي مدخل عام مع التمثيل بعمل الأمير ميمون بن ياسين".

[3]- ابن مغاور الشاطبي حياته وآثاره، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة: 24.

[4]- نفسه: 25.

علاقة ابن مغاور بتلميذه أبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي[1]؛ والتحقيق في هذه العلاقة هو مثال للمنافرات الكلامية بين أديبين حول مدينتين، وصورة من صور العصر "لأدبيات التغاير بين المدن"[2].

ولبناء صلة المؤلف بمعاصريه، وفي لقائه بطبقة من الكتاب والشعراء أمثال الشاعر ابن خفاجة (ت533هـ) والكاتب ابن أبي الخصال (ت540هـ)، تحرى العلامة أخبار رسائله التي تمثل نموذجا للجدل السياسي، ومثالا من "تبادل التهم بين حزبين"[3]، وكان يثبت الشواهد المخطوطة أمام القارئ، ويحلل مضامينها ويستنطق مقاصدها[4]، وفي حالة غياب الأدلة، يعمد إلى الظن والتقدير، فحين ظن أن ابن مغاور لقي الشاعر ابن خفاجة، قدر أنه لقيه في إحدى قدماته على شاطبة، وزاره في جزيزة شُقر نحو عدد من أهل بلده وعصره[5]، وعلل ذلك بقوله: "ومهما يكن من أمر، فإن ابن مغاور كان في الثلاثين من عمره عند وفاة ابن خفاجة، ولا نظن أنه فاته لقاء شاعر كبير كان يعيش غير بعيد عنه"[6].

1-2-4- مشروع العلامة محمد بنشريفة في بناء الصلات الثقافية:

يعد مشروع العلامة في بناء الصلات الثقافية، واجهة مهمة للتحقيق في ثقافة العصر[7]، فقد اعتمده في رصد الحياة الثقافية والأدبية لعصر ابن لبال الشريشي، من خلال التحقيق في مخاطباته الشعرية والنثرية، وتتبع صفاته الخلقية ذات الأثر المباشر على تكوينه وعلاقته بمجتمعه[8].

---

[1]- انتقد ابن مغاور تلميذه أبا بحر، فكان الرد أشد عنفا، أثار غرابة المحقق ليقول:"ونحن لا نعرف خبر انتقاد ابن مغاور المذكور إلا من الرسالة التي رد بها أبو حجر... وقد جاء هذا الرد أكثر عنفا وأشد وقعا من سابقه، فقد بدأه بهجاء الناقد المتواري ونعته بالعاوي (ابن مغاور الشاطبي 25- 26).

[2]- ابن مغاور الشاطبي: 31.

[3]- نفسه: 35.

[4]- نفسه: 25.

[5]- نفسه: 40.

[6]- نفسه: 40.

[7]- أمثال العوام في الأندلس، الزجالي، ق1:256.

[8]- ابن لبال الشريشي: 50-51.

وخلال تتبعه لتاريخ الصلات والمنافرات بين العدوتين، حدد بدايتها مع عصر المرابطين وتطورها في عهد الموحدين، ليصل إلى المراشقات التي ساهمت في الحوار الأدبي خلال العصر المريني، وهي نصوص ثلاثة في مقدمتها "طُرفة الظريف في أهل الجزيرة وطريف" **للملزوزي**، فبالرغم من صغر حجم هذا النص، إلا أن أهميته، باعتباره نصا جديدا مكتشفا، جعل المترجم يهتم بإطاره المعرفي، فهو يمثل مظهرا من مظاهر انعكاس توتر الجو السياسي على الحياة الأدبية[1]، ومثالا للمفاضلات القلمية بين الأندلسيين والمغاربة؛ وللتحقيق في هذا الجو الثقافي، اهتم اهتماما خاصا بالسياق التاريخي للمفاضلات بين الأندلس والمغرب، وتتبع مظاهر الصراع بين البلدين وآثاره[2]، من خلال علاقات الكراهية والعداوة بين المعاصرين، ومن خلال أشكال المنافرات داخل معاجم الأعلام[3]، ليتوصل إلى تجني الأندلسيين وتحاملهم عبر العصور على أهل العدوة الذين كان لهم الحظ الأوفر في فتح الأندلس[4].

وهذا الموقف من الصراع الثقافي تحمله روح وطنية، وإن نظر إليه العلامة بعين الإنصاف، حين قال: "ولكننا إذا نظرنا إلى المسألة بعين الإنصاف، نجد بأن الشعور الإقليمي كان عند الأندلسيين أقوى منه لدى المغاربة؛ فهم كانوا يتجنون غالبا على أهل العدوة" [5]. ولترسيخ تلك الروح الوطنية من خلال مشروعه "تاريخ الصلات بين العدوتين" اعتنى بالموضوع نفسه في عدد مهم من تآليفه ومقالاته من بينها دراسته "أبو العباس الجراوي في سياق المنافرة بين العدوتين"[6].

وقد يهتم المحقق اهتماما خاصا بالناحية الثقافية لعصر المؤلف بهدف الدفاع عن رأي أو دحض اتهام أو دفع شبهة، فقد أحاط الحياة الثقافية لعصر **أبي المطرف أحمد بن**

---

[1]- من منافرات العدوتين، محمد بن شريفة: 18.

[2]- نفسه: 7.

[3]- نفسه: 10-11.

[4]- نفسه: 8.

[5]- نفسه: 11-12.

[6]- أبو العباس الجراوي في سياق المنافرة بين العدوتين، محمد بنشريفة: في ندوة: أبي العباس الجراوي"أيام 5-6-7 أبريل 1994 م بكلية الآداب جامعة القاضي عياض ببني ملال، ط1 (البيضاء مطبعة النجاح الجديدة، 1996م).

عميرة بعناية خاصة، للتأكيد على أن نصيب الأدب في هذا العهد لم يكن أقل شأنا من نصيب العلوم، والرد على من ادعى غير ذلك بالحجج والدلائل[1]، يقول: "وقد ذهب بعض الباحثين المحدثين إلى أن هذا العصر يمتاز بانحطاط الأدب وانحطاط الأخلاق، وأن الشعر فيه كان شعر مجون وهجاء، وهو حكم نراه بعيدا عن الصواب، ومنشؤه قلة التقصي والاستقراء"[2]؛ وواصل دفاعه عن الأدب المغربي في مقدمة تحقيقه لكتاب "التنبيهات" لابن عميرة، موجها نقده إلى ابن خلدون الذي اتهم المغاربة في مقدمته بعدم قدرتهم على مآخذ البلاغة والبيان لغموض معانيها، وهذا الرأي لا يخلو من الإطلاق والتعميم، ويبدو في نظره "أنه لا يقوم على الاستقراء الدقيق"[3]، ولدحضه ودفع الشبهة عن الأدب المغربي، حاول إثبات المشاركة الفعلية للمغاربة في مباحث البلاغة والنقد تأليفا ودراسة، واستقصى النصوص الدالة على اجتهاداتهم في التناول، وتجديد بعضهم في التأليف البلاغي أمثال ابن عميرة وحازم القرطاجي والسجلماسي[4]، وهي عنده شخصيات مثلت عصرها الأدبي أحسن تمثيل.

وقد عمل المترجم على إبراز دور الأسرة الباجية الإشبيلية في تنمية الحركة العلمية بالأندلس، وفي توطيد الصلات الثقافية بين المغرب والمشرق من خلال شخصية **أبي مروان الباجي الإشبيلي** (ت635هـ) مركزا على رحلته إلى المشرق[5]؛ وقد وجد نفسه منجذبا إلى بناء سيرته وملخصا لرحلته، لأنها تشكل لبنة أخرى من لبنات بناء المجتمع الأندلسي في عصر الموحدين، بها أحداث تثير في النفس العجب والإعجاب[6].

وفي إطار عنايته بالصلات الثقافية التفت العلامة إلى ناحية جديدة لبناء هذه الصلات، هي تراجم أعلامنا في المصادر المشرقية، مؤكدا على ضرورة تجريد هذه التراجم من كتب المصنفات المشرقية بعد البحث عنها، لأن هذا العمل من شأنه أن يقربها إلى

---

[1]- أبو المطرف أحمد بن عميرة، محمد بن شريفة: 26.

[2]- نفسه:25.

[3]- التنبيهات، ابن عميرة: 5.

[4]- نفسه: 9.

[5]- أبو مروان الباجي الاشبيلي ورحلته إلى المشرق، محمد بن شريفة (كتاب دعوة الحق، ع5، 1999):4.

[6]- نفسه: 7.

الباحثين، ولأنه -كما قال- لا يخطر ببال الدارس أن يبحث عن ترجمة مثلا للمولى إدريس الأزهر في معجم الشعراء للمرزباني[1].

وقد تتبع المترجم في دراسة له الأعلام المغاربة الذين تفرد بذكرهم **ابن الشعار الموصلي** في كتابه "عقود الجمان في شعراء هذا الزمان"، وهو كتاب تراجم لشعراء القرن الهجري السابع في عشرة أجزاء ضاع بعضها، من ذلك ترجمته لشاعر من سلا اسمه يونس ابن موسى الأنصاري السلاوي[2]، وحسب المترجم لولا أن ابن الشعار دون لنا ترجمة مفيدة عنه.. لما عرف عنه شيء اليوم[3]، ولأهميته أفرده بترجمة وعرف بكتابه المذكور وبما يحتويه من أشعار مغربية، وتتبع حياته في المشرق مستخلصا ما كشفه هذا الكتاب من حقائق جديدة[4].

إن الدفاع عن التراث المغربي الأندلسي، وبيان عصوره الأدبية كان هم جيل من العلماء العارفين بظروفه، وإذا كان اختيار العلامة محمد بنشريفة للنمط الصعب الذي يتطلب الدراسة والبناء، فإن هذا الاختيار لم يتوافر - دائما- لكل الباحثين والمحققين، وإن التزموا بتحديد ظروف العصر السياسية والثقافية والأدبية اعتمادا على مصادر متوافرة.

وإذا كانت دراسة الأعلام هي الصور الأولى لدراسة العصر الأدبي، فإن المحقق أصغى إلى نداءات النصوص المغمورة، وتحرى عن عصور مؤلفيها من خلال التحقيق في صلاتهم الثقافية بمعاصريهم، من محاورات ومفاخرات ومنافرات ومسامرات، أو من خلال التحقيق في التاريخ الثقافي لبلدانهم وأسرهم، فاستطاع بفضل ثقافته الملمة أن يقرع باب الإبداع، ليبني ويرسم ويصحح وينتقد، ليجعل من تراجمه مقصدا للباحثين والمؤرخين، كما استطاع أن يستوحي، في بنائه لثقافة العصر، تخطيطا يتلاءم وطبيعة كل سيرة، حسب صلتها بأحداث هذا العصر وتفاعلها معه.

---

[1]- أبو مروان الباجي الاشبيلي ورحلته إلى المشرق، محمد بن شريفة: 87-88.

[2]- نفسه: 95.

[3]- نفسه:95.

[4]- نفسه: 97.

أكد العلامة بنشريفة من خلال ما تقدم أن الممارسة النقدية لبناء صرح تاريخ الأدب، تستهدف كشف نصوص هادفة ومواد جديدة، والتنقيب عن التراث المغمور في نوادر المخطوطات، للدفاع عن الحضور المغربي الأندلسي وحركته الأدبية بأدلة من صميم التراث نفسه، لذلك أمضى باحثا عن نصوص الشخصيات المنسية، ذات القيمة التاريخية والأدبية، يكشف عن وثائق غابرة من شأنها أن تهيئ مادة جديدة لمراحل غامضة من تاريخ المغرب والأندلس، معتبرا هذا البحث أول خطوة للتحقيق في الحياة السياسية والأدبية لعصر المؤلف.

وبفضل إلمامه بنوادر المخطوطات، كان يفاجئ المتلقي بين الحين والآخر، بكشف غابر وإضافة جديد إلى رصيد المكتبة المغربية، واختياره هذا، لم تخف أهدافه، فهو نتيجة تجاوبه مع حاجيات عصره العلمية وشعوره بهموم هذا العصر، وإحساسه بمسؤولية المشاركة في الهم الوطني، وهو تاريخ لازال غامضا في كثير من جوانبه لضياع أغلب الكتب، لذلك "يعد نشر أي نص جديد فيه شيئا، بالغ الخطر"[1]. وقد استطاع المترجمون من خلال ما تقدم، رفع حجاب الخفاء عن بعض الجوانب السياسية والأدبية لعصر مترجميهم، بفضل الكشف عن نصوص كانت في طي النسيان.

وسيرا على نهج شيوخه وبعض معاصريه، كان مجتهدا في حماية التراث المغربي الأندلسي من التحريف والتهجين، على نحو عده بعضهم مغرضا في التفصيلات خلال تراجمه للأعلام، إلا أن تلك التفصيلات، في نظره، ذات قيمة كبيرة في بناء مشروعه العلمي، الذي يتعدى مجرد التعريف بالأعلام، إلى المساهمة في بناء تاريخ الصلات الثقافية بين البلدان.

2- ثقافة المؤلف:

لقد حاول العلامة محمد بنشريفة أن يتغلغل أكثر في أعماق الشخصية المغربية الأندلسية، ويكشف عوالمها الخفية وفكرها الأصيل، لفهم التراث من خلال التحقيق في الروافد الثقافية لكل شخصية مغمورة.

---

[1]- المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد: 17.

وإذا كان اهتمام المترجمين بثقافة أعلامهم محكا أساسيا لفهم نوع الخطاب الموجه من قبل حامله، فإنها عند جيل أستاذنا ترتبط أيضا بالدفاع عن الثقافة وأعلامها ودفع التجاهل والاتهام الموجه إليها. وقد اعتبرها واجهة قوية في الدفاع لرد الاعتبار للمراكز العلمية، ولإحياء المتصدرين –من أهل العلم والأدب– للتدريس والمشيخة، ثم للتحقيق في ركائز الحياة الفكرية في تاريخ المغرب والأندلس؛ وفي ذلك كله تأكيد للذات المغربية الأندلسية المثقفة والتأريخ لمكانتها العلمية والأدبية، وكشف لمصادرها الفريدة. فكيف سيتسنى للعلامة الإبداع في هذا الجانب المهم من بناء الترجمة؟

إن التحقيق في ثقافة المؤلف مجال تتداخل فيه عدة عناصر يصعب الفصل بينها أحيانا، فالحديث عن التكوين والتحصيل هو حديث عن الرحلات العلمية وعن "المشيخة"وعن الصلات بالمعاصرين، وكلها روافد تعكس ثقافة المؤلف، وتصور في علاقاتها، الشخصية المثقفة في تفاعلها مع مجتمعها الثقافي من حيث الأخذ والعطاء، ومن حيث الإسهام في تشكيل ثقافة المستقبل، فابن خلدون يتحدث عن ثقافته من خلال الحديث عن النشأة والشيوخ، ولا يفصل بينهما[1]، وكذلك يستفيد العلامة محمد بنشريفة من قائمة شيوخ مترجميه تاريخ تحصيلهم العلمي ومكانه[2]، لكن الفصل –في هذا الفصل– بين "التكوين والتحصيل" و "المشيخة"، وإن كان التحقيق في جانب يقتضي استحضار الجانب الآخر، جاء لدواع منهجية منها تركيز البحث على جانب الصناعة والبناء، وعلى ما قدمه الصانع الباني من جوانب إبداعية في بناء الترجمة، نحو بناء تاريخ الصلات ومكانها ونوعها وأثرها، ومعرفة المتصدرين من أهل العلم في عصر كل مؤلف، وقد كان من الضروري أن يفرد "للشيوخ" عنوانا خاصا، خصوصا وأن المترجم كان يراهن عليه، أولا، لبناء شخصية مترجميه الثقافية، وثانيا لتصوير ثقافة العصر، وثالثا للتحقيق في تراجمهم والتعريف بشيوخهم وتلامذتهم وثقافتهم، للمشاركة في بناء تاريخ الأدب، فكيف حقق مطالبه في مواجهة شخصيات منسية، مهملة الاسم والثقافة؟ وما

[1]– التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا: 15.

[2]– أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، محمد بن شريفة: 174.

الجديد الذي قدمه في هذا المجال؟ وكيف قدمه؟ وإلى أي حد كانت وثائقه دالة وتعليلاته مقنعة؟.

2-1-التكوين والتحصيل:

يتطلب التحقيق في التكوين الثقافي للشخصيات المغمورة من المترجم الإلمام التام بإنتاجاتها، والتحقيق في مدى مشاركتها في حل هموم عصرها، كما يتطلب النفاذ إليها، من خلال تتبع رحلاتها وتنقلاتها التي اعتبرها العلماء المحققون المغاربة من أهم العوامل المكونة للشخصية الثقافية، وجعلوها وسيلة لشحذ القرائح، وفرصة للمناظرة وتبادل الرأي، ومؤشرا على التواصل والتأليف[1]؛ ومشروع المحقق بالأساس، قائم على التحقيق في هذا التواصل الثقافي، ولاشك أن العلامة بنشريفة سيجتهد في تحقيق ثقافة مترجميه من خلال واجهات مناسبة لتوسيع الرواية وتعميق الفكر، فما هي هذه الواجهات؟ وكيف أكد الذات المغربية الأندلسية المثقفة وتحرى عن فكرها الأصيل؟ وهل وفق في تحقيق غايته المرجوة من هذا الجانب من الترجمة؟.

من مستلزمات التحقيق العلمي في ثقافة المؤلف وتكوينه، تحديد مكان التحصيل وزمانه؛ وأمام سكوت المصادر واجه المترجم عدة إشكالات في تحقيقه لمرحلة التكوين الأولى **لأبي يحي الزجالي**، ذلك لأن ابن القاضي في "درة الحجال"، نقل تلاوته للقرآن الكريم وحفظه على جده أبي الحسن بن قطرال[2]، دون تحديد زمن التلاوة ومكانها ونوعها، وما كان على المحقق إلا أن يقرب البعيد، ويجمع بين القرائن المتباعدة، فانطلق من افتراض جهد في تعليله، مفاده أن فترة أخذه عن جده تمتد بين سنة 622هـ وسنة 636هـ، وهي مدة غير محددة كان فيها الجد قاضيا بقرطبة، وكان الزجالي في سن التعلم، وتحت كفالة الجد[3]؛ وقد أردف هذه القرائن بإشارة من كتاب "ري الأوام" للزجالي، يذكر فيها حضور مجالس العلم في قرطبة عام 625هـ -وهو ابن الثامنة من عمره-

---

[1]- الدراسة الأدبية في المغرب، أحمد الشايب: 36.

[2]- أمثال العوام في الأندلس، الزجالي ق1:21.

[3]- نفسه: 21.

وبإشارة أخرى من "درة الحجال" تؤيد قراءته بقرطبة لكتاب "التنبيه"على القرشي، وحضر مجلس ابن الطيلسان[1]، ليتحقق من مكان دراسته الأولى في قرطبة.

ولم يكن المحقق ليقتصر على ترجمة ابن القاضي، التي وصفها بالاختصار والتقصير، بل قابلها بترجمة لابن قطرال في "الذيل والتكملة"، تؤيد أن السبط روى الحديث عن جده[2]، وأنه قرأ كتاب "التنبيه" على القرشي بقرطبة، إلا أنه لا يعرف هذا القرشي ولا يعرف كتابه هذا، والكتب التي تحمل هذا العنوان كثيرة، وكلها غير بعيدة عن عصر الزجالي؛ واسم الزجالي يحمله عدد كبير من الشيوخ القريبين من عصره، أحصاهم المحقق وعرف بمصادر تراجمهم[3]، وعن صعوبة التحقيق في ذلك يقول: "والواقع أنه صعب علينا الاهتداء إلى ذلك ولم نجد حلا لهذه المشكلة"[4]، إلا أنه فتح باب التخمين مستأنسا باسم "ابن قطرال" المراكشي علي بن أبي الربيع القرشي (ت688هـ) قريب الزجالي الذي لا يستبعد قراءته عليه[5]، ثم يبني افتراضا آخر على الافتراض السابق عـلّ ذلك يقرب من المقصود في قوله: "وفي حال قراءته على ابن أبي الربيع القرشي يمكن أن يكون المراد بالتنبيه، إما كتاب التنبيه على أصول قراءة نافع لمكي بن أبي طالب الذي كان ابن أبي الربيع القرشي يروي ويدرس بعض كتبه، أو كتاب "التنبيه" على الحماسة لابن جني، وقد كانت الحماسة مما يرويه ويدرسه أيضا"[6]؛ وهو بذلك يعتمد على القراءة الاستكشافية للنصوص، فيعمد إلى الكشف عما تخفيه في طياتها من إشارات، وتوضيح ما يسببه تركيبها الموجز من غموض.

وبعد توثيق هذا الجانب من ثقافة المؤلف، وتتبع كتاب "ري الأوام" بالدارسة والتحليل، خلص إلى أن الجانب الطريف من ثقافة الزجالي، هو إلمامه بالثقافة العامية

---

[1]- أمثال العوام في الأندلس، الزجالي ق1: 22.

[2]- نفسه: 22.

[3]- نفسه: 24- 25.

[4]- نفسه: 24.

[5]- نفسه: 25.

[6]- نفسه: 25.

وعنايته بالتراث الشعبي[1]، وهو جانب ثقافي كان محل إهمال شديد من قبل العلماء[2]، ونظرا لأهميته، في نظر المترجم، فصل القول فيه في فصل خاص، بالقدر الذي تسمح به نصوص الأمثال.

وإذا ضعفت صلة الزجالي بمعاصريه لانعزاله، واقتصرت ثقافته على الناحية الشعبية، فإن ظروف **ابن عبد الملك المراكشي** كانت مساعدة على تنوع ثقافته، لانتمائه إلى أكثر العصور في المغرب ازدهارا بالعلوم والآداب والفنون. وللتحقيق في ثقافته قام بجولة عبر شيوخه وأصحابه ووظائفه وتنقلاته ومراسلاته، وتجاوز هذه الناحية العلمية إلى تحليل مؤلفاته، مما جعل هذا الجانب أشبه بدوائر المعارف، فقد حقق في ثقافته الحديثية من خلال زياداته واستدراكاته على مصنفات أئمة الحديث من أهل عصره[3]، ومن خلال دراسته لكتاب "الذيل والتكملة"، كشف عن مظاهر ثقافته الفقهية التي وردت عرضا، وكان لها تأثير على أدبه وشعره[4]، وعن ثقافته الأدبية والتاريخية التي قال عنها: "ولو شئت أن أحصي مقروءاته مما ذكرت، من خلال كتابه الذيل والتكملة، لكثر العد وعسر الحد... ويختلف عن غيره من كتب التراجم الأندلسية بكثرة الاختيارات الأدبية"[5]، اعتبره المحقق كنزا لا يقدر بثمن لبناء محطات غامضة من تاريخ الأدب.

وقد اعتمد العلامة في بناء ثقافته على النقد الداخلي لمادة "الذيل والتكملة"، وحصل من خلاله على بيانات لم يرد ذكرها في أي مرجع، إذ استطاع أن يبني عددا لا حصر له من أعلام عصره، واستطاع أن يجعل من الجزئيات البسيطة والمتفرقة خيوطا لنسج مشروعه، فقد أرخ لشخصيته الثقافية من خلال تنقلاته وما تعكسه من جهد في طلب العلم وملاقاة رجاله والأخذ عنهم، يقول عن رحلته إلى الأندلس: "ولو لم يقم بهذه الرحلة القصيرة، لما ظفر وظفرنا بهذه الترجمة الجيدة التي أثبتها له شيخه ابن الزبير

---

[1]- أمثال العوام في الأندلس، الزجالي، ق:1: 34.

[2]- نفسه: 36.

[3]- الذيل والتكملة، ابن عبد الملك المراكشي، س8، 73- 74.

[4]- نفسه: 75.

[5]- نفسه: 76.

مع الغرباء في صلته"[1]، كما أرخ للعلم من خلال عدد كبير من الشيوخ الذين أخذ عنهم، وأصحابه ومعارفه الذين اشتركوا معه في الأخذ والرواية، والذين انتفع بصحبتهم العلمية أو تأثر بهم[2]، وقد حقق، في تأريخه لهذه الشخصية، بناء سلسلة من أعلام المغرب والأندلس، وقدم ببيليوغرافيات مهمة في التعريف بهذا التاريخ المغمور.

وفي ترجمته لأصحاب المؤلف ومعارفه، كان العلامة يميز بين المؤتلف والمختلف، معتمدا على إشارات من "الذيل والتكملة" وتعليلها بقياس الزمن والمكان، وعلى منهج المقابلة بين مصادر الترجمة، نحو بنائه لاسم أبي عبد الله ابن عباس، في قوله: "وقد ترجم الوادي آشّي في برنامجه لاثنين، أحدهما محمد بن عباس بن محمد بن عياش القرطبي نزيل مالقة، أخذ عن أبيه وصهره أبي جعفر، وأبي القاسم بني الطيلسان... وثانيهما محمد بن محمد بن عباس المالقي المراكشي... ومن الواضح أن الثاني ولد الأول، والذي يبدو أن الأول منهما هو الذي يصح أن يعد من شيوخ ابن عبد الملك، وهو الذي ذكره في ترجمة والده عياش وسماه من شيوخه... أما الذي صرح أنه من أصحابه فقد يكون ولده المذكور المسمى باسمه الناشئ في مراكش"[3].

ويعتبر التحقيق في مكان اللقاء بالشيوخ والأخذ عنهم، تأريخا – في جهة من الجهات– لمراحل صقل هذه الثقافة وتطورها، وتأريخا لتطور الثقافة المغربية الأندلسية، ولمراكزها العلمية؛ لذلك ليس من المبالغة في شيء اعتبار هذا الجهد مفازة لبناء محطات غامضة من تاريخ الأدب، كان فيها لكتاب "الذيل والتكملة" – بأسفاره الموجودة– فضل كبير في توفير المادة والقرائن، ولمنهج المترجم في مقابلته بمصنفات أخرى وحل شفراته، واستنطاق نصوصه، وفي تعليل ترجيحاته وتوثيق شواهده فضل أكبر.

وبالرغم من أن المترجم في تخطيطه لثقافة مترجميه يتجاوب مع ظروف الشخصية، إلا أن منطلقه الأول في البناء دائما هو النقد الداخلي لمادة المترجم له ونصوصه، ففي

---

[1]– الذيل والتكملة، ابن عبد الملك المراكشي: 32.

[2]– نفسه: 50.

[3]– نفسه: 48– 49.

تحقيقه لثقافة **أبي المطرف أحمد بن عميرة** جعل كتابه "التنبيهات" خير مثال يصور ثقافته النقدية والبلاغية وأثر الملامح الفلسفية فيها[1]. ولعل دفاعه عن ثقافة ابن عميرة، باعتبارها ممثلا لتوجه جديد في التأليف البلاغي، جعله ينتصر لشخصية ابن عميرة الثقافية، وجعل قدره كبيرا في النثر الديواني وفي تكوينه، بالرغم من أنه لم يتفرغ للتعليم وطلب العلم[2]، بل عد كتابه "التنبيهات" "ثاني مجهود أندلسي في سبيل المزاوجة بين البلاغة اليونانية والبلاغة العربية أو محاولة تطبيق الأولى على الثانية"[3] بعد محاولة ابن رشد في تلخيصه لكتابي الخطابة والشعر؛ كما اعتبره صورة لثقافته النقدية وتمكنه من الجدل[4].

إلا أن هذا الانتصار لابن عميرة عده بعضهم تحيزا أو مبالغة[5]، ولمس فيه آخرون ظلالا باهتة من تأثر ابن عميرة بالبلاغة اليونانية[6]، وعدوا "ابن عميرة في ذاته كان من حيث المستوى الإنساني والفكري رجلا عاديا، كل ميزته ملكة لا بأس بها في الترسل، وهذه الملكة كانت أيسر ما يدرس في تلك العصور"[7].

ورغبة منه في تقديم الجديد، وقف العلامة محمد بنشريفة خلال تحقيق كتاب "مذاهب الحكام في نوازل الأحكام"، عند ثقافة **القاضي عياض** الفقهية، باعتبارها ألصق به من غيرها، اعتمادا على ما تقدمه بعض مؤلفاته من تجسيد لهذه الثقافة. وإذا كانت هذه النوازل تمثل مظهرا من مظاهر ثقافته الفقهية، فإن عمق هذه الثقافة "يوجد في كتاب

---

[1]- التنبيهات، ابن عميرة: 9.

[2]- أبو المطرف أحمد بن عميرة، بنشريفة: 172.

[3]- التنبيهات، بن عميرة:31.

[4]- أبو المطرف أحمد بن عميرة، بنشريفة: 220.

[5]- نقد كتاب التنبيهات لابن عميرة، دراسة تحليلية تكشف أخطاء المؤلف في مآخذه على تبيان ابن الزملكاني، نزيه عبد الحميد السيد فرج (القاهرة، دار الفتح للإعلام العربي، 1996م):41.

[6]- التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، تأليف أبي المطرف أحمد بن عميرة، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن شريفة، عرض وتعليق إدريس العلوي البلغيثي (مجلة البحث العلمي، ع41، س26، 1992م): 245.

[7]- محمد بن شريفة، أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، مندوب صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد: 217.

التنبيهات، وعندما ينشر هذا الكتاب ويدرس دراسة دقيقة ستعرف مكانة القاضي عياض الفقهية بكيفية موثقة"[1]، وبهذه الالتفاتة حاول تجاوز السائد، وقدم الشخصية في صورة جديدة تعكسها نوازله ذاتها.

وبما أن همه النبش عن مواطن النقص في تاريخ الأدب، الذي لا نعرف منه إلا القليل فيما يخص المغرب[2]، فإنه واجه صعوبات عديدة في البناء، وينعكس ذلك على صيغه وتعابيره، نحو لجوئه إلى أسلوب الاستفهام، لاستمالة المتلقي ووضعه أمام أسئلة دقيقة، لإشراكه في حلها[3].

إن تقديم وجه جديد لشخصية المؤلفين الثقافية، كان مطمح جماعة من المترجمين المحققين قبل العلامة بنشريفة، أمثال محمد الفاسي، الذي حقق في ثقافة محمد بن أحمد القيسي، اعتمادا على النص المحقق وأسلوبه المنمق، واستشهاد صاحبه بالحديث النبوي وشعر الشوق إلى زيارة البقاع المقدسة، ليتوصل إلى نزعته الصوفية وثقافته الإسلامية، وربط كل ذلك بثقافة العصر[4]. أما محمد الكتاني في بنائه لثقافة ابن الخطيب، فقد رأى من الإنصاف أن يشير إلى غمط حقه في مجال تاريخ الأدب العربي، فضرب صفحا عن كل ما قيل فيه سابقا، وفي ثقافته الأدبية التي اعتبر منها جانب الترسل وكتابة التاريخ أهم جوانبها[5]، وعلى الرغم من اعتماده، في بناء هذه الشخصية على طابع الحياة الثقافية لعصرها، وعلى دراسة أشعارها التي تبوئها "الدرجة العالية بين الشعراء المتأخرين قاطبة"[6]، ورسائلها التي تحقق لها "مكان الصدارة بين المترسلين"[7]، وعمل على كشف

[1]- مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، القاضي عياض: 22.

[2]- نفسه: 5.

[3]- نفسه: 6.

[4]- أنس الساري والسارب، القيسي: ج.

[5]- روضة التعريف، ابن الخطيب: 35- 36.

[6]- نفسه: 36.

[7]- نفسه: 36.

الوجوه الجديدة التي تعكسها أعمالها، فأعاد كل اعتبار لهذه الثقافة وتوصل إلى أن الملكة الأدبية لهذا العلم من أبرز جوانب ثقافته الموسوعية بلا نزاع[1].

والنهج نفسه كان سند مترجمنا بنشريفة في بناء حياة "الطالب": **ابن حريق البلنسي** وثقافته التي يجهل تفاصيلها[2]، فقد تتبع تنقلاته ومخاطباته الشعرية، وحقق في صلاته بأصحابه وفي تاريخ لقائهم به، ومنها صلته بأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي وزيارته له في مرسية[3]، منطلقا من افتراضات حاول تعليلها بقرائن وإشارات من شعره ونثره، يقول: "ويبدو أن هذه الزيارة التي لا نعرف تاريخها هي التي أوحت إليه بقطعته الغزلية... ولعل الزيارة المذكورة هي التي عناها أيضا إذ يقول في الرسالة المفيدة.."[4]، وبعد التحقيق في هذه الزيارة، دقق في اسم هذا الصديق قائلا: "وأحسب أن المعني بهذا القول هو أبو بحر التُّجيبي لأنه هو المُرسي الذي كانت بينه وبين ابن حريق صداقة كبيرة، وعلاقة أدبية متينة، ويدل عليهما ما كان بينهما من مخاطبات شعرية ومكاتبات نثرية"[5]، ثم ربط الزيارة بمرحلة طلب العلم، التي امتدت إلى أواخر العقد الثالث، وبعد بحث طويل لم يقف المحقق إلا على هذا التجيبي المرسي، مما دعاه إلى طرح التساؤل التالي: "فهل كان ابن حريق منقبضا قليل الاختلاط بالناس أم أن أخبار صلاته بأهل زمنه لم تبلغ إلينا"[6].

وقد يستعين المترجم في بنائه لثقافة مؤلفيه – بجانب صلاتهم بمعاصريهم من أهل الأدب– بتحليل مخاطباتهم[7]، أو مروياتهم، مثل ثقافة **ابن مغاور الشاطبي**، يقول: "ولا نعرف مصادر ثقافته الأدبية إلا على سبيل التخمين... من بعض مروياته، ومن خلال

---

[1]– روضة التعريف، ابن الخطيب: 35.

[2]– ابن حريق البلنسي، دراسة وتحقيق ابن شريفة: 18.

[3]– نفسه: 17.

[4]– نفسه: 17.

[5]– نفسه: 18.

[6]– نفسه: 68.

[7]– ابن لبال الشريشي، محمد بن شريفة: 51–52.

استشهاداته في كتاباته[1]، وقد يقف عليها في كتب التراجم والمظان المتوافرة، نحو ثقافة ابن لبال الشريشي التي وصفتها المصادر وكتب التراجم بالثقافة الهامة العريضة[2]، لأنها تكونت لديه بفضل مشاركاته الواسعة في علوم متنوعة، ولأن صلاته مع أهل الأدب كانت متينة ومشاركاته في مخاطبات أدباء عصره، نظما ونثرا، أمتن[3].

إن إقامة المحقق للوائح "الشيوخ" والمعارف من أهل العلم والأدب، والتعريف بهم خير شاهد على مستوى العناية بالتكوين والاهتمام بالتحصيل والتعليم، وعلى طبيعة التعليم الذي تلقاه المؤلف، ومدى تنوعه وغناه، وهذه الحقائق يستخلصها المترجم، ثم يبحث عن مصداقيتها في تآليفه وأشعاره، فقد أطل العلامة على ثقافة **الكفيف الماجري**، وأرخ لمراحل تحصيله من خلال تتبع شيوخه، والتعريف بهم وتحديد نوع الأخذ عنهم[4]، ثم ربط عاهته بأسباب انقطاعه إلى العلم وتفرغه للقاء الشيوخ، فقد بلغ بعد تفرغه الطويل للدراسة درجة عالية في العلم والحفظ، "ولعله كان يتشبه في هذا بنظرائه في العاهة من أمثال المعري وابن سيدة والحصري، ويطمح إلى أن يكون مثلهم"[5].

وللتحقيق في طابع هذه الثقافة، اعتمد إشارات وردت عند ابن عبد الملك المراكشي، تصف الماجري بالحافظ أو الراوية الحافظ أو الحافظ الذاكر[6]، ليجعل هذه الصفة "الحافظ" دالة – وحسب اصطلاح المحدثين– على من أكثر رواية الحديث وأتقنه، ولتأييد هذا الاستنتاج عرض نماذج موثقة من تآليفه ومروياته تشمل الحديث والفقه والأصول[7].

---

[1]– ابن مغاور الشاطبي، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة: 48.

[2]– أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، محمد بن شريفة: 175.

[3]– ابن لبال الشريشي، محمد بن شريفة :51.

[4]– أول تأليف مغربي في المنطق، الكفيف الماجري: 30–32.

[5]– نفسه: 32.

[6]– نفسه: 32.

[7]– نفسه: 33–34.

والمسلك نفسه اعتمده عبد الله كنون في تحقيق ثقافة مترجميه، فقد اعتمد في وصف ثقافة يوسف الثالث ملك غرناطة، على تحليل مساجلات بينه وبين شيوخه، وهي قصائد دالة على تمكن أريحية الأدب منه، "إلى حد أن تصرفه أحيانا عن مشاغل الملك ومشاغل السياسة إلى التأليف وقرض الشعر"[1]، وشاهدة على تكوينه المتصل بالعلم والعلماء، فقد ألم بمراحل هذا التحصيل، وتتبع زمرة من الشيوخ الذين تخرج على أيديهم وأثروا في تكوينه فكرا وخلقا[2]. وقد جعل العلامة محمد بنشريفة من هذه الثقافة سببا في اختيار والده له لولاية عهده[3]، ورسم ملامحها اعتمادا على معارضاته على الشعر المشرقي والمغربي، وتعليقاته الأدبية والتاريخية، وعلى ارتجالاته الشعرية التي صقلها محفوظ شعري متنوع[4].

وقد كان هذا الجانب من الترجمة محط اهتمام جل المترجمين لأعلام التراث الأندلسي، أمثال ابن تاويت الطنجي في تحقيقه المشترك - مع آخرين- لـ "ديوان أبي الربيع سليمان الموحد"[5] وأمثال إحسان عباس[6] ورضوان الداية[7]...

لقد جهد العلامة محمد بنشريفة في الكشف عن العوالم الثقافية الأصيلة للشخصية، فكان ذلك نتيجة عكوفه على البناء والخلق، الذي يأخذ به نفسه في إقامته للتراجم، بحثا عما يمكن أن يقدمه لهذه الثقافة المعاصرة حول تاريخ أدبها. وقد وفق إلى رفع الحواجز المخلة بفهم ثقافة الرواد المغاربة، فكشف عن نتائج أغنت تراجمه، واستخلص مادة غنية، أساسها التوثيق والمراجعة.

---

[1]- ديوان ملك غرناطة، يوسف الثالث، تحقيق عبد الله كنون: ط.

[2]- نفسه: ض- ط.

[3]- مظهر النور، جمع ابن فركون: 8.

[4]- ديوان ابن فركون: 58-59.

[5]- ديوان الأمير أبي الربيع سليمان الموحد، 6-7.

[6]- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت681هـ)، حققه إحسان عباس (بيروت، دار الثقافة، مطبعة دار القلم، (د.ت): 53.

[7]- رسائل ابن أبي الخصال: 7- 8.

وبالرغم من جهده الرائد في تعقب مادة تراجمه بالتكملة والنقد، إلا أنه كان رقيقا في الحكم على أعلامه، فقد اعتبر ابن عميرة من أبرز الشخصيات الثقافية في النصف الأول من القرن الهجري السابع في الغرب الإسلامي[1]، وكان غالبا ما يتشوف إلى التنويه بشخصياته ووصفها بأوصاف المجد والشهرة الثقافية، حتى تلك التي نزعت حياة الزهد، وفضلت العزلة والنسك، مثل الزجالي، وهذا النزوع عند الأستاذ عبد الله كنون "مما لا حاجة إلى بيان أثره في صد الأديب عن بلوغ أغراضه وإمساكه عن كثير من الأعمال والأقوال.."[2].

2-2- المشيخة:

يعتبر التعريف بالشيوخ في فن الترجمة حجة بينة للحكم على مكانة المؤلف الثقافية داخل جيله، لذلك نهض جل المترجمين بسرد لوائح لشيوخ مترجميهم، لكن درجة الإقبال عليها، تختلف من مترجم إلى آخر، حسب الغاية من إقامتها، فإذا أقبل عليها بعضهم لتصوير عناية المؤلف بتكوينه وضبط اسمه ونسبه والإحالة على مصادر ترجمته، فإنها عند البعض الآخر إحياء للشيوخ أنفسهم وتخليد لذكراهم المنسية، وقد كانت هذه الغاية إحدى مقاصد العلامة محمد بنشريفة في تناوله لشيوخ مترجميه، فقد كان يتصدى لأسمائهم المجهولة ويتحرى عن تراجمهم المغمورة، سعيا في تطوير مشروعه العلمي في التعريف بالتراث المغربي الأندلسي.

إن تتبع الشيوخ مما يفيد الدارس في معرفة النظام التعليمي المتداول، وطرق التدريس السائدة من محاضرة ومناظرة وسماع وعرض...[3]. ويعتبر التأريخ للشيوخ والضبط التاريخي لوفياتهم وولادتهم - بالإضافة إلى التحقيق في أسمائهم وأنسابهم- شرطا للتعريف بهم لمعرفة من أدركهم ممن لم يدركهم. وإذا كان بناء لائحة أسماء الشيوخ معيارا دقيقا، توزن به ثقافة المؤلف وثقافة العصر وطرق التثقيف واتجاهاته، فإنه أيضا

[1]- أبو المطرف أحمد بن عميرة، حياته وآثاره، ابن شريفة: 28.

[2]- المنتخب من شعر ابن زاكور، عمل عبد الله كنون: 15.

[3]- الدراسة الأدبية في المغرب، أحمد الشايب: 96.

باب للبحث عما يفيد العلم والتاريخ الحضاري، لكن الإفادة منه تتوقف على مدى العناية به، والهدف من التهدي إليه، فقد اهتم المترجمون المغاربة وغيرهم بهذا الجانب، إلا أن درجة هذا الاهتمام تتفاوت، وطرق تتبعه ودراسته تختلف، فكيف تعامل العلامة محمد بنشريفة مع التحقيق في شيوخ مترجميه؟ وما الغاية من إقامة تراجمهم؟

إن التحقيق في "المشيخة" عند العلامة محمد بنشريفة قائم على الإبداع، ببيان الغابر أو تصويب الخطأ وتقويم المعوج، فعندما لاحظ بأن مترجمه **ابن عبد الملك** لم يعن بوضع برنامج شيوخه، حسب العادة التي كانت سائدة في عصره، كلف نفسه مشقة استدراك ذلك، منتبها إلى أمر قلما يحتفل به الدارسون المقبلون على هذه الصناعة، وهو تعداد مراجع شيوخ ابن عبد الملك، مقتنعا بأن هذا الاجتهاد سيكسب ترجمته قيمة علمية وتاريخية كبرى، وقيمة توثيقية أكبر، إذ صنف ببليوغرافيا غنية اعتمد في سردها أولا على أسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم مباشرة في بلده مراكش، بحسب تاريخ أخذه عنهم، وثانيا على أسماء الشيوخ الذين لقيهم وقرأ عليهم في مدن أخرى بالمغرب والأندلس، ثم ثالثا الشيوخ الذين لم يلقهم وأخذ عنهم بالإجازة والمكاتبة[1]، فكان يحقق في اسم الشيخ وكنيته وأوصافه وثقافته وتنقلاته وصلته بالمترجم له وما أفاده به ومكان اللقاء وبداية كل مشيخة وتاريخ نهايتها[2]، دون إغفال مصادر الترجمة، إلى أن أحصى لابن عبد الملك ما يزيد عن خمسين شيخا، جردها من كتاب "الذيل والتكملة"، محددا عدد المرات التي ذكر فيها الشيخ[3]، وهذه البيبليوغرافيا تدل على استقراء واسع لكل الأجزاء المتوافرة من الكتاب، ولا يسع المتلقي أمامها إلا أن يندهش بالمقدار المهم من المصادر والمعارف التي ساهمت في تكوين شخصية المؤلف.

وقد عرف المحقق بهؤلاء الشيوخ بشيء من التفصيل، لأن ذلك من شأنه أن يبرز بيئة ابن عبد الملك الثقافية، ويكشف عن مراحل دراسته وأطوار تعلمه[4]، وعن تاريخ

---

[1]- الذيل والتكملة، ابن عبد الملك، س 10:8.

[2]- نفسه: 12.

[3]- نفسه، س8: 14.

[4]- نفسه: 10.

رحلاته العلمية وتنقلاته، اعتمادا على مادة الكتاب المحقق، الذي كان فاتحة خير عليه، لانفراده بإيراد تراجم لبعض الشيوخ، وقد أحسن المحقق تدقيق النظر في نصوصها، واستنطاق أخبارها وكشف تلميحاتها لإقامة برنامج الشيوخ، نحو تتبعه -لاستخراج أسماء الشيوخ- العبارات التالية: "أنشدتها" و"قال لي شيخنا" و"من خط شيخنا"... ففي ضبطه لمرحلة الأخذ عن شيخه أبي زكرياء ابن عتيق، والذي عده من شيوخ المرحلة الأولى، اعتمد على سنه يومئذ وعلى مقروئه عليه، "فزيادة على تلاوة القرآن الكريم كان كتاب الجمل وكتاب الحماسة معدودين من كتب المبتدئين في برنامج التعليم على عهد ابن عبد الملك حسبما ذكر هو نفسه في كتابه"[1]، وفي ضبطه لمقروء ابن عبد الملك على شيخه، اعتمد على فك شفرات وتوضيح إشارات من "الذيل والتكملة"، نحو استنتاجه من المرات التي ذكر فيها الشيخ في "الذيل والتكملة"، نوع الأخذ وأثره على ثقافته[2].

وفي حالة سكوت أسفار "الذيل والتكملة"عن زمن اللقاء بالشيوخ، يجتهد في تسويغ افتراضاته بإشارات وقرائن من مصادر مساعدة، يقول: "ولم نقف في الأسفار الموجودة من الذيل على تاريخ اتصال ابن عبد الملك بالرعيني، ولابد أنه اتصل به قبل 650هـ أي حينما أصبح في مستوى الدراسة وسن الرواية وقد "صحبه كثيرا أي منذ التاريخ المفترض حتى وفاته سنة 666هـ..."[3].

ولم يكن ليكتفي بالنقد الداخلي للنص المحقق وحده، بل كان يرجع إلى كتب شيوخه للتأكد من الخبر أو إغنائه، وإلى تخريج الشواهد المذكورة في المتن ومقابلتها بأصلها[4]، وكانت حاسته النقدية وقراءته التنويرية للنصوص، تساعدانه على تحقيق مأربه، وجعل مقدمة تحقيقه مشكاة تنير الجوانب الثقافية المسكوت عنها، وترمم بترها وتوثق

[1]- الذيل والتكملة، ابن عبد الملك، س8: 11.

[2]- نفسه: 16.

[3]- نفسه: 14.

[4]- نفسه: 15 (إحالة1).

أخبارها، اعتمادا على المنهج الإحصائي لعدد الشيوخ، ولمراجع تراجمهم[1]، ولعدد المرات التي ورد فيها كل شيخ في المتن، ولعدد المرات التي أخذ فيها المؤلف عن شيخه...

ولم يكن كتاب "الذيل والتكملة" -باعتباره مصدرا مهما في التراجم- فاتحة خير على المترجم في بناء شيوخ ابن عبد الملك فقط، بل أيضا في إقامة مشيخة عدة أعلام منهم **ابن حريق البلنسي** الذي "تأدب بأبي محمد بن يحي الحضرمي"[2] حسب عبارة ابن عبد الملك، وقد انطلق المحقق من هذه العبارة، وبنى عليها افتراضاته للتحقيق في أول شيوخ البلنسي، وجعلها تفيد معنى التعليم الأولي، وتعلم الأدب خاصة، لأن الأندلسيين "كانوا يبدؤون بالأدب كما هو معروف، ومن هنا نحسب أن هذا الشيخ هو المؤدب الأول لابن حريق، ولم يكن مؤدبا عاديا"[3]. وللتحقيق في مكان الأخذ عن شيخه، والتأكيد على أن نشأته الأولى ببلنسية، وليس بشاطبة بلد شيخه حيث كان يدرس النحو والأدب، أورد قصة انتقال هذا الشيخ من بلده إلى بلنسية ووثق مصدرها[4].

ولإقامة "شيوخ" **أبي يحي الزجالي** المغمورين، الذين "طواهم الخمول وسحب عليهم أذيال الإهمال والنسيان"[5]، اعتمد على عدة إشارات وتلميحات من أسفار "الذيل والتكملة"، لضبط أسماء الشيوخ، والتعريف بهم[6]، وفي تاريخ اتصال المؤلف بهم، وأخذه عنهم، وفي نوع العلاقة التي تربطهم؛ وتكفل بمواجهة وضعيات غامضة خلال ضبطه لتاريخ وفاة الشيخ أبي بكر محمد بن عبد العزيز السلافي، ففي الوقت الذي حدد فيه الزجالي سماعه عن شيخه عام 625هـ، وردت وفاته عند ابن عبد الملك وابن الزبير سنة 601هـ، أي قبل ولادة الزجالي بست عشرة سنة، ولحل هذا التناقض وبيان الرأي الأقوى، افترض المترجم سقوط كلمة في تاريخ الوفاة، كأن تكون مثلا "إحدى وثلاثين

---

[1]- الذيل والتكملة، ابن عبد الملك، س8: 137-145.

[2]- ابن حريق البلنسي، حياته وآثاره، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة:12.

[3]- نفسه: 12.

[4]- نفسه: 12.

[5]- أمثال العوام في الأندلس، الزجالي، ق1: 33.

[6]- نفسه: 26- 27-28-33...

وستمائة" بدل "إحدى وستمائة"، لاسيما وأن مدى العمر لا يمنعه، وأن ترجمة الشيخ المذكور لم يرد فيهما سنه[1]، فهل ما قدمه من مسوغات كافية لتعليل افتراض مثل هذا؟.

لعل المترجم أحس بعدم كفايتها، فالغموض عنده لا زال قائما بالرغم من ترجيحاته، لذلك يقول: "ومهما يكن أمر هذه المشكلة، فإننا نستطيع أن نعد أبا بكر محمد ابن عبد العزيز السلافي من شيوخ الزجالي، ما دام قد صرح هو نفسه بالسماع عنه[2].

وللتعريف بالشيوخ المغمورين، لم يكن ليكتفي بتصريحات الزجالي ومقابلتها بإشارات من كتب التراجم[3]، بل يجتهد في البحث عن "قرائن الأحوال"وعن التلميحات الأدبية والتاريخية والأسلوبية، فقد اعتبر"ابن أبي القاسم الشاطبي" من أساتذة الزجالي، وإن لم يصرح هو بذلك، بناء على إشارات متجمعة، يقول: "فهو من حيث السن في طبقة شيوخه كما أن لفظه: "أنشدني" التي استعملها مرتين في رواية شعره تعد من ألفاظ الأخذ والتحمل... وسوف نلحظ بعض التشابه في المنحى والمستوى"[4].

وقد حظي هذا الجانب من الترجمة، باهتمام العلامة محمد بنشريفة[5]، كما حظي باهتمام المترجمين المغاربة، أمثال ابن تاويت الطنجي، الذي اعتبره منبرا للدفاع عن المكانة العلمية للمغاربة[6]، وجعله فرصة مناسبة لتقديم مقروءات المؤلف من أمهات الكتب في

---

[1]- أمثال العوام في الأندلس، الزجالي، ق1 : 26.

[2]- نفسه: 26.

[3]- نفسه:27.

[4]- نفسه:33.

[5]- مثال:

- ترجمته للعالم المتصوف النفزي، (من أعلام التصوف بالأندلس في القرن السابع: ابن عبيد يس النفزي، محمد بن شريفة: في النهضة والتراكم: دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية، ط2، (المحمدية، مطبعة فضالة، 1986: 223-240))

- ترجمته لأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي (ت598هـ)، (أديب الأندلس أبو بحر التجيبي، محمد بن شريفة: 13-7).

[6]- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت544هـ)، عارضه بأصوله وعلق حواشيه محمد بن تاويت الطنجي (الرباط، مطبوعات وزراة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1965م، ج1): ط.

شكل بيبليوغرافيات غنية وموثقة[1]، محددا بذلك نوع القراءة ومكانها وزمانها[2]، وإذا كان ابن خلدون، قد عرف بشيوخه في كتاب "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا"، فإن محقق الكتاب، للإفادة أحال على مصادر تراجمهم موثقة، وعرف بهم وبسنوات وفاتهم[3]، بل وحقق في أسمائهم وضبطها بالعبارة حرفا وشكلا[4]، وفي ذلك مزيد من الضبط والتوثيق.

2-3- بين رضوان الداية ومحمد بنشريفة (ابن خمير السبتي):

سيرا على نهج العلامة ابن تاويت الطنجي في تراجمه، اعتبر العلا مة محمد بنشريفة جانب العناية بالشيوخ -وحده- كافيا للتحقيق في ترجمة المؤلف، ومادة مهمة لاستخراجها، مثلما هو الحال مع ابن لبال الشريشي[5]؛ وبغياب هذا الجانب تبقى الترجمة ناقصة مهما تضمنت من معلومات، يقول في تعليقه على رضوان الداية محقق كتاب "تنزيه الأنبياء" لابن خُمَير السبتي بعد أن أثاره إهمال المحقق لترجمة ابن خمير، وأخذه البادرة للتعريف به: "إن هذه المعلومات التي وقفنا عليها، تظل غير كافية في معرفة مؤلفنا السبتي، فنحن مثلا لا نعرف أحدا من الشيوخ الذين قرأ عليهم وأخذ عنهم في المغرب والأندلس"[6]؛ ولا يكفيه في هذا الجانب المهم تحديد اسم الشيخ اعتمادا على النقد الداخلي، بل يشترط التحقيق فيه، والبحث عن مصادر تراجمه، لذلك كان رضوان الداية محط انتقاده حين اكتفى بالإشارة إلى شيخ واحد من شيوخ ابن خمير اسمه: أبو العباس أحمد بن محمد اللخمي، واعتبره من علماء الأندلس، وقال: "ولم يتعين لدي، فقد وجدت في كتاب "الذيل والتكملة" لابن عبد الملك نحو عشرة ممن يكنون بأبي العباس ويتسمون بأحمد بن محمد اللخمي، ولا مرجح أو دلالة على المقصود"[7].

---

[1]- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض: ص - ط.

[2]- ديوان الأمير أبي الربيع سليمان الموحد، تحقيق ابن تاويت الطنجي وآخرون: 7.

[3]- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ابن خلدون: 16 (إحالات 1-2-4).

[4]- نفسه: 15 (إحالات 2- 4).

[5]- ابن لبال الشريشي، ابن شريفة: 43.

[6]- ابن خمير السبتي وآثاره، ابن شريفة (مجلة دار الحديث الحسنية، عدد10، 1992): 16.

[7]- تنزيه الأنبياء، ابن خمير السبتي: 75-76.

أما مترجمنا فاعتبر ترجيحه ذلك لا أساس له، واعتبر جهده في غير محله، إذ "يتعين أن يحصر فيمن ينطبق عليه الاسم من أعلام سبتة، لأن المذاكرة المشار إليها، ينبغي أن تكون قد جرت بين سبتيين متعاصرين، والاسم المذكور لا يوجد في المطبوع من الذيل والتكملة، لأنه من الغرباء المذكورين في السفر السابع المفقود الآن، ولعل الأخ الدكتور كان يجده لو بحث عنه في مصدر آخر"[1]، ثم واصل التحقيق في شيوخ ابن خمير السبتي.

وقد جرت عادة الدكتور رضوان الداية، على علو شأنه في تحقيق التراث الأندلسي واهتمامه بتراجم أعلامه، أن يكتفي بتحديد شيوخ مترجميه دون التعريف بهم، أو الإحالة على مصادر تراجمهم أو سنوات وفياتهم[2].

أما العلامة محمد بنشريفة فقد التزم في التعريف بشيوخ مترجميه، بالإحالة على مصادر تراجمهم وتوثيقها[3]، وعلى المقابلة بينها، ففي تحديده لشيوخ **أحمد بن عميرة**، أكد صلته بأبي الربيع الكلاعي، اعتمادا على المخاطبات الشعرية والنثرية بينهما[4]، وحدد مكان رواياته عنه، والتي كان أكثرها بالسماع، وأثر الشيخ في حياة المؤلف وثقافته[5]، إلى أن جاء تعريفه بشيوخ ابن عميرة مستفيضا غنيا، يعكس صورة العصر الثقافية، وقد اعتمد في ذلك على وثيقة "الإجازة"، التي كتبها ابن عميرة أثناء وجوده بإفريقية سنة 648هـ، كما حاول في مقدمة تحقيقه لكتاب "التنبيهات"، أن يؤكد أخذ ابن عميرة عن "الشلوبين"

---

[1]- ابن خمير السبتي، محمد بن شريفة:17.

[2]- أعلام المغرب والأندلس: 8 - رسائل ابن أبي الخصال:11.

[3]- الذيل والتكملة، المراكشي، س8 :12 - ابن حريق البلنسي، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة: 14 - ابن مغاور الشاطبي حياته وآثاره: 16-17.

[4]- أبو المطرف أحمد بن عميرة، محمد بن شريفة: 67.

[5]- يقول محمد بنشريفة: "ويبدو أن اتصال ابن عميرة بهذا العالم الأمير الذي كان يشتغل بالعلوم القديمة خلف ستار من الزهد والنسك، كان نقطة تحول في حياته الفكرية وبداية مرحلة جديدة في تكوينه العلمي، فبعد أن كان أول طلبة العلم الشديد العناية بشأن الرواية، فأكثر من سماع الحديث وأخذه عن مشايخ أهله، ثم أصبح بعد صلته بابن خطاب أبو بكر عزيز يعنى بالعلوم العقلية كأصول الفقه والكلام والمنطق والفلسفة..." (أبو المطرف أحمد بن عميرة حياته وآثاره، محمد بن شريفة: 76).

"وهو من تلاميذ ابن رشد. ولابد أنه عرف بلَدِيّه ومعاصره ابن طَمُلوس وهو من أشهر تلاميذ ابن رشد"[1].

ويبدو أنه كان رائدا في توثيق مصادر كل شيخ، مطبوعة كانت أم مخطوطة، وإذا قل عددهم، يعلل أسباب ذلك، نحو قوله في إحصاء شيوخ ابن حريق البلنسي "وعددهم كما نرى قليل لأنه لم يكن يهيئ نفسه ليكون محدثا أو فقيها أو مقرئا وإنما كان يعد نفسه ليكون كاتبا وشاعرا"[2]، وإذا اعتمد على كتب التراجم في تحديد مسرد الشيوخ، كان يوثقه ويغنيه بما له صلة بأهدافه العلمية والأدبية، ففي بنائه لشيوخ **ابن مغاور الشاطبي**، اعتمد على مسرد لابن الأبار، وأضاف إليه تخريج شواهده وتوثيق مصادر ترجمة كل شيخ، وعرف بهم وبثقافتهم وبأثرهم على تلميذهم، فأغنى بإحالاته[3] نص ابن الأبار، وجعل ذلك المسرد شاهدا على تنوع التعليم الذي تلقاه المؤلف وخبر حقيقته من خلال الوصف التحليلي النقدي لشعره ونثره. ولتحقيق فائدة أكبر للقارئ، ذيل عمله بملحق لبعض مرويات ابن مغاور، لتؤدي دور "المقدمة المتأخرة".

وأما تحقيقه في مكان الأخذ والرواية، فلم يكن بالدقة المعهودة، نظرا لغياب الإشارات الدالة على ذلك، فاكتفى بقوله: "وقد يستفاد من أسماء بعض الشيوخ المذكورين أن أبا بكر ابن مغاور أخذ عنهم خارج شاطبة، ولعله شد الرحلة إليهم للرواية عنهم في بلدانهم"[4].

واهتمامه بهذا الجانب من الترجمة، جعله يتشبث بأضعف الإشارات، عله يجد منفذا لبداية طريق مجهول، فقد حاول البحث - جاهدا- عن فرضيات للإطلالة على أحد شيوخ **الكفيف الزرهوني**، وبما أنه شاعر أهملته كتب التراجم إهمالا تاما، فقد كان ملجؤه الأول والأخير قصيدته "المَلْعبة"، التي تضمنت إشارة إلى أحد شيوخ الزجل

---

[1]- التنبيهات، ابن عميرة: 13.

[2]- ابن حريق البلنسي، دارسة وتحقيق ابن شريفة: 14.

[3]- ابن مغاور الشاطبي، حياته وآثاره، دراسة وتحقيق ابن شريفة: 16-17(إحالات 10-25..).

[4]- ابن مغاور الشاطبي، حياته وآثاره، دارسة وتحقيق ابن شريفة: 17.

يسمى ابن حسون[1]، فما كان على المترجم إلا أن يحقق في هذا الاسم بعد أن قال: "ولا نعرف على وجه اليقين من أبو حسُّون المذكور"[2]، وقد باء بحثه بإيجاد زجال كبير يدعى فعلا ابن حسون، وهو أبو عبد الله محمد بن حسون الجلاء المغربي، وأمام غياب دليل على صلته بالمؤلف، لجأ إلى تخمينه قائلا: "ويبدو لي والله أعلم أنه إبراهيم ابن الفخار الذي له مخاطبات شعرية مع بعض شعراء الأندلس، وقد عاش فترة في إشبيلية، ثم انحاز إلى ألفونسو VIII في طليطلة. وسفر بينه وبين الموحدين سنة 612هـ"[3]، ثم علل افتراضه بإشارات تربط صلة المؤلف بعهد هذا الزجال، الذي صنفته مصادر ترجمته مع زجالي القرن السابع، وهو تصنيف يؤيد فرضية المحقق، وإن لم يؤكد علاقة هذا الزجال بالمؤلف.

وهذا الاهتمام البالغ بالشيوخ يظهر أيضا في عنايته اللافتة بشيوخ **ابن حسون الماجري**، وتصنيفهم، حسب ترتيب وفياتهم، في لائحة ضمت عشرين شيخا، موثقا مصادر تراجمهم[4]، ومحددا طرق الأخذ عنهم ونوعه، مع تقديم لمحات مختصرة عن كل شيخ.

وبالرغم من أنه يعرض شخصية الماجري لأول مرة، لسكوت كتب الطبقات والتراجم، إلا أنه استطاع بناء لائحة مهمة لشيوخه، استنادا إلى إشارات متفرقة في ثنايا كتاب "الذيل والتكملة"، واستطاع من خلالها، إقامة ترجمة الماجري، والتوصل إلى أنه "كان ضريرا منقطعا إلى العلم متفرغا للقاء شيوخه"[5]، وهو لا يشك أن ثمة شيوخا آخرين لم يقف على ذكرهم، ويقدر أن الأسفار المفقودة من "الذيل والتكملة"، فيها مزيد منهم. ولا يسعنا بعد ما قدمه إلا أن نعتبر موقعه مضاهيا لمواقع الأعلام الكبار في عالمنا الحديث والمعاصر، أمثال عبد السلام هارون، الذي كان يورد لائحة شيوخ مترجميه معرفا بهم تعريفا تاما وبشيوخهم وتلامذتهم، وموثقا مصادر تراجمهم[6].

---

[1]- ملعبة الكفيف، الزرهوني: 9.

[2]- نفسه: 9.

[3]- نفسه: 9.

[4]- أول تأليف مغربي في المنطق، ابن شريفة: 29-32.

[5]- نفسه: 32.

[6]- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط3 (بيروت عالم الكتب، 1983م، ج1: 8- 14.

لقد نذر المحقق نفسه لإحياء أكبر عدد من الأعلام وإخراجها من حيز الأوراق المخطوطة، ليضفي عليها التوثيقية، باعتبارها مادة فنية تعبر عن حضارتهم وتصونها، وقدم ببليوغرافيات مهمة لعلماء خلدهم التاريخ، واعتبرها حلقات للتواصل مع ذاكرة التراث، ومع مراحل ثقافية تأسست على جهد تلك البذور الضاوية في ظروف قاسية.

وجريا على التقاليد العلمية الرصينة، حاول العلامة محمد بنشريفة توثيق لوائح الشيوخ بالشكل، لتستوي على هيئة وثائق علمية، فقيّد الألقاب، وضبط أسماء الأعلام والاستشهادات بالشكل - دون أن يلتزم بذلك في كل تحقيقاته، إذ ترك جلها غفلا من الضبط[1]- وفي خطواته تلك، كان يتغيى البرور بأولئك الرواد، والدفاع عنهم ضد التجاهل أو الاتهام، بعد أن هبت على جلهم عواصف الزمان، فيحيي ذكرهم ويعرف بآثارهم وبحظوظهم في نشر العلم، وغايته الفنية الكبرى من وراء هذا الاهتمام، تشييد مداخل لدراسة الفكر المغربي الأندلسي، وتحريك التربة الثقافية ومراجعة شيوخها وأعلامها، وتلك جدوى الفنون في الحياة العلمية.

إن قوائم الشيوخ عند مترجمنا -وإن عدها بعضهم من العيوب، باعتبارها تقليدا للمحدثين في طريقتهم في الكلام على رجال السند، وباعتبارها مملة وثقيلة على النفس[2]- شرط من شروط العلم الموثق[3].

3- إستنتاجات:

لقد أحس شيوخ التحقيق المغاربة بالتهديد الذي يحيط بأصول الهوية الثقافية المغربية والأندلسية، فوجدوا لزاما عليهم حمل مسؤولية إنقاذ رموزها وممثلي معانيها. وجريا على نهج هؤلاء الشيوخ، ركز العلامة محمد بنشريفة اهتمامه على كل ما هو في خطر ولا يحتمل الانتظار، واعتبر التحقيق في ثقافة المؤلف من مستلزمات الدراسة الأدبية، لما

---

[1]- أمثال العوام في الأندلس الزجالي، ق1: 30-31-33 - الذيل والتكملة، المراكشي س8: 11- 39.

[2]- الذيل والتكملة، المراكشي، س8 :189.

[3]- ابن تاويت والتراث الخلدوني، محمد بن شريفة في "الكتاب التذكاري عن فقيد العلم والتراث محمد بن تاويت الطنجي: 89-97.

تسديه من خدمات لعموم الدارسين، فمعرفة الشيوخ مما يعين على فهم ثقافة المؤلف وثقافة العصر، وتقديرهما حق قدرهما، وقد ساعده انفتاح تكوينه الأدبي واللغوي على تكوينه التاريخي والعلمي والمنهجي، وهذه خاصية في التكوين من شأنها أن توجه الإبداع وتوفر الصفة الفنية لمشروعه العلمي الذي استأثر بطاقته وشغل قلبه وعقله؛ وساعده اختياره للنصوص الفريدة على تمثيل جانب مغمور من التراث، وبناء بعض حلقاته، فأمضى يفتح آفاق بحث فريدة، يراجع الشواهد على أصولها، ثم يقابلها بإضاءات تاريخية وأدبية، إلا أن شواهده تلك – وإن كان أصحابها شهود عيان– لا يثق بها كل الثقة، بل يخضعها للاختبار، ويعرضها على قرائن مختلفة، إيمانا منه بأن مصدرها، وإن كان شاهد عيان، "فهو إنسان بطبعه، كثير التأثر لعوامل عدة، ويتأثر بطرق مختلطة وعلى أنحاء متعددة"[1]، فضلا عن وجود دواع لديه للتحريف أو الوقوع في الخطإ والوهم؛ وهيمنة هذا الهاجس العلمي لديه وتطلعه إلى الضبط والبناء، جعل منه مرصدا لتصويب كل تحريف أو تصحيف يواجهه، وكشف كل تزييف أو وهم يعترضه، وحتى لا يتوقف بتوقف المصادر وسكوت الأدلة، جعل منهج العمل يقتضي الترجيح والتقدير والتعليل، فضم الإشارة إلى ما يليق بها، وأكثر من الشواهد الشعرية لكونها "من الشجرة بمنزلة النسيم الذي ... يؤدي إلى الأنوف روائح بستانها"[2].

إن بناء التراجم عنده، فن متكامل بمظاهر إبداعه، وبما ينفقه من جهد وما يمارسه من نقد في الحكم على النصوص وتقويمها، وما يملكه من ذاكرة حفظ تساعده على رفع العوائق، التي كانت تحول بين المتلقي وتعرفه على الأدب المغربي الأندلسي وفهمه والإفادة منه، وقد ساعدته ثقافته التراثية على الصناعة والبناء.

[1]– مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، ط3 (بيروت، دار القلم، 1977م): 176–177.

[2]– روضة التعريف، ابن الخطيب: 103.

الفصل الثالث:

بناء حياة التوظيف وحياة التأليف وحياة نشر العلم

تمهيد:

تعتبر دراسة التراجم عند العلامة محمد بنشريفة ضربا من التأليف، تفيد – من حيث حمولتها الأدبية والعلمية، ومن حيث تنوع روافدها- البحث العلمي، خصوصا الجانب المتعلق بدراسة التأليفات والإبداعات، والكشف عن مصادرها الغابرة ووثائقها المجهولة، وتحقيق نسبتها إلى مؤلفيها، أو التحقيق في عناوينها وحقيقة وجودها، وفي ذلك تعريف بأجزاء حية من التراث، قد تختصر حقبا بعينها، وقد تنير مراحل من تاريخ الأدب.

ونظرا للخيط الرابط بين حياة التأليف وحياة التوظيف ونشر العلم في بناء التراجم وفي إقامة تاريخ الأدب عموما، فإن مترجمنا المغربي اعتبر ذلك الرباط إشعاعا فكريا، لملامسة الأصول الفاعلة في بناء ذلك التراث قبل التأريخ له، فاستأثر باهتمامه، وشغل جانبا مهما في إقامة التراجم؛ ولعل الجمع بين حياة التوظيف والتأليف ونشر العلم في هذا الفصل – وجريا على تتبع المحقق في البناء والترميم- من شأنه أن يساعد على سبر أغوار النصوص الإبداعية، وكشف دلالاتها وأبعادها وأسباب نزولها. إن محصلة هذا الجمع نواة حية وأداة ليس همها الكشف عن وجوه الإنقاذ الذي يهيئه مترجمونا لتراثهم فحسب، بل وأيضا لوضع اليد على مؤثرات العملية الإبداعية، والكشف عن العوامل الموجهة لهذه العملية؛ ولأهمية هذا الرابط، سميت حياة التوظيف الموصولة بقريحة الأديب "بالحياة الأدبية الرسمية إذا جاز التعبير"[1]. أما التدريس ونشر العلم فقد يكون مهنة لطلب المعاش، وقد تكون تطوعا واحتسابا.

[1]- أمثال العوامل في الأندلس، الزجالي، ق1: 39.

وقد اختصت حياة التدريس بعنوان خاص، بدل إدماجها ضمن حياة التوظيف، لأنها محفل آخر للتعريف بالتراث وأعلامه، يعين على معرفة أهل الآداب المتصدرين لنشر العلم، والمساهمين في بناء الحياة الأدبية والعلمية من خلال تعداد التلاميذ والتحقيق في لائحة جديدة من الأسماء المغمورة، وقد اعتبرها بعضهم من العوامل المكيفة للحياة الأدبية، والمؤثرة على عطائها، فهي عند عبد الله كنون تحول دون قضاء مآربها، لتبلبل الفكر وانشغاله بالتدريس[1]، فإلى أي حد يصدق هذا الرأي على تراجم العلامة محمد بنشريفة وغيره؟ وما الجديد الذي قدمه في تطلعه إلى الإبداع، ودفاعه عن التراث المغربي الأندلسي؟ وما هي العوامل المؤثرة على العملية الإبداعية؟

1- حياة التوظيف:

تعتبر حياة التوظيف عند العلامة من الجوانب التي استأثرت باهتمام بعض المترجمين، فمنهم من لم يعرها اهتماما، ومنهم من أشار إلى ما توافر منها في كتب التراجم للتعريف بالمؤلف، ومنهم من كان مدعوا إلى الاهتمام بها للتعرف على الخيوط الموصولة بتطور ثقافتنا، من خلال الوقوف على الأطراف المنسية في التراث، وهذه غاية مترجمنا ومن سار على دربه، وهي عنده بادرة للتقدم بمشروعه العلمي في تحقيق الهوية المغربية وتأطير تاريخها المجيد، وقد أكثر وثوبه على حل مشكلات هذه الحياة، وترميم بترها، واعتبرها مستوى ثريا في فن صناعة الترجمة والتأريخ الأدبي، لوفرة المعرفة المتصلة بها، ولأثرها المباشر والمؤثر على حياة التأليف، ولعل هذا المستوى من الاهتمام كان نتيجة الفهم الهادف للمسؤولية العلمية والتاريخية، ونتيجة تطلعه إلى الإبداع. فما هي تجليات الاهتمام بهذا الجانب؟ وما الغاية منه؟ وما هي آليات تحقيقه؟

أمام إهمال كتب التراجم للحياة العملية لمترجميها، وعلى رأسهم **أبو يحي الزجالي**، لجأ المحقق إلى أسلوب الاستفهام، بحثا عن منافذ مضيئة، نحو قوله: "هل سلك سبيل

[1]- المنتخب من شعر ابن زاكور، عمل عبد الله كنون: 15.

جده ابن قطرال الذي تقلب في وظائف القضاء والخطط الدينية والتعليمية حتى وفاته... أم أن ثقافته الأدبية حالت بينه وبين الخطط الدينية"[1].

لم يعثر المترجم في هذا الصدد إلا على نص شعري واحد، ورد في السفر الثاني من كتاب الزجالي "ري الأوام" وجهه إلى المسمى أبي موسى عيسى بن الحاج عام 643هـ، فتناوله بالتحليل والقراءة المتأنية، واستنطق صوره ليستنتج منه صلة الزجالي القديمة بهذا الممدوح الذي ازورَّ عنه بعدما أصبح ذا الأمر والنهي[2].

إن المنهج العلمي يقتضي التعريف بهذا الممدوح، إلا أن العلامة -وبعد أن أنفق وقتا ليس بالقليل في البحث عنه- لم ينته إلى نتيجة يطمئن إليها[3]، لأن "ابن الحاج" اسم لا يفيد في تحديد الشخص، لشيوعه في أعلام الأندلس والمغرب، فعاد إلى أسلوب الاستفهام ثانية وإلى أسلوب التخمين: "فهل يكون أبو موسى عيسى بن الحاج من بني الحاج القرطبيين الذين ولي ثلاثة منهم - حوالي هذا التاريخ - قضاء إشبيلية وغرناطة وسبتة"[4].

ولتعليل افتراضه، جمع بعض الإشارات ونسج منها قرينة قد تزكي تخمينه، منها قوله "وعلى فرض أن القصيدة قيلت بمراكش فلربما كان ذلك الممدوح هو أبو موسى ابن عطوش الذي ولي الأشغال والشرطة واستخلف على الوزارة في عهد الرشيد الموحدي (630هـ- 640هـ)، ثم أصبح وزير السعيد الموحدي (640هـ-646هـ)..."[5]؛ وبالرغم من اجتهاده في إيجاد تفسير لانسحاب الزجالي من الحياة الأدبية والوظيفية، إلا أنه أقر بفشل نشاطه الأدبي[6]، ليس لتبلبل الفكر وانشغاله بالتدريس، وإنما لإيثاره العزلة والقناعة والحفاظ على الكرامة الشخصية[7].

---

[1]- أمثال العوام في الأندلس، الزجالي، ق1 "35-36.

[2]- نفسه: 36.

[3]- نفسه: 38.

[4]- نفسه: 38.

[5]- نفسه: 38 .

[6]- نفسه: 39.

[7]- نفسه: 253.

وإذا كانت شخصية الزجالي ووضع ترجمته لم يسعفا في إغناء حياة التوظيف وتقديم الجديد لإثراء التاريخ الأدبي، فإن شخصية ابن **عبد الملك المراكشي** وما وفره من مادة غنية في كتابه "الذيل والتكملة"، جعل المحقق يستفيض في الجوانب الغامضة، وفي مواطن النقص، ليضيف جديدا إلى مؤهلاته الوظيفية، وكان اهتمامه بهذا الجانب من الترجمة متسلسلا حسب تسلسل مراحله الوظيفية، وقائما على التحقيق في زمن التوظيف الذي عده من أسس صناعة الترجمة، يقول: "ويبدو أنه اشتغل – أول ما اشتغل– بكتابة الشروط وعقد الوثائق التي أخذها ومرن فيها على يد شيوخه من القضاة والموثقين..."[1]، فقد ظن أن المؤلف صرف في "كتابة الشروط" وقتا في شبابه وأول كهولته، أي في أواخر دولة الموحدين[2]، وقوى هذا الظن بما يعرفه عن صلته الوثيقة بشيوخه المتعاقبين على القضاء في هذه الحقبة، إذ عرف بهم وبتاريخ صلتهم به؛ ومع غياب نصوص صريحة، استنطق الإشارات، ليستشف من جلوسه الطويل في دكاكين عاقدي الشروط اشتغاله بعقد الوثائق[3].

أما حياته الوظيفية على عهد الدولة المرينية، فلم يجد المحقق لها ذكرا في المصادر، ولم يذكر المراكشي نفسه شيئا منها، ولا يعرف إن كان المراكشي قاضي أغمات في عهد واليها أبي علي عمر المليانى (ت 686هـ)، أم أنه كان من كتابه[4]. واعتمادا على إحساسه بالشخصية وبنصوصها بعد طول معاشرتها، وعلى الربط الدقيق بين الأحداث المتباعدة، رجح توليه القضاء في أغمات، وفي دفاعه عن هذا الترجيح يقول: "ونحس من هذه الفقرة المكانة المتميزة التي كانت لابن عبد الملك على الأصحاب المذكورين لدى الوالي، ونكاد نحس من تحرجه في قول الشعر أن وراءه صفة دينية تجعله يستعفى من المشاركة في مثل هذه المطارحات الإخوانية، وما أحسب هذه الصفة إلا أنَّها خطة القضاء التي تليق

---

[1]– الذيل والتكملة، المراكشي، س8: 64.

[2]– نفسه: 64.

[3]– نفسه: 64.

[4]– لم يتوصل المحقق في نقده الداخلي إلا بإشارة حول الحياة الأدبية في أغمات على عهد المليانى، تصف مجلسا أدبيا في عصره (نفسه: 66).

بابن عبد الملك أكثر من صفة الكتابة الديوانية ونحوها"[1]؛ وإشارة المراكشي إلى علاقته الخاصة بالوالي المليانى، واقتحامه لخلوته في مجلسه الخاص أحيانا[2]، تزيد من تقوية الترجيح، وتؤيد توليه خطة القضاء في أغمات.

ومن الجوانب الغامضة التي رصدها المترجم، وأظهر فيها قدرته على تعليل افتراضاته لإقناع المتلقي، تحقيقه في تاريخ توليه خطة قضاء الجامعة بمراكش، إذ استند إلى نص لابن أبي زَرْع، لم يحدد فيه تاريخ ولايته صراحة، وإن صرح بتوليه هذه الخطة على عهد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق (685هـ-706هـ) حين قال: "وقضاته بحضرة مراكش: الفقيه أبو فارس العمراني، والفقيه أبو عبد الله السقطي، ثم الفقيه أبو عبد الله ابن عبد الملك"[3]، فعمد إلى النظر في هذا النص، وفي ترتيب عباراته وتركيبه، وتأمل ما وراء سطوره ليصل إلى أن ولاية ابن عبد الملك كانت في "العشر الأواخر من القرن الهجري السابع أي قبل وفاته بسنوات معدودات"[4]؛ وفي المراحل الأخيرة لابن عبد الملك، جعله المترجم يتردد على تلمسان "مدعوا إليها - على ما يظهر- وذلك للالتحاق بمحلة السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق"[5]، ولتأكيد الخبر، ربط بين عدة إشارات متفرقة في كتاب "الذيل والتكملة" ربطا تاريخيا، منها تصريحه بسفرته إلى تلمسان، ومروره بفاس في سنة 699هـ، ووجوده في أغمات سنة 702هـ، ثم عودته إلى تلمسان الجديدة أواخر عام 703هـ[6].

هذه، إذن، بعض مواضع الغموض التي تتبعها في تحقيقه للحياة الوظيفية لابن عبد الملك، ونماذج من الهنات التي رصدها، رغبة منه في تقديم الجديد من خلال استقراء النصوص والنزوع إلى نقدها. والمنهج نفسه سلكه في بناء شخصيات مغمورة أخرى،

---

[1]- الذيل والتكملة، المراكشي، س 8: 67.

[2]- نفسه: 67-68.

[3]- نفسه: 70.

[4]- نفسه: 70.

[5]- نفسه: 70.

[6]- نفسه: 70.

نحو صنيعه مع وظائف **أبي الحسين ابن فُركون**، التي لم يفرد لها عنوانا خاصا، مكتفيا بالإشارة إليها في ثنايا الترجمة خلال حديثه عن علاقة الشاعر بمخدومه، وبفضل عثوره على ديوان ابن فركون وتذوق نصوصه، ومقابلته بكشف جديد لمجموع "مظهر النور"، حقق في مناصب الشاعر داخل المجتمع الغرناطي، وفي وظائفه على عهد يوسف الثالث، ومؤهلاته التي توسل بها لنيل ما يريد، واعتمادا على النقد الداخلي للمادتين الشعريتين، كشف عن حقائق وإشارات طريفة، أدرك من خلالها أن ابن فركون كان يتطلع، وهو شاب يافع، إلى الانخراط في ديوان الإنشاء، بفضل امتلاكه لجودة الإنشاء وجمال الخط، واستطاع تحقيق تطلعه في مقام محمد السابع (ت 810هـ) سنة 808هـ، وتقديم الولاء بعد وفاته إلى السلطان الجديد يوسف الثالث[1] الذي جعله شاعره المختص ومؤرخ أيامه وشعره، وولي كتابة سره في عام 814هـ إلى وفاة الملك عام 820هـ[2].

إن تتبع تلك الوظائف وتاريخها وظروفها، كان فرصة للكشف عن حقائق تاريخية وسياسية غابرة، والتعريف بطرق التوظيف وشروطه وضماناته وآثاره المختلفة على الحياة الأدبية للشاعر، خصوصا إذا كانت تأليفات المترجم له ذات قيمة وثائقية خاصة، نحو **"مَلْعبة الكفيف الزرهوني"** التي اعتبرها العلامة وثيقة تاريخية في مستوى كلام ابن خلدون حول تلك الأحداث المرتبطة بعصر المؤلف وحياته[3]، وبفضلها حقق في صلة الزرهوني بأبي الحسن المريني، معتمدا على عدة قرائن ربط بينها، منها: ازدهار الزجل في عصر بني مرين وإقامة مباريات للإنشاد الشعبي[4]- ولعل الزرهوني أدلى بدلوه في هذا المجال- ومنها: إظهار ولائه وتعلقه بالسلطان في قصيدة أهداها إليه[5]؛ ولتأييد تلك الصلة، حقق في علاقة الشاعر ببعض حاشية السلطان[6]، وفي تاريخ نظم "المَلعبة" وفي

---

[1]- ديوان ابن فركون: 12-13.

[2]- نفسه: 16- مظهر النور، جمع ابن فركون: 7.

[3]- ملعبة الكفيف الزرهوني: 12.

[4]- نفسه: 10-11.

[5]- نفسه: 10-12.

[6]- نفسه: 12.

مناسبتها وموضوعها[1]، لتأطيرها تاريخيا ثم اختبار مدى موافقتها لما ذكره المؤرخون المعاصرون للأحداث.

إن أهمية هذا الجانب من الترجمة، قد يكون من دوافع اختيار المترجم للشخصية، فأهم شيء أثار انتباهه في شخصية **أبي المطرف ابن عميرة**، هو طموحه إلى المعالي، وشغل المناصب الرفيعة والوظائف السامية، وقد أهله إلى ذلك "ثقافته الأدبية والعلمية ومواهبه الكتابية وحنكته الإدارية"[2]؛ ولتصوير هذا الطموح، وقف وقفة متأنية عند قصة حياته الإدارية في خدمة الأمراء والملوك، وتطارحه على خدمتهم، فكلما "شعر بدنو نهاية الدولة التي يخدمها تركها وانتقل عنها إلى غيرها"[3]، وقد قسم المترجم حياته الإدارية إلى ثلاث مراحل، حصر خلالها المهام التي تقلدها في كل مرحلة على حدة، وحسب الترتيب الزمني[4]، وأضاف أمورا جديدة، وصحح أوهاما شائعة، اعتمادا على رسائله وأشعاره ومكاتباته وقراءاته النقدية.

ومن مظاهر الضبط والتوثيق، تحقيقه في تاريخ بداية حياته الإدارية، المرتبطة بكتابته ببلنسية عن السيد أبي عبد الله بن أبي حفص، والتي حددها بين سنة 607 هـ وسنة 608هـ، ليرد على من ادعى من الباحثين المحدثين تولي ابن عميرة القضاء أول نشأته في عدة أماكن من الأندلس، ففي هذا الرأي "إجمال وافتقار إلى التدقيق"[5]، واعتراضه عليه كان لعدة دواع منها: أن ابن عميرة اشتغل أول مرة بالكتابة قبل اشتغاله بالقضاء، ولم يتول قضاء شاطبة إلا "بعد أن ترك ابن مردنيش مخاطبا له سنة 628 هـ"[6]، ولتعزيز نقده وتوثيق تصويبه نوع من الأدلة النثرية والشعرية الواردة في رسائله المخطوطة[7].

---

[1]- ملعبة الكفيف الزرهوني: 11.

[2]- أبو المطرف أحمد بن عميرة، حياته وآثاره، ابن شريفة: 164.

[3]- نفسه: 164.

[4]- نفسه: 85.

[5]- نفسه: 86.

[6]- نفسه: 86.

[7]- نفسه: 86.

أما عن تاريخ ولايته القضاء او الكتابة بشاطبة، فقد سكتت المصادر عن ذكره، واستطاع أن يجعله بين 630هـ و631هـ، معتمدا في ذلك على مفهوم الرسالة التي كتبها ابن عميرة باسم سكان شاطبة، أيام كان قاضيا بها في "تهنئة أمير المسلمين ابن هود بوصول رسول الخليفة المستنصر العباسي... ومن المعلوم أن وصول هذا الرسول كان في سنة 631هـ"[1]، كما استطاع في تأريخه لوظائف المؤلف، أن يصحح عدة أخطاء تاريخية[2]، مستعينا بتحليل عقوده ورسائله الديوانية والإخوانية، وعندما يواجه غموضا ولا يتوصل في حله إلى إثبات، يرفع بأسئلته إلى فضاء البحث الواسع، نحو قوله: "ولسنا نعلم هل تخلى ابن عميرة عن قضاء شاطبة من تلقاء نفسه حين رأى الأحوال تنذر بسقوطها في أيدي المسيحيين، أم أن النشاط الذي بذله خلال الفترة القصيرة التي ولي فيها قضاء المدينة المذكورة، قد لفت إليه أنظار المسؤولين من دولة ابن هود، فقرروا استدعاءه للاستفادة منه"[3].

وقد تابع بناء حياته الإدارية - وبنفس الطريقة- عبر مراحلها الثلاث: في الأندلس (607هـ-637هـ) والمغرب (637-646هـ) وإفريقية (646-658هـ)، ليخلص إلى أسباب اضطراب حياته وتقلبها. ولعل هذا الجانب من حياة ابن عميرة استأثر باهتمام المترجم المحقق ليوسع من حدوده المكانية والزمانية، وينفتح به على المجلاَّت، نحو نشره لمقال "ابن عميرة قاضيا في الرباط وسلا" في مجلة دعوة الحق، وإعادة نشره لأجزاء من دراسته "أبي المطرف أحمد بن عميرة المخزومي" في عددين من مجلة دعوة الحق[4].

---

[1]- أبو المطرف أحمد بن عميرة: 99.

[2]- من بين الأخطاء التي صححها ما ورد في العبر لابن خلدون حين ذهب إلى أن السيد أبا زيد ولي بلنسية بعد وفاة الخليفة المستنصر ببلنسية سنة 620هـ، في حين أن هذه الرسالة صريحة في أنها كتبت في حياته (أبو المطرف أحمد بن عميرة، محمد بن شريفة: 90).

[3]- نفسه: 104.

[4]- أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي1، محمد بنشريفة (مجلة دعوة الحق، ع 8، يونيو، 1965م): 82- 88.

- أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي2، محمد بنشريفة (مجلة دعوة الحق، ع 9 - 10 يوليوز، 1965م): 111- 118.

أما الحياة الوظيفية **لابن مغاور الشاطبي**، فقد خص العلامة جزءا مهما من الترجمة للتحقيق فيها والتأريخ لها، معتمدا على القراءة الاستكشافية لآثاره، وفي مقدمتها مجموع "نَوْر الكمائم وسَجْع الحمائم" ورسائله التي سجلها في خدمة أمرائه، ومن خلالها توصل إلى أول عمل سياسي باشره، مع قاضي بلنسية مروان ابن عبد العزيز[1].

كما تتبع خدمته للأمراء الذين تعاقبوا على إمارة بلنسية وشاطبة ومرسية[2]، وحقق في الخلاف الذي دار بين المصادر حول تحلية أولئك الأمراء، والتعريف بهم اعتمادا على الرسائل التي كتبها المؤلف خلال عهد ابن مردنيش (542هـ-567هـ)؛ إلا أن تلك الرسائل لم تفصح عن حال ابن مغاور خلال الأيام الأخيرة من هذا العهد، وبما أن المترجم لم يتوصل إلى ذلك، قدر "أنه أوى إلى شاطبة راضيا من الغنيمة بالإياب، ولعله ظل طوال تلك الأزمة خائفا يترقب"[3].

وقد استرشد بعدد آخر من رسائل المجموع، للتحقيق في الوظائف التي تولاها كاتبا في خدمة أبي حفص عمر بن موسى (ت 569هـ)، والتعريف من خلالها ببعض الولاة الذين لم يرد ذكرهم في المصادر الموجودة[4]، واستطاع توضيح الغموض والإبهام الواقع في بعض المصادر التاريخية[5]، بفضل قراءته النقدية لرسائله في خدمة أبي الربيع سلطان المغرب الأوسط عام 569هـ.

ونظرا لظروف هذا التراث، واجه المترجم المحقق غموضا شديدا حاول حل بعضه واكتفى في بعضه الآخر برفع الأسئلة، نحو قوله: "ولا نعرف كم مكث ابن مغاور في سجن أريولة، وأغلب الظن أنه أفرج عنه بعد مصرع ابن أبي جعفر بأحواز غرناطة في

---

[1]- ابن مغاور الشاطبي، ابن شريفة: 43-44.

[2]- نفسه: 45.

[3]- نفسه:51. وقد جعله المحقق يختفي ليظهر غداة دخول الخليفة يوسف بن عبد المومن إلى شاطبة كاتبا في خدمة الموحدين، بعدما تقدم بولائه متوسلا برسالة إلى الخليفة عام 570هـ، أثبتها العلامة المحقق موثقة في مقدمته، وفصل القول في مجملها وقارن أخبارها بالمصادر التاريخية (ابن مغاور الشاطبي، محمد بن شريفة: 54).

[4]- نفسه: 61.

[5]- نفسه: 62.

أول سنة 540هـ... ولا نعرف أيضا هل رجع ابن مغاور إلى خدمة أميره ابن عبد العزيز أم لا؟"[1].

ويبدو أن هاجس العلامة محمد بنشريفة في بنائه لهذا الجانب من الترجمة، هو التوثيق التاريخي لتولي الوظائف، لما لذلك من فوائد جمة في توثيق تاريخ المغرب السياسي والأدبي، وتوثيق أخبارها وطبعها بطابع الجدة والإقناع، فأثناء بنائه للحياة الوظيفية **لابن لبال الشريشي**، بعد انتهاء زمن الطلب والعودة إلى بلده شريش واشتغاله بالتوثيق متعيشا منه، وثق العلامة بنشريفة زمن عودته تلك، معتمدا الترجيح، في قوله: "ونقدر أن عودته إلى شريش كانت في آخر العقد الرابع من القرن السادس أي حوالي 540 هـ"[2]. وبما أن هذا التاريخ يمثل نهاية عهد المرابطين في الأندلس وبداية عهد الموحدين[3]، فإن المترجم يقدر أنه "كان ضمن ذلك الوفد الذي خرج به من شريش قائدها أبو العمر لملاقاة الموحدين، وإعلان مبايعتهم لعبد المومن في ختام سنة 539هـ"[4].

أما توليه خطة القضاء بشَرِيش، والتي تقبلها مكرها بعد إجماع أهل بلده على ترشيحه[5]، فقد قدرها في حوالي 540 هـ، ولا يدري كم مكثت، ويبدو، في نظره، أن مدته فيها كانت قصيرة لشعوره بكثير من الرضى بعد إعفائه منها لقوله (الوافر):

حُمِلْتُ على القَضاء ولَمْ أُرِدْهُ ... وكان عَلَيَّ أَثْقَلَ مِنْ ثَبِيرِ
فلمَّا أَنْ عُزِلْتُ جَعَلْتُ أَشْدُو: ... "لقد أُنْقِذْتُ مِنْ شَرٍّ كَبِيرِ"[6]

وقد يكون غياب هذا الجانب من الترجمة عن كتب التراجم، مدعاة للسؤال التالي: "ألم تكن له وظيفة يأتيه منها رزق معلوم؟"[7]، خصوصا إذا كان الشاعر على صلة بالخلفاء

---

[1]- ابن مغاور الشاطبي، ابن شريفة: 62.
[2]- أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، بنشريفة: 175.
[3]- ابن لبال الشريشي محمد بن شريفة: 44.
[4]- نفسه: 44.
[5]- أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة: 176 ابن لبال الشريش، ابن شريفة: 46.
[6]- ابن لبال الشريش، ابن شريفة: 47.
[7]- ابن حريق البلنسي: 50.

والأمراء، أمثال ابن حريق البلنسي الذي امتدحهم، ومع ذلك لم تذكر المصادر توليه خطة من الخطط أو وظيفة من الوظائف.

وللتحقيق في الأمر، بحث عن إشارات في شعره أيد بها ما جاء في مصادر بعض المشارقة المتأخرين، الذين رووا أخباره وأشعاره عن أندلسيين رحلوا إلى المشرق، أمثال ابن الشعار الذي قال: "وتولى التصرف في الأعمال الديوانية مع كتابة الإنشاء لبني عبد المومن (قلائد الجمان 4 :367)"[1].

وأمام فقدان هذه الكتابة الإنشائية الديوانية، اجتهد العلامة في جمع الإشارات المتفرقة من كتب التراجم، والمقارنة بينها لتقوية دليله وإقناع متلقيه، من هذه الإشارات، وجود ابن حريق في مدينة بياسة حين تولى خطة الإشراف[2]، وقد أيد ذلك بإشارة أخرى لابن الأبار، مفادها أن شيخه ابن حريق "كان يشتغل بجهة جيان، وأنه كان يتردد عليها في صدر المائة السابعة"[3]، ومن تلك النبذ ما تعلق بالطابع الجغرافي وربط موقع بياسة بجهة جيان[4]، ومنها ما جعل كل ولاة هذه الخطة في عصر الموحدين من فئة الكتاب، مثل ابن حريق، فعطف تلك الإشارات المتجمعة على إشارات أخرى من "الذيل والتكملة"، استخلص منها عناية الأمير السيد أبي عمران بن عبد المومن، ولي إشبيلية، بابن حريق في آخر حياته[5]؛ وليؤكد ما سبق، ويحقق في تاريخ توليه الأعمال الديوانية، استعان بقياس الزمن، وباستقراء شعره، يقول: "ونفهم من البيت بعده أن الشاعر كان في الخمسين من العمر لما قال هذه القصيدة، ولعلنا نصل بذلك إلى تاريخ اشتغاله في بياسة وهو سنة 601هـ وما بعدها لأن ابن حريق كما عرفنا من مواليد سنة 551هـ"[6]. وبتجميع تلك

---

[1]- ابن حريق البلنسي: 50.

[2]- أخرج هذه الإشارة من:"قلائد الجمان 4: 370، وتراجم مغربية:55" (ابن حريق البلنسي: 50 (إحالة:149).

[3]- نفسه: 50.

[4]- ابن حريق البلنسي: 50-51.

[5]- نفسه، 51-52.

[6]- نفسه: 53.

القرائن وترتيبها، قدر أن تعيين ابن حريق في هذه الخطة كان من قبل أحد ممدوحيه من السادة الموحدين، وهو السيد أبو عمران... وقد ولي هذا السيد أمر إشبيلية...[1].

انطلاقا مما تقدم، يبدو عمل المحقق شائكا ومركبا، إذ اهتم بالضبط التاريخي وتوثيق الأخبار والتعريف بالعصور التاريخية والمواقع الجغرافية والأسر الحاكمة، والتحقيق في حياة الأمراء والحكام، وهو مجال -عند جل المترجمين المحققين- لرسم طبيعة التكوين الثقافي والسياسي، الذي يعين المؤلف على القيام بمسؤولياته أو يؤهله للكتابة السلطانية، فمحمد الكتاني، وبالرغم من اهتمامه بالحياة الأدبية لابن الخطيب، إلا أنه لم يجد مفرا من الحديث عن حياته الوظيفية لتداخلهما، فصلته بالأسرة الحاكمة رسمت له منذ يفاعته طبيعة التكوين الذي سيعينه على مواصلة مهام أسرته[2].

إن غاية ما يرجوه العلامة بنشريفة من هذا الجانب، خدمة هذا التراث وتقويم المعوج وإلغاء الشبهات عنه، وكشف غموضه وأوهامه اعتمادا على التحليل والنقد في الحكم على المصادر وعلى المعرفة التاريخية الضرورية في بناء هذا الجانب من الترجمة، فأضاف بذلك زهورا جديدة إلى باقة الأدب المغربي الأندلسي في عصر الموحدين؛ وما قدمه من جديد في هذا المجال كان استجابة للهاتف الوجداني لإضاءة النصوص التراثية، إلى أن فاقت عنايته بهذا الجانب من الترجمة عناية شيوخه ومعاصريه، ولعل غياب هذا العنصر في بعض تراجمه لا يعود إلى إهماله أو النقص منه، بل إلى طبيعة الشخصية نفسها، فابن حسّون الماجري مثلا كان ضريرا منقطعا إلى العلم متفرغا للقاء شيوخه [3]، وأبو يحي الزجالي كان ناسكا وزاهدا...

وإذا ربط بعضهم الحياة الوظيفية بتبلبل الفكر، فإن البعض الآخر أثبت أن صلات الأديب بالسلاطين والكتاب والوزراء والحجاب من شأنه أن يذكي حماس

---

[1]- ابن حريق البلنسي: 51-52.

[2]- تقلد ابن الخطيب في مراحل حياته الكبرى الوزارة، ومعها صدر منه أعظم إنتاجاته، إلى أن لقب بذي الوزارتين (روضة التعريف، ابن الخطيب: 15).

[3]- أول تأليف مغربي في المنطق، ابن شريفة: 32.

الأديب، لتقديم الأفضل والتقرب أكثر منهم[1]، وأن ضعف الجانب الإبداعي والثقافي قد يحول بين المؤلف وتحقيق مراده[2]، وأن فشل مراده قد يؤدي به إلى إيثار العزلة والقناعة[3].

2- حياة التأليف:

إن المنهج العلمي الحديث يقتضي من المترجمين بيان الغموض والخلط الذي قد وقع فيه الباحثون والدارسون للتراث، نحو الخلط بين اسم المؤلف ومن لقب بلقبه، والخلط في نسبة كتاب إلى غير مؤلفه، وإعطاء الكتاب غير عنوانه[4].

وخدمة للبحث العلمي، خص العلامة محمد بنشريفة تراجمه لمواجهة تلك الأخطاء وتصويبها، فأقام لوائح مهمة بأسماء الكتب المخطوطة والمطبوعة والمحققة، تتجلى قيمتها في حفظها لأسماء عدد كبير من المصادر المفقودة.

والحديث عن حياة التأليف هو حديث عن الصفات الفنية للشخصية، واستخراج لخصائصها الإبداعية، وعلى المترجم ألا يكتفي بضبط العناوين أو توثيقها، بل أن يروم تعقيبها بالدراسة والنقد، وعملية النقد هنا تتطلب التحقيق في صحة نسبة الأثر لمؤلفه ودراسة درجته من حيث الجرح والتعديل، مع عدم الثقة بروايات الإخباريين، والتدخل فيما يروونه من أحكام قصد التحقق من صدقها.

وقد أنفق محققو التراث المغربي الأندلسي جاهدا جهيدا في التعريف بمؤلفات مترجميهم وأشعارهم ورسائلهم المفقود منها والموجود، محققين في مضامينها وتواريخها وظروف تأليفها ومصادر ذكرها؛ واعتبروا تلك اللوائح وجها من وجوه إحياء التراث المجيد وتقويمه، فكيف دافع العلامة المغربي عن التراث المغربي الأندلسي من خلال آثار مترجميه؟ وما مظاهر إبداعاته في إقامة تلك الآثار الأدبية وتوثيقها ودراسة صفاتها؟

---

[1]- أعلام المغرب والأندلس، رضوان الداية: 7-8.

[2]- أمثال العوام في الأندلس، الزجالي، ق1: 36.

[3]- نفسه: 39.

[4]- روضة التعريف، ابن الخطيب: 25.

لقد كلف نفسه مشقة التحقيق في تراث مترجميه ، وفي نفسه بعض الأسى والحسرة على ضياع جله، فعزم على جمعه والتحقيق في تاريخه ومناسباته، وفي نسبته إلى مؤلفيه، ومن هذا التراث المنسي آثار **ابن عبد الملك المراكشي**، فقد قدم تصريحا مفصلا حول المفقود منها والمتوافر، وعرف بمادتها وبمنهجها وبتعليقاتها وتذييلاتها، وبتداولها بين أهل العلم، وبنسخها وتملكاتها... فبدأ أولا بكتاب "الذيل والتكملة"، الذي عكف عليه عمرا، وعرف بأجزائه وقيمتها التاريخية والنقدية والأدبية، ثم اعتمد مادة هذا الكتاب في التعريف بمؤلفات ومقالات[1] مفقودة منها: كتاب "الجمع بين كتابي ابن القطان وابن المواق على كتاب الأحكام لعبد الحق ابن الخراط"، الذي تحدث عنه المؤلف في إحدى تراجمه، واعتبره العلامة دليل عبقريته وعلو كعبه، يقول: "ولو وصل إلينا لكان برهانا آخر على قدرته الخارقة على التنظيم والترتيب"[2]. ومن الأعمال المفقودة أيضا: "الجامع في العروض"، كذا سماه ابن عبد الملك، ورد ذكره في عدة نصوص من أسفار الذيل والتكملة، أثبتها المترجم موثقة لتقديم صورة مستوفاة حول معرفته بعلم العروض[3].

أما المقالات، فقد عرف بها اعتمادا على النقد الداخلي لمادة "الذيل والتكملة"، مع التحقيق في ضبط العنوان بالشكل، وجمع المادة المتفرقة للتعريف بموضوعها، ومنها: مقالة حول كتاب "الأربعين حديثا للملاحي" وهي -حسب المترجم- جزء من نشاط ابن عبد الملك في الحديث الذي تضلع فيه، وقد اعتبرها مؤلفها "أعجوبة محجوبة حجبها الله تعالى، فلم يقع أحد في علمي عليها، فله الحمد والشكر أن هداني ووفقني إليها"[4]. ولم يكتف العلامة بأسفار الذيل والتكملة، بل كان ينقب أيضا في المصادر والمراجع عن قرائن تغني هذا الجانب، فوقع على إشارة في رحلة العبدري حول تقاييده، جعلته يقدر أن لابن عبد الملك تقاييد ورسائل في موضوعات مختلفة لا نعرف عنها شيئا[5] .

---

[1]- الذيل والتكملة، المراكشي، س8 : 93-102.

[2]- الكتاب هو تذييل وتكميل لثلاثة أعمال في أحاديث الأحكام (الذيل والتكملة س8: 104- 105).

[3]- نفسه: 106-107.

[4]- نفسه: 110.

[5]- نفسه: 110.

وأمام ضياع عدد من تأليفاته، رجح المترجم ضياع ثروة أدبية معها من شعر ونثر ونقد، لم يبق منها إلا نماذج محدودة، وعلل ترجيحه بأدلة متنوعة وإشارات من كتب التراجم، منها: "قال النباهي: "وأوقفني ولده (أي ولد ابن عبد الملك) صاحبنا الفقيه أبو عبد الله على كثير من المكتوبات الصادرة عن أبيه القاضي أبي عبد الله ما بين منظوم ومنثور"، ثم أورد قصيدة لزومية في الحنين إلى أحبابه في سلا"[1]. ولإفادة القارئ -أمام غياب هذه المادة الأدبية، وتشتت ما بقي منها- عرف المترجم بخصائصها الشعرية وأسلوبها في النظم نحو قوله: "ونقف في السفر الثامن على إحدى مدائحه فيه، وهي قصيدة يغلب عليها التكلف، وتلحق بشعر الفقهاء، كما أن لزوميته المشار إليها لا تقل عنها تكلفا وتصنعا"[2].

وقد كان كتاب "الذيل والتكملة" فعلا، فاتحة خير عليه وكانت هي الأخرى "أعجوبة محجوبة" بفضله كشف عن عناوين جديدة، وقدم للمكتبة العربية مواد غنية تعرف لأول مرة، مثل التحقيق في أنواع النشر عند المؤلف[3]، والتعريف بنقده الأدبي وأسلوب تعقيباته، برصد مقتطفات جاءت في أسفار "الذيل والتكملة" على سبيل الاستطراد، وقد استطاع المترجم بفضل الاختيارات الأدبية والاستطرادات التاريخية التي استشهد بها، أن يبني جزءا من حياة المؤلف الأدبية، ويساهم في سد بعض النقص الذي تعاني منه كتب التاريخ والطبقات.

وهذا الجانب من الترجمة اعتبره المترجمون والمحققون للتراث المغربي الأندلسي ركنا مهما واهتموا به، واعتبروه فرصة للتعريف بالتراث وتحقيق نسبته والدفاع عنه، أمثال ابن تاويت الطنجي في تحقيقه المشترك لـ "ديوان أبي الربيع سليمان الموحد"، عرف

---

[1]- الذيل والتكملة المراكشي، س 8: 111.

[2]- نفسه: 111.

[3]- يقول محمد بنشريفة: "وأما نثره فمنه نثر مرسل وهو الذي نجده في تراجم الذيل والتكملة، ومنه نثر مسجوع وبه كان يُحَبِّر رسائله الإخوانية في أغلب الظن إذ لم يصل إلينا شيء منها.." (الذيل والتكملة، المراكشي س8: 113).

بمؤلفات الشاعر وبرسائله، اعتمادا على مصادر مساعدة[1]، وقبل التعريف بشعره، عرض موقف المؤرخين، وألقى بتهمة عبد الواحد المراكشي في "المعجب"، حين ادعى أن أشعاره الجيدة ليس من نسجه[2]، وهذه التهمة، في نظر المحققين، خطيرة لبنائها على التخمين، لذلك عملوا على مناقشتها وتقييمها من وجوه، اعتمادا على تجميع القرائن واعتماد المنطق والبعد عن إثم الظن، مع تحري الحذر في الحكم على ملاحظة عبد الواحد المراكشي في اختلاف كلام الشاعر ونزول بعضه عن مرتبة الشعر، وهي عندهم ملاحظة لها قيمتها فيما سيقرأ من شعر الشاعر، وبالرغم من ذلك لم يحكموا حكما باتا على كون الراقي منه منحولا إياه، "بل إن الشاعر إذا لم يكن في ذلك المستوى العالي جدا فإنه يتعرض في أحيان كثيرة أو قليلة إلى هذا الإسفاف"[3]، مستدلين بفطاحل الشعراء أمثال المتنبي.

والسنة نفسها درج عليها شيخ المحققين المغاربة عبد الله كنون في تراجمه، فقد أثبت تأليف ابن زاكور[4]، وإن اكتفى بضبط العنوان كاملا وعدد أجزائه، غير مبال بتوثيقه، أما ديوانه الشعري، فقد أقصى منه الغث الساذج، واعتبر الشعر الرقيق السلس الذي ينم عن ذوق أدبي، هو الذي يحكم به على شاعريته، ولم يعتبر النوع الأول من قوله ولم يقم له وزنا عند النقد، لأن "لكل شاعر سقطا، ولكل قائل غلطا"[5].

إن الترجمة بهذا المعنى، هي محاولة لنشر العلم، يحتاج المترجم لصناعتها أن يكون له إلف خاص بمادة النقد الداخلي، ليصل إلى حقيقة عناوين الكتب، والعلامة محمد بنشريفة في تناوله الحياة الأدبية **لابن عميرة**، خبر رسائله الديوانية والإخوانية، فوضعت تلك الخبرة في يده الخيط الأول للوصول إلى تأليفاته، ولإدلائه بقيمة هذه الرسائل،

---

[1]- ديوان الأمير أبي الربيع سليمان الموحد: 7.

[2]- نفسه: 8.

[3]- نفسه: 9.

[4]- المنتخب من شعر ابن زاكور، عمل عبد الله كنون: 17-18.

[5]- نفسه: 21.

صنفها بحسب موضوعاتها مستعرضا إياها حسب تاريخ صدورها[1]، واعتبر الرسائل الإخوانية جزءا من حياته اليومية[2]، ومادة مهمة عند من تعرض في القديم إلى تاريخ هذه الحقبة، نحو ابن عذاري وابن الخطيب والمقري[3]، وقد تتبعها بالوصف الدقيق لقيمتها في الكشف عن تحريف المصادر المسيحية وتناقضها، وفي إضاءة تاريخ تلك الحقبة المظلمة، وتأسيس حلقة لم تدرس بعد في سلسلة تطور النثر الأندلسي.

وللفت أنظار الدارسين إلى قيمة هذه الرسائل، يستغرب سكوت كتاب تاريخ النثر الفني عن هذه الحقبة وعدم الإشارة إلى ابن عميرة[4]، ومن هؤلاء شوقي ضيف في كتابه "الفن ومذاهبه في النثر"، حين تناسى -على حد قول المترجم- الحقبة الطويلة التي تفصل بين ابن زيدون ولسان الدين بن الخطيب[5]. ولعل هذا التغاضي هو ما دفعه إلى التمهيد لحياة المؤلف الأدبية بنظرة إجمالية حول تطور النثر الفني في الأندلس واتجاهاته ومراحله[6].

وخدمة لهذا التراث، جمع العلامة تلك الرسائل المتفرقة في المصادر المطبوعة والمخطوطة، وقدم وصفا تاما لنسخها وناسخيها وتاريخها وأوراقها، وتحديد أولها وآخرها[7]، وكشف من خلالها بعض أوهام الدارسين والمترجمين، ومنها نسبة كتاب "التنبيه على المغالطة والتمويه" إلى أبي المطرف أحمد بن عميرة، بسبب ضياع الورقة الأولى من هذا المخطوط، وعدم وجود نسخة أخرى منه، وسكوت المصادر والفهارس عن الإشارة إليه[8].

---

[1]- أبو المطرف أحمد بن عميرة، ابن شريفة: 185 – 190.

[2]- نفسه: 191.

[3]- نفسه: 184.

[4]- نفسه: 219-220.

[5]- نفسه: 220.

[6]- نفسه: 179-183.

[7]- إعتمد المحقق الطريقة نفسها في وصف كتاب "التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات" (أبو المطرف أحمد بن عميرة، محمد بن شريفة: 260 – التنبيهات، ابن عميرة: 14).

[8]- أبو المطرف أحمد بن عميرة، محمد بن شريفة: 269.

ومن الأوهام التي رد عليها، ما وقع فيه المستشرق درمبورغ (H.Derembourg) في كتابه "les manuscrits arabes de l'Escurial p: 182"، حين اعتقد أن كتاب "التنبيه" جاء للرد على أبي المطرف، وقد كشف خطأه محددا سبب وقوعه فيه[1].

وخلال إنجازه لهذا العمل المضني، جمع آثار ابن عميرة وعرف بها ووثقها، ثم قطع وعدا على نفسه بنشر أعماله كاملة وإخراجها محققة، وقد وفى بالعهد، وأبدع موسوعة جديدة: "الأعمال الكاملة لأبي المطرف أحمد بن عميرة"، ومعها لم يعد فن الترجمة عنده يقتصر على التعريف بالشخصيات وإحصاء عناوين مؤلفاتها... بل انفتح بها على مجال أوسع وحملها مسؤوليات أثقل لخدمة مشروع أكبر: نشر الأعمال الكاملة للمترجم لهم لتحتوي فنونا تسهم في صناعة الترجمة، كفن التاريخ وفن التحقيق وفن قراءة التراث...

هكذا كان صنيعه مع إصداره الجديد، ومن خلاله ارتقى بهذا الفن إلى الموسوعية في صناعة التراجم، ووهبه خصائص جديدة أشمل، خصائص غير مسبوقة في عصرنا الحديث، لتؤدي ترجمته الأولى: "أبو المطرف أحمد بن عميرة، حياته وآثاره" - على حجمها وأهميتها- دور التقديم والدراسة لمجموع النصوص المحققة.

وخلال التعريف بالمؤلفات، لم يغفل العلامة التحقيق في تاريخ التأليف، إذ تفقد تاريخ تأليف ابن عميرة لكتاب في التاريخ عنوانه "تأليف في كائنة مَيُورْقَة وتغلب العدو عليها"، ورجّح العلامة أن ابن عميرة ألفه إثر المصيبة التي ألمت بالمسلمين في الأندلس جراء سقوط جزيرة ميورقة، لأنه يجهل تاريخ تأليفه بالضبط. وقد وقع اضطراب في تسمية هذا الكتاب بين نسخ كتاب الإحاطة لابن الخطيب، فبعضها يُجمع على عنوان "تأليف في كائنة المرية"، وبعضها الآخر يتفق مع مصادر أخرى - نحو "الذيل والتكملة"- على عنوان "تأليف في كائنة ميورقة"[2]، ولم يشك المترجم في أن العنوان الأول وقع نتيجة خطأ أو سهو من الناسخ، واعتمده عدد من المترجمين المتأخرين، أمثال

[1]- أبو المطرف أحمد بن عميرة، محمد بن شريفة:271.

[2]- نفسه: 287.

العباس بن ابراهيم وخير الدين الزركلي في كتاب "الأعلام"، ورضا كحالة في "معجم المؤلفين"[1] ، وقد أيد رأيه بدلائل من كتب التراجم، وقدم وصفا دقيقا لهذا الكتاب ولمادته التاريخية ومنهجه في التأليف[2]، كما اعتنى عناية خاصة بالتعريف بباقي مؤلفاته المفقودة آنذاك، ومنها كتاب في الدين: "تعقيب على كتاب المعالم للفخر الرازي"[3]، وكتاب آخر في التاريخ: "اقتضاب من تاريخ المريدين" كما سماه ابن عبد الملك في "الذيل والتكملة" وابن الخطيب في "الإحاطة"[4]، وهو اختصار لكتاب تاريخ ثورة المريدين لمؤلفه ابن صاحب الصلاة (ت 577هـ)؛ وكان في تناوله لهذه الآثار النثرية والشعرية، يودعها إلماعات بحكايات ومسائل علمية، ويقويها بالإشارة إلى التواريخ، لتشهد على اتساع محفوظه.

إن وقوع مثل تلك الأخطاء في دراسة التراث المغربي الأندلسي، جعل المحققين الغيورين عليه يواجهونها بالتصويب والتصحيح، ومن مظاهر هذا الخلط ما كشف عنه محمد الكتاني، في عرضه لآثار ابن الخطيب، من خلط "وقع للدكتور محمد كمال شبانة (تراث الإنسانية مج 4- 295) والمستشرق بروكلمان (تاريخ الأدب العربي 2- 263)"[5]، بين المترجم له ومن لقب بلقبه من العلماء غيره؛ ولحل هذا الخلط خص مقدمته لإقامة بيبليوغرافية موثقة توثيقا تاما لآثار ابن الخطيب، محددا المنسوب إليه بدليل أو بغير دليل، محيلا على مظانها، وغرضه من ذلك تقديم صورة واضحة للقارئ عما تركه ابن الخطيب من تراث ضخم للمكتبة العربية، وهذا نفسه ما حمل جل المترجمين على بناء بيبليوغرافيات مفصلة لتآليف مترجميهم وتوثيقها توثيقا تاما، نحو صنيع ابن تاويت الطنجي مع آثار القاضي عياض[6]، وصنيع أحمد الشرقاوي إقبال ومحمد حجي مع آثار

---

[1]- أبو المطرف أحمد بن عميرة، محمد بن شريفة: 287.

[2]- نفسه: 288 -289.

[3]- نفسه: 297.

[4]- نفسه: 293.

[5]- روضة التعريف، ابن الخطيب: 25.

[6]- ترتيب المدارك، القاضي عياض ج1: كا -كز.

الحسن اليوسي[1]، وتحقيق رضوان الداية في آثار ابن أبي الخصال[2]، وإن كان توثيقه لآثار ابن الأحمر متفاوتا[3]، وكان جل تلك الببليوغرافيات قائما على التوثيق، استند أصحابها في بنائها عموما إلى كتب التراجم والأدب، وإلى النقد الداخلي للنصوص المكتشفة.

ومن عجيب الصدف أن منّ الله على العلامة بنشريفة بكشفين فريدين كانا في طي العدم لأبي الحسين ابن فُرْكون، أولهما ديوانه الشعري الذي ظفر به بعدما كان مفقودا وليس له ذكر في أي مصدر من المصادر الموجودة حتى الآن[4]؛ وثانيهما مجموعه الشعري الكبير المسمى "مظهر النور"، الذي عدت عليه عوادي الزمن، ولم يصل منه إلا السفر الثاني، حسب تقدير المترجم، وقد نظر في قصة هذا الكتاب الذي لا يعرف عدد أسفاره التي كانت بيد السعديين، ولا يعرف ماذا صنع الله به وبغيره بعد الفتن الناشئة في أواخر العهد السعدي[5]، ولعلها حسب تخمينه وتعليلاته وحسب الممكن والمعقول عشرة أسفار، يقول: "وإذا عرفنا أن هذا السفر يشتمل على الأمداح التي قيلت عام 811هـ، وأن الممدوح ظل في الملك عشرة أعوام وذلك من عام 810 إلى 820هـ، فلربما أمكننا القول بأن المجموع كان يتألف من عشرة أسفار، لكل عام سفر خاص به، وهي تجزئة ممكنة ومعقولة"[6].

وقد افترض المترجم وجود رسائل ديوانية في الأغراض السلطانية منسوبة إلى **ابن فركون** بصفته كاتب سر السلطان، ثم قدر ضياعها فيما ضاع من آثار الحقبة الغرناطية الأخيرة[7].

ومن الآثار المنسية التي عزم على جمعها والتعريف بها، مؤلفات **ابن حريق البلنسي**، اعتبر ضياعها من الخسران المبين، ومنها ديوانه الضخم المفقود الآن، ويقدر

---

[1]- المحاضرات، اليوسي، ج1، م- ر .

[2]- رسائل ابن أبي الخصال: 13-16.

[3]- أعلام المغرب والأندلس، رضوان الداية: 9.

[4]- ديوان ابن فركون: 8.

[5]- مظهر النور، جمع ابن فركون: 6.

[6]- نفسه: 5.

[7]- نفسه: 8.

العلامة أنه يشتمل على الشيء الكثير من الشواهد الغزلية والخمرية والمدحية والأراجيز، حاول جمع ما تيسر له منه لنشره، يقول: "ومما نأسف له اليوم ضياع هذا الديوان الكبير... ولم يصل إلينا مما كان يشتمل عليه من شعر كثير إلا نزر يسير، جمعنا ما تيسر لنا منه، وسننشره في القسم الثاني من هذا الكتاب"[1]، واعتمادا على ما جمعه من أشعار متفرقة في المصادر، حقق في أغراضه الشعرية وفي تواريخ نظمها ومناسبتها؛ وفي حالة عجزه عن تحديد التأريخ بالضبط، يقربنا من مرحلته، وينوع من الأدلة المحيلة، على انتماء مجمل أشعاره إلى مرحلة الشباب[2]، ومنها مدائحه التي كان يحبرها في الأعياد[3] اعتمادا على أسلوبه ولهجة قصائده[4] وأسماء ممدوحيه؛ وديوانه – حسب تقدير المترجم- يشتمل على الشيء الكثير من هذه الشواهد.

ومن آثاره المفقودة "أرجوزة عارض بها أرجوزة ابن سيدة في ما اسمك يا أخا العرب"[5]، عرف بها المترجم وبقيمتها من خلال نبذ متفرقة في المصادر الأدبية، واعتبرها ثالث أرجوزة في هذا اللون اللغوي الأدبي[6]، أما معشراته الغزلية فقد انفرد ابن عبد الملك المراكشي بذكرها ونسبتها إلى ابن حريق[7]، واضطر المترجم إلى التحقيق في هذه النسبة وإلى كشف بعض الأوهام، منها الوهم الذي وقع فيه ياقوت الحموي حين نسب بيتين شعريين إلى ابن حريق (الطويل)[8]:

بَلَنْسيةٌ بِيني عَن القَلْبِ سَلْوَة فإنّكِ أرضٌ لا أحِنُّ لِزَهْرِكِ
وكَيفَ يُحِبّ المَرءُ داراً تَقَسَّمَتْ على صَارمَيٌ جوع وفِتْنَةِ مُشْرِكِ

[1]- ابن حريق البلنسي، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة: 73.
[2]- نفسه: 23- 37.
[3]- نفسه: 24.
[4]- نفسه: 29.
[5]- نفسه: 76.
[6]- نفسه: 81.
[7]- نفسه: 84.
[8]- نفسه: 26.

والصواب، عند المحقق، أن "البيتين للكاتب أبي عبد الله بن عياش وأن ابن حريق رد عليه بالأبيات قبلها"[1].

وقد أثاره وضع تلك الآثار المغمورة، ودعاه تشتت أجزائها إلى تخصيص فصول كاملة للم شتاتها وضبطها وتوثيقها، نحو صنيعه مع ابن مغاور الشاطبي، وابن حريق البلنسي وابن لبال الشريشي، فقد عبر عن أساه لوضع آثار ابن لبال، فمخاطباته الأدبية ورسائله الإخوانية لم يصل شيء منها، وشعره بقيت منه بعض القصائد والمقطعات المتفرقة في مصادر مختلفة[2]، فعمل على جمعها وتحقيقها ودراسة خصائصها واستخراج أغراضها ومناسباتها وضبطها بالشكل، وتوثيقها توثيقا تاما[3].

ومن آثاره المفقودة، "شرح على مقامات الحريري"، وهي من الآثار التي كتبت لها الشهرة بفضل نقل بعض الشواهد والحكايات من قبل تلاميذ ابن لبال، وبفضل جمعها من قبل المترجم وتحليل مضامينها وتوثيق مصادر ورودها ونقدها، ومن حسن الحظ وعجيب الصدفة أن تصل رسالته "طرفة الظريف في أهل الجزيرة وطريف" إلى يدي العلامة بنشريفة، ولو لم يسمها ابن عبد الملك، لما اهتدى إلى عنوانها حين عثر على نسختها ضمن مجموع مخطوط بالخزانة العامة بالرباط مختلطة مع أوراق كتب أخرى[4].

أما آثار **ابن مغاور الشاطبي**، فقد اعتمد في ضبطها على رسائله التي وردت في "العطاء الجزيل" للبلوي وعلى المجموع الأدبي "نَوْر الكمائم" الذي أنجزه بفضل الصلة بينه وبين الأمير أبي الربيع، واعتبره الدليل الوحيد لمعرفة ولاية هذا الأمير، والشاهد الأساس لتحديد آثار المؤلف المفقودة، ومنها: سفر "حلى الأجياد" الذي ألفه لوالي مرسية "عبد الرحمن ابن الخليفة يوسف بن عبد المومن"[5]، ولا يعرف عنه المترجم شيئا

---

[1]- ابن حريق البلنسي، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة: 26.

[2]- أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، ابن شريفة: 180 - ابن لبال الشريشي، ابن شريفة: 67.

[3]- أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، 180-189- ابن لبال الشريشي: 79-91.

[4]- ابن لبال الشريشي، محمد بن شريفة: 70- 75.

[5]- ابن مغاور الشاطبي، ابن شريفة: 77.

إلا ما وعد به هو نفسه في آخر "نور الكمائم" بأنه "سيتبعه ذيلا يكون أكثر منه نبلا"[1]. ومن بقايا آثاره السعدية ما تناثر منها في "زاد المسافر" وفي "العطاء الجزيل" من مادة شعرية ونثرية لا توجد في مجموعه، وقد عمل المترجم على جمعها ولم شتاتها وضبطها بالشكل، ليكشف عن سماتها الأسلوبية وخصائصها الإبداعية، ويحلل مضامينها ومناسباتها.

وباجتهاداته تلك، عرف بعدد مهم من مصادر التراث المفقود، وكشف عن عناوين أهملتها كتب التراجم، وحاول تقديم صورة عنها، اعتمادا على النقد الداخلي للمادة المحققة[2]، أو على جمع ما تناثر منها داخل المصادر.

وتعتبر **"حياة التأليف"** من الأهداف المهمة في بناء التراجم عند العلامة محمد بنشريفة، لذلك يضمنها عناوينه[3]. وكان ينقب عنها تنقيبا، ويقدم تعريفا شافيا ودراسة للمخطوط منها والمطبوع والمحقق، بل وغالبا ما يصوب أخطاء المحقق منها أو يَعِد بإخراج المخطوط.

ففي تعريفه بمؤلفات **ابن عبد ربه الحفيد**، حقق في نسبتها إلى صاحبها، وصوب خطأ وقع فيه ابن سعيد في "الغصون اليانعة" حين نسب كتاب "اختصار الأغاني" إلى أبي الربيع[4]. وبعد التحقيق في التسمية وعرض الأدلة يقول: "ولهذا كله فإننا نعتبر نسبة الأغاني إلى السيد أبي الربيع نسبة فيها ما فيها، ونرجح أن يكون "الاختصار" من عمل كاتبه المختص به ابن عبد ربه أو أنه اشترك فيه على الأقل"[5].

أما كتابه "شرح المختار من شعر أبي الطيب المتنبي"، فقد حقق في نسبته إلى ابن عبد ربه وأثبتها اعتمادا على النقد الداخلي للشرح نفسه. وقد منّ الله على هذا الشرح

---

[1]- ابن مغاور الشاطبي، ابن شريفة: 76.

[2]- ملعبة الكفيف، الزرهوني: 12-13.

[3]- ابن خمير السبتي وآثاره - الفقيه الكانوني ومؤلفاته - أديب الأندلس أبو بحر التجيبي: عمر قصير وعطاء غزير .

[4]- ابن عبد ربه الحفيد: فصول من سيرة منسية، محمد بن شريفة: 57.

[5]- نفسه: 59.

ليصدر محققا على يدي العلامة محمد بنشريفة سنة 2011م، لتصبح سيرة ابن عبد ربه مقدمة بين يدي تحقيق "شرح المختار"[1].

وقد افتتح هذا التحقيق بتقديم عرّف خلاله بالشراح الأندلسيين لشعر المتنبي وبأقدم شرح وأشهر شارح له، ناقلا نص الترجمة بتمامه[2] كما أثبته في القسم الأول من كتاب "ابن عبد ربه الحفيد فصول من سيرة منسية" وعرف بآثاره مختصرا ما جاء في هذا القسم[3]، ليكون قريبا من النصوص المحققة، ومحيلا عليه. وبإخراجه لهذا الشرح، حقق جزءا من تلك الرغبة العارمة لديه: الإصرار على تحقيق مؤلفات مترجميه وإثبات عناية الأندلسيين والمغاربة بالتراث المشرقي والتعريف بمؤلفيه ومؤلفاته، وبذلك صنع سيرة علم أندلسي طواه الزمن، فعرف بآثاره ثم حقق ما وصل منها، وبهذا الإنجاز يكون قد أضاف خطوة جديدة إلى لائحة الأبحاث العلمية حول شخصية المتنبي إسوة بشيخه وصديقه المرحوم محمود محمد شاكر الذي ألف أول كتاب عن المتنبي في العصر الحديث، وخصه بإهداء نصه:

"إلى أخي د. محمد بنشريفة: هدية محبة دائمة
محمود محمد شاكر الجمعة 6 رجب سنة 1410
2 فبراير سنة 1990"[4].

ولقيمة هذا العمل المحقق الجديد: "شرح المختار من شعر أبي الطيب المتنبي" وصلة موضوعه بشيخ المحققين محمود محمد شاكر، خصه هو الآخر بإهداء: "إلى روح الشيخ محمود محمد شاكر، مؤلف أول كتاب عن المتنبي في العصر الحديث[5].

---

[1]- شرح المختار من شعر أبي الطيب المتنبي، لابن عبد ربه الحفيد (ت 602هـ) النصف الثاني، قام باخراجه والتقديم له الدكتور محمد بنشريفة، ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 2011).

[2]- ابن عبد ربه الحفيد، محمد بن شريفة 25- 54- شرح المختار من شعر أبي الطيب المتنبي، ابن عبد ربه الحفيد: 13-41.

[3]- ابن عبد ربه الحفيد: 57- 213 شرح المختار 45-87.

[4]- شرح المختار: 5.

[5]- شرح المختار ص: 5 .

أما كتاب "الاستبصار في عجائب الأمصار"، فقد عرف به المترجم في مقال سابق: "ابن عبد ربه الحفيد، هل هو مؤلف كتاب الاستبصار؟"[1]، وحقق في نسبته لابن عبد ربه الحفيد قبل أن يفرد له مبحثا خاصا في بناء سيرته[2]، وخلالها عرف به وصحح الأخطاء التي وقع فيها محققه الدكتور سعيد زغلول عبد الحميد حين نسبه إلى كاتب مراكشي من كتاب القرن الهجري السادس[3].

وفي إطار تأكيد عناية أهل الأندلس والمغرب بالتراث العربي الأصيل وشعرائه، عمل مترجمنا على تحقيق "شروح أندلسية غير معروفة لدى الدارسين لسقط الزند"، وخصص تقديمه للإشارة إلى عناية أهل الأندلس والمغرب بتراث أبي العلاء المعري بدءا من تلاميذه الذين أدخلوا شعره إلى الأندلس[4]؛ وقدم لائحة بأسماء الأندلسيين الذين لقوا شيخ المعرة، فعرف بهم وبمصادر تراجمهم[5].

إن قيمة المؤلفات وأهميتها التاريخية والأدبية هي الدافع الأول – عند العلامة– لبناء سيرة صاحبها، نحو سيرة ابن خمير السبتي والتجيبي والباجي والنفزي والكانوني وغيرهم، فأما ابن خمير السبتي فقد عرف المترجم بمؤلفاته التي وصلت إلينا، وتشهد لصاحبها بالتفقه في أصول الدين وبنسخها المخطوطة، وتاريخ نسخها وناسخيها وخطها...[6].

ويبدو أن الهدف من بنائه لترجمة **أديب الأندلس أبي بحر التجيبي** هو وصف عطائه الغزير بالرغم من عمره القصير[7]، لذلك خص قسما لحياته، وقسما ثانيا لجميع ما

---

[1]– ابن عبد ربه الحفيد، هل هو مؤلف كتاب الاستبصار، محمد بن شريفة (مجلة الاكاديمية عدد 7، دجنبر 1990): 75–107.

[2]– ابن عبد ربه الحفيد، فصول من سيرة منسية، محمد بن شريفة 158– 213.

[3]– نفسه: 165.

[4]– شروح أندلسية غير معروفة لـ"سقط الزند"، قام بإخراجها والتقديم لها، الدكتور محمد بنشريفة ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 2011): 11.

[5]– نفسه: 11.

[6]– ابن خمير السبتي، ابن شريفة: 19– 44.

[7]– أديب الأندلس أبو بحر التجيبي عمر قصير وعطاء غزير، محمد بن شريفة ط 1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1999): محمد بن شريفة: 561–598.

بقي من شعره من مصادر مخطوطة، وثالثا لجمع ما بقي من نثره[1]، وفصلا رابعا لنشر ما وصل من تأليفه: "زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر"، وهو عبارة عن جملة من أشعار المولدين ممن أدركهم بعمره[2]، وبذلك جمع آثاره لإثبات قيمتها الأدبية والتاريخية الكبيرة المتمثلة في تقييم مادة كانت جديدة مجهولة لدارسي عصر الموحدين.

وفي بنائه لسيرة **أبي مروان الباجي**، ركز على التعريف برحلته، واعتبرها -من حيث الترتيب التاريخي- ثالث رحلة أندلسية مدونة بعد رحلة أبي بكر ابن العربي وأبي الحسين ابن جبير، يقول: "والتقييد الذي وضع لهذه الرحلة لم يصل إلينا، وكل ما لدينا الآن هو تلخيص لهذا التقييد ورد في كتاب الذيل والتكملة"[3]. وقد عمل أستاذنا على التعريف بها وبناء تفاصيلها ومراحلها، كما عرف بتصانيف عالم التصوف **ابن عبيد يس النفزي**، المعروف منها والضائع، فقرب لنا صورة شعره مثبتا بعض قصائده في التصوف[4].

لقد غاص العلامة محمد بنشريفة في التراث منقبا عن جواهره، وعارضا لذرره، إلى أن أخرج دراسات حول مروياته، وأقام بيبليوغرافيات لآثار أعلامه، أحصى منها الموجود والمفقود، وهو ينشد من وراء ذلك غايات كبرى في طليعتها مشاركة المحققين والمترجمين المغاربة والمشارقة في التعريف بالجزء المستور من مصادر التراث المغربي الأندلسي، وتقديم صورة عنها. وما يميز تراجمه بجانب تيسيرها لمادة جديدة، احتواؤها في حالة التفصيل فيها، على التحقيق في الصفات الفنية للشخصيات، والنفاذ إلى مذهب الشاعر في النظم وطريقة المؤلف في التأليف، وآراء النقاد والدارسين فيه، من خلال دراسة ما بقي من النصوص، واستخراج خصائصها الفنية، والحكم على قيمتها

---

[1]- نثره عبارة عن رسائله في وصف رحلاته ورسائله الديوانية والإخوانية.

[2]- أديب الأندلس أبو بحر التجيبي، محمد بن شريفة: 277 وما بعدها.

[3]- أبو مروان الباجي الإشبيلي ورحلته إلى المشرق، محمد بن شريفة (كتاب دعوة الحق، ع 5، المحمدية، مطبعة فضالة، 1999م): 52.

[4]- من أعلام التصوف بالأندلس، ابن عبيد يس النفزي: 235.

الإبداعية، وعدم التسليم بأخبارها إلا بعد اختبارها. وهذا وجه آخر من وجوه إبداعاته في تناوله للتراث.

3- حياة المشيخة ونشر العلم:

اِحتفل العلامة محمد بنشريفة بأمر قلما احتفل به الدارسون المقبلون على هذه الصناعة، ويتعلق الأمر بتعداد تلاميذ مترجميه، والتوسع في التعريف بهم وبثقافتهم والتحقيق في تراجمهم، لقد جعل الجلوس إلى طلبة العلم والعناية بهم واجبا تعليميا، واعتبره من أجَلّ ما يعد للشيوخ في سجلاتهم[1]، لذلك عد إحصاء التلاميذ شرطا في بناء الترجمة والحكم عليها، وفرصة أخرى للتعريف بتراث المغرب والأندلس في فتراته الغامضة والتحقيق في أعلامه المغمورة؛ وقد سلك سبيل بعض شيوخه، وغايته من ذلك معرفة أهل الطلب والآداب، والمتصدرين للتدريس وتكوين الأطر العلمية وفروعها، وتمييز من تفرغ للتدريس وكثر تلامذته وحدثت عنه الجلة واشتهرت كتبه.

وممن غلت روايتهم، **ابن عبد الملك المراكشي**، فبالرغم من أعباء وظائفه ونشاطه في التحديث، أولى عناية خاصة بواجب التعليم ولم ينس نصيبه من التحديث[2]؛ وبالرغم من سكوت كتب التراجم، أحصى العلامة تلاميذ ابن عبد الملك، وحقق في الثغرات والملابسات التي واجهته يقول: "لو عني الذين ترجموا لابن عبد الملك - وهم ابن الزبير، والنباهي، وابن فرحون...- لأمكن معرفة جانب مهم في حياته... ولكنهم لم يذكروا شيئا على الإطلاق ولم يعدوا ولو واحدا من تلاميذه"[3]، وهذا الغياب دفعه إلى طرح السؤال التالي: "فهل معنى ذلك أن الرجل شغل بالتأليف أو التوظيف عن واجب التعليم والجلوس إلى طلبة العلم والعناية بهم"[4]؛ وخلال تحقيقه في الأمر، شرح ملابسات تعرف لأول مرة في البيئة الاجتماعية والعلمية للمؤلف، وسد بعض الفراغات

---

[1]- الذيل والتكملة، المراكشي، س 8: 55.

[2]- نفسه: 55.

[3]- نفسه: 55.

[4]- نفسه: 55.

التي تركها المترجمون، اعتمادا على أسفار "الذيل والتكملة"، إلى أن حقق في لائحة التلاميذ ووثق تاريخ لقائهم به ومكان الأخذ عنه[1]، فإذا تعذر عليه ذلك يعمد إلى الترجيح، فحين أشار المراكشي إلى تلميذه "أبي عبد الله محمد بن يعيش قاطن مدينة سلا"، ولم ينص على مكان لقائه به، رجح المحقق مدينة سلا، ولتعليل ترجيحه أثبت أولا صلته بها لزيارته لها ومعرفته بها وبأهلها معرفة جيدة[2]، ثم أكد ذلك بإشارات منها أن ابن يعيش يقطن مدينة سلا حيث كان له حانوت بها للتجارة، وأن الحاج النميري (ت 745هـ) في مذكراته صرح بلقائه بها سنة 745هـ[3].

وفي إحصائه لتلاميذ مترجميه والتعريف بهم وبثقافتهم وصلاتهم، يعرض برامج المشايخ ومشايخ المشايخ[4]، وفي ذلك تحقيق لسلسلة مجيدة ومترابطة من أعلام التراث المغربي الأندلسي، وكان في تعداده يفترض دائما كثرة عددهم للإدلاء بمشاركته في نشر العلم، نحو صنيعه مع تلاميذ ابن عبد الملك[5]، وتلاميذ أبي يحي الزجالي[6]، وتلاميذ **الكفيف الماجري** الذين قال عنهم: "ولا شك أن الآخذين عن الماجري هم أكثر ممن ذكرنا، إذ أنه قضى سنوات طويلة في آسفي منصرفا إلى التدريس في الجامع الأعظم تطوعا واحتسابا إلى أن وافته المنية عن سن عالية حوالي سنة 668هـ"[7]؛ وهذه سمة فنية من سمات الدفاع عن شخصياته؛ وإذا قل عددهم يجتهد في تعليل أسباب ذلك، نحو قوله عن تلاميذ الماجري: "ونحن نظن أن وجوده في آسفي كان سببا في قلة عدد تلاميذه والراوين عنه، إذ لم يكن يقصده إلا العارفون بقيمته، ومنهم المؤرخ الموسوعي ابن عبد

---

[1]- في مقدمة تلامذته ابنه أبو عبد الله محمد الذي تلقى تنشئة علمية وأدبية من أبيه ومن عدد من الشيوخ أحصاهم المترجم وعرف بهم اعتمادا على كتب التراجم، وعلى رأسها أسفار الذيل والتكملة (الذيل والتكملة، المراكشي، س8: 57).

[2]- نفسه: 58.

[3]- نفسه: 57.

[4]- نفسه: 59.

[5]- نفسه: 60.

[6]- أمثال العوام في الأندلس، الزجالي، ق 1: 25.

[7]- أول تأليف مغربي في المنطق، ابن شريفة: 33.

الملك المراكشي، الذي انتفع كثيرا بالماجري وتردد عليه عدة مرات في آسفي"[1]، وكان دائم التنويه بهم وبفضلهم في نشر العلم.

لقد كان العلامة في تحديده لدور مترجميه في نشر العلم والتعريف بالتلاميذ ملتزما بتحديد نوع العلاقة التي تربط الشيخ بكل تلميذ من تلامذته[2]، خصوصا النجباء منهم، وإن لم يلتزم بالتحقيق في سنوات وفياتهم؛ وللزيادة في الضبط والتوثيق وتوسيع مدارك القارئ يخص بعض تراجمه بإقامة بيبليوغرافيات موثقة بمراجع تلاميذ المؤلف[3]، وكان في استخراجه لأسماء التلاميذ، غالبا ما يتتبع نصوص المؤلف، ويستقرئ إشاراتها الدالة على التلمذة ونشر العلم، مثل: قرأ عليه، روى عنه، رواية فلان، أخذ عنه، أجاز له، لقيه وسمع عليه، شيخي... وكانت مثل تلك الإشارات تستوقفه أحيانا على تلاميذ مجهولي الاسم، فيسعى إلى الكشف عنهم[4].

وقد لقي هذا الجانب من الترجمة اهتماما من قبل بعض المحققين أمثال ابن تاويت الطنجي، الذي جعل من مقدمة تحقيقه مجالا فنيا لصناعة البيبليوغرافيات[5]، وهذا شبيه بعمل رضوان الداية في عرضه لتلاميذ مترجميه، والإحالة على مصادر ترجمتهم موثقة[6]، وإن لم يلتزم بذلك في كل تحقيقاته[7].

والملاحظ في الأمر أن التدقيق في دور المترجم له في نشر العلم، وفي تلامذته، يقتصر على بعض الشخصيات دون الكل، وغالبا ما يقتصر على شخصية المؤلف دون الشاعر، ولعل سبب ذلك ما لمح إليه عبد الله كنون في قوله: "فمما لاشك فيه أن

---

[1]- أول تألف مغربي في المنطق، ابن شريفة:33.

[2]- أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، ابن شريفة، 177-178 - ابن مغاور الشاطبي، تحقيق ودراسة محمد بن شريفة: 18.

[3]- الذيل والتكملة، ابن عبد الملك المراكشي، ج 8: 149.

[4]- نفسه: 59-60.

[5]- ترتيب المدارك، القاضي عياض، ج 1: كا – كز.

[6]- أعلام المغرب والأندلس، رضوان الداية:8-9.

[7]- رسائل ابن أبي الخصال، تحقيق رضوان الداية:16.

التدريس يحول دون قضاء كثير من المآرب لاستغراقه من وقت المدرس أكثره، والأدب وخصوصا الشعر يقتضي الفراغ والانقطاع بالكلية"[1]، وقد أيد موقفه هذا بشكاية ابن زاكور في إحدى قصائده، معتذرا عن عدم إجادته القول بتبلبل فكره لاشتغاله بالتدريس[2].

وبالرغم من ضياع تراجم معظم الراوين، إلا أن مترجمنا كان يجتهد في استخراج أسمائهم، والتحقيق في تاريخ اللقاء والأخذ ومكانه، لسد الفراغ الذي تركه المترجمون، اعتمادا على سند منهجي قائم على القراءة التنويرية للنصوص من أجل تراكم القرائن وتنوعها، وعلى ذاكرة حافظة لخفايا التراث وحاسة نقدية موجهة لهذا المحفوظ. وبهذا السند أنصف عددا كبيرا من الأسماء والعناوين والنصوص التي غمط حقها في مجال تاريخ الأدب، ودافع عن مساهمة الأعلام في بناء ركائز الحياة العلمية والأدبية، واعتبرهم من اللحمة والسدى لنسيج الأدب المغربي الأندلسي.

4- اِستنتاجات:

إن تتبع العلامة محمد بنشريفة لأعلام العصر ودواعي اختيارها ومنهج بنائها، عبر عن صحوة أفصحت عن نفسها بوضوح، ذلك لأن آثارهم أدت مهمتها في الكشف عن أسماء أخرى والتعريف بعدد كبير من الأعلام المغمورة المنزوية تحت لواء الشيخ والأصحاب والمعارف والأقارب والتلاميذ، وهي خطة ملحة لتفعيل المشاركة الإيجابية للعلامة في حفظ أعلام المغرب، وحصيلة من حصائل عكوفه الدؤوب على صناعة الأعلام المغمورة التي يأخذ بها نفسه.

وكثيرة هي الشخصيات التي حقق في حياتها الثقافية والأدبية والوظيفية، وفي دورها في نشر العلم، فامتزجت كل تلك الألوان في ذهنه، وكان لها أثرها في إقامته لتراجمه، وكان يلقي الضوء على كل حياة بالقدر الذي يتعلق بالمؤلف، ويتشوق إلى حصر

---

[1]- المنتخب من شعر ابن زاكور، عمل عبد الله كنون:15.

[2]- نفسه: 15.

المؤثرات التي تكيف الحياة الأدبية والوظيفية للمؤلف، وإلى تصوير هذه الحياة في تفاعلها مع مجتمعها.

ولتحقيق مآربه، جعل القراءة الاستكشافية والتنويرية مسلكه، وجعل التوثيق والضبط، والبحث عن القرائن وتقصي العموميات المرتبطة بكل شخصية عتاده، وأيضا مراجعة الأصول والتحقيق في صدق الشواهد، كما جعل الحدس والتعليل والتأويل ينزل من قلبه منزلا كريما، وكل ذلك يفتح أمامه أبواب الإبداع. فأما التوثيق فيعكس – في مجمله– الجانب الإحصائي القائم على تعداد شيوخ كل مؤلف وتعداد تلامذته ومعارفه، وتعداد مؤلفاتهم ومصادر تراجمهم، وتعداد عدد المرات التي ذكروا فيها في المتن المحقق؛ وأما النقد فيعكس تتبع الهنات وكشف الهفوات التي لم يعف منها المشهورون من الأعلام، رغبة منه في تقويم المعوج وإلغاء الشبهات القائمة حول التراث المغربي الأندلسي.

ولعل سيطرة هذا المشروع على فكره هو ما دعاه إلى تحبير الكثير من التفصيلات والتذييلات التي أخذ بها نفسه، ودافع عنها اقتداء بشخصيته المفضلة: ابن عبد الملك المراكشي. إنه لأجل ذلك، يكرس الكتابة – تأليفا كانت أو تحقيقا أو دراسة– لفن صناعة التراجم، اقتداء بعلماء العرب الذين جعلوا الشعور بالهوية والحفاظ عليها والدفاع عنها من بواعث كتابة التراجم[1].

إن اعتداد مترجمنا المغربي بإقامة التراجم وصناعتها، يجعلنا نستغرب غياب الترجمة في بعض تحقيقاته، فقد نشر ديوان أبي فراس الحمداني "حسب الرواية المغربية"[2]، ونشر شرح ديوان أبي فراس الحمداني لابن خالويه "حسب الرواية التونسية"[3]، فقدم لكل

[1]– كتابة التراجم في الغرب الإسلامي: بواعثها وأنماطها، محمد بنشريفة، في " الدرس الافتتاحي الرابع" بكلية الآداب، جامعة القاضي عياض، مراكش أكتوبر 2002م، ط1 (مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية 2003م):32.

[2]– ديوان أبي فراس الحمداني "حسب الرواية المغربية"، إعداد محمد بن شريفة (الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000م).

[3]– شرح ديوان أبي فراس الحمداني لابن خالويه "حسب الرواية التونسية"، إعداد محمد بن شريفة (الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000م).

نشرة بتقديم خال من التعريف بشخصية المؤلف، علل فيه هذا الغياب قائلا: "فإني لست مدعوا في هذا التقديم المتواضع إلى دراسة حياة أبي فراس وشعره، وإنما دعيت من الشاعر عبد العزيز سعود البابطين ...إلى إعداد طبعة جديدة من ديوان أبي فراس"[1]، فالعملان إذن تلبية لدعوة محددة لتحقيق هذه المشاركة في الدورة التكريمية لأبي فراس الحمداني، والتي تقيمها مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري. وعندما لم ينفع المحقق الاعتذار لأنه ليس من أهل المكتفين بالإعداد للنشر، اقترح إخراجهما لتنشرا بهذه المناسبة، باعتبارها أحسن "تحية تحيي بها هذه المؤسسة بلدان المغرب الكبير"[2]؛ وهذا الاختيار للمحقق، جمع بين إرضاء الهدف من الدعوة والاستجابة لها، وإرضاء طموحه الكبير الذي يتجاوز مجرد الإعداد للنشر إلى تأكيد مشاركة المغاربة في حفظ التراث العربي.

[1]– ديوان أبي فراس الحمداني "حسب الرواية المغربية، إعداد محمد بن شريفة: 16.

[2]– نفسه: 20.

خاتمة:

إن العناية بكتابة التراجم، لها مقامها الأول بين أصول النشر العلمي عند المحققين المغاربة، وعلى رأسهم العلامة محمد بنشريفة، لفضلها العظيم في استكمال التراث[1]، فقد وجدوا - كما قال العلامة عبد الله كنون- مادة معينة على البحث ووسيلة جديدة للمتاع والمباهاة[2]، وكان هدفهم التركيز على اكتشاف أدب المغرب والمساهمة في المشروع النقدي لتقويم التراث، والمشروع الوطني لتقديم صورة لتاريخ الأدب، من خلال العمل التركيبي للتراجم والسير، بعد التحقيق في الأسماء والأنساب والتواريخ، ورصد عصرهم وشيوخهم وتلامذتهم ومؤلفاتهم.

وقد طغت هذه الروح الوطنية على تراجم العلامة محمد بنشريفة، إلى أن أقر بأن أهل المغرب أولى من غيرهم بالنهوض بالتراث المغربي الأندلسي، لنفض غبار الزمن عن أعلامه. ولتحقيق التميز والأولوية، بنى نهجه في صناعة سيره على أمرين اثنين، الأول سيرة العلم، والثاني: تجميع آثاره وتحقيقها معتبرا مجهوداته في صناعتها ضرورة للقارئ المعاصر وضرورية في هذه الأيام التي ضعفت فيها الصلة بالتراث العربي القديم[3]، فهي جميعها تقدم مادة كانت مجهولة، ولها قيمة أدبية وتاريخية وفوائد علمية جديدة لدارسي عصر الموحدين، اعتبرها المترجم نوافذ مفتوحة على آفاق من هذا العصر الفسيح.

وبخلاف المستشرقين الذين اقتصدوا في التعريف بالمؤلف وعصره، انحاز العلامة محمد بنشريفة، ومن سلك مسلكه، في تخطيطه للترجمة، إلى ترقب الجزئيات -وإن كان

---

[1]- الترجمة في الغرب الإسلامي، أحمد حدادي، في ندوة "تحقيق التراث المغربي الأندلسي، حصيلة وآفاق":158.

[2]- المنتخب من شعر ابن زاكور، عمل عبد الله كنون: 7.

[3]- أديب الأندلس أبو بحر التجيبي، عمر قصير وعطاء غزير، محمد بن شريفة: 5.

الإيجاز طلبا متفقا عليه_ متمسكا بعرض محفوظه من نوادر التراث، لأن العبرة عنده هي "الترجمة الإخبارية" وتركيبها من مواد مبعثرة، لإعادة ترتيب الذاكرة المغربية، وإعادة إحياء سلسلة رجالاتها، عبر التحقيق في ترجمة المؤلفين والتعريف بشيوخهم وتلامذتهم ومعاصريهم وأسرهم، لإحيائها جميعها وتقديم معجم فني من أسماء الأعلام، مع ترابط تلك المكونات التي لا يقل أحدها أهمية عن الآخر.

ويبدو من خلال تجربة المغاربة، أن ظروف التراث المغربي الأندلسي وأعلامه أثّر في توجيه كتابة التراجم، فاختاروا الدراسة والنقد والتعليق لبناء الترجمة استجابة لحاجة هذا التراث إلى ذلك، وبذلك تعدت الترجمة وظيفتها المباشرة، لتصبح ممارسة علمية وبابا لتحصيل العلم، وصورة من صور الإبداع وبناء حقائق التراث، فأضحت بذلك مجالا معرفيا موجها للقراءة، مجالا منفتحا على فضاءات علمية وفنية متنوعة.

لقد وضع العلامة محمد بنشريفة بتراجمه مستوى جديدا في فن صناعة التراجم، وكان شرفة استعمل فيها وفرة المعرفة على تنوعها الموسوعي، ومنها المعرفة بالأسر المغربية وقبيلها وألسنتها، وكان ذلك عاملا مساعدا على قراءة الإشارات وتفكيك خيوطها وإعادة نسجها، ولهذه العملية علاقة بالمفهوم اللغوي للفظ "سيرة"[1]. أما المعرفة التاريخية فكان لها كبير الأثر على إقامته للتراجم، إيمانا منه بأن دراسة عصر المؤلف وشيوخه...لا تتم أبدا دون هذه المعرفة. وقد تطلبت منه "الصناعة" مساءلة التاريخ واعتباره أساسا لإحياء الذاكرة المسجلة، كما تطلبت منه تعزيز الدراسات الأندلسية التي قام بها شيوخه ومعاصروه، وجعلته يعتبر المغاربة – مثلما اعتبر نفسه– أكثر قدرة من غيرهم على ارتياد الميادين المتروكة ودراستها، وأقدر الناس على تذوق هذا الأدب وفهم خصوصياته.

ويعتبر التخمين والترجيح من العناصر التي أجازها العلماء المغاربة في بناء أعلام التراث المغربي الأندلسي، وغابت عن منهج المستشرقين، الذين اعتبروها ضربا من

[1]– سيَّر سيرة: أي أخرج أحاديث الأوائل وسير الكلام أشاعه، وثوب مسير، فيه خيوط تعمل من القز مثل السيور (لسان العرب، ابن منظور، ج 3: (مادة سير)).

المغامرة[1]. وبالرغم من اعتماده الترجيح والتخمين في بناء التراجم، إلا أنه يجتهد في خلق التواصل الإيجابي مع القارئ المهتم، بالاستشهاد والتعليق والنقد والإرشاد إلى المواقع المهمة في الآثار الأدبية لدفعه للمشاركة في البناء من خلال تمرير الأسئلة الانفتاحية. وكان في توثيقه يستكثر من الشواهد، ويستجلب الكثير من الحكايات.

ومن الجوانب المهمة والشاقة التي استأثرت باهتمامه، بناء لوائح لمصادر ترجمة المؤلفين وتوثيقها ودراستها، وهو جانب ملح وضروري عنده، لما له من دور في البناء، فقد آثرها بالدراسة والنقد، فقابل بعضها ببعض، وعارض بين معلوماتها، وكشف الخلط الذي وقع فيها في كتب التراجم، وعمل على تقييمها وتقويمها وتقديم أوجه الخلاف الذي دار بينها، وتحديد أقربها الى الثقة، ويعتبر بذلك من المهتمين بتحديد مصدر المصدر في الترجمة، وحصر السابق منها من اللاحق، أثمر هذا الاهتمام صناعة لوائح مهمة من حيث الكم ومن حيث الكيف.

ثم إن الإصرار على تقديم الجديد، والتنقيب عن الوجوه الجديدة المبتكرة للترجمة، يجعلنا نتساءل: كيف سيحقق المترجم صورة جديدة لشخصية معلومة ومدروسة؟

للإجابة عن هذا السؤال، طرحت النخبة من العلماء المغاربة سؤالا مواجها: ما هو الجديد الذي اختص به النص المحقق المكتشف لتقديم شخصية المؤلف؟ على اعتبار حتمية العلاقة بين المؤلِّف ومؤلفه، وهي علاقة إما موضحة أو مكملة أو شارحة أو كاشفة لجانب سري جديد يستتر في المؤلف.

لقد كان شيخ المحققين المغاربة ابن تاويت الطنجي سباقا للبحث عن الوجه الجديد في شخصية أعلامه، ومنها ترجمة عبد الرحمن بن خلدون، فبعد مقارنته بين ما أثبته ابن خلدون نفسه في كتابه "التعريف بابن خلدون" وما كتبه عنه معاصروه ومن تبعهم، وجد صورتين مختلفتين، فتولدت لديه الرغبة في بعث أسباب الموافقة ودواعي الخلاف[2]،

[1]- الدراسة الأدبية في المغرب، أحمد الشايب: 270.

[2]- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عرضه بأصوله وعلق حواشيه محمد بن تاويت الطنجي: هـ.

لمعرفة أقرب صور ابن خلدون إلى الحقيقة، مركزا على الجانب الذاتي من آثاره: جانب الترجمة الذاتية، الذي اعتبره المفتاح الأول واللون الأوكد للتعرف عليه.

وقد كان للشيخ كبير الأثر على تلميذه العلامة محمد بنشريفة، حين قدم وجها جديدا لشخصية القاضي عياض في مقدمة تحقيقه لكتاب "مذاهب الحكام في نوازل الأحكام"؛ ولتمييزها عما قدم سابقا من تعريف بمكانته وعرض لمؤلفاته، خصها بالحديث عن شخصية المؤلف الفقهية، باعتبارها جانبا مهما من حياته، يحتاج إلى توثيق ودراسة، واختار هذا الوجه لعلاقته التوثيقية بموضوع المتن المحقق، وباعتباره شاهدا على القدرة الخفية للفقيه، وعلى نبوغ المغاربة المبكر فيه، وهذا وجه من وجوه التغلغل في أعماق الشخصيات المغربية والأندلسية، التي تداركتها أيادي نخبة كريمة من المترجمين الحاملين "للمشروع الوطني".

إن تمسك المترجمين المغاربة بالتعريف بأعلامهم، دعاهم إلى التحقيق في جوانب جديدة من الترجمة، بربط الصلة بين الشخصية وأثر من آثارها، وهذا وجه مهم من وجوه إغناء التراجم، فقد تُرجم للسان الدين بن الخطيب في أكثر من مرة، وطريقة تصويره عند محمد الكتاني الذي ركز على الشخصية الأدبية، واعتبرها أهم الجوانب بلا منازع[1]، تختلف عن طريقة محمد مفتاح الذي اعتمد في بناء شخصيته على ديوانه الشعري –وبإشراف من العلامة محمد بنشريفة– واعتبره "ترجمة صادقة لصاحبه، في أفراحه وأحزانه"[2].

وختاما، وجب القول إن جل تراجم العلامة محمد بنشريفة تعد وثيقة حية، يلجأ إليها المؤرخ والأديب والجغرافي والمحقق والناقد وعالم الآثار، كل من زاويته. لقد جعل منها فنا لإحياء التراث ورسم خرائط المستقبل، بل فنا مهما لبناء منهج علمي لكتابة نوع خاص من التراجم، والكتابة بهذا المعنى - وأقول كما قال هو نفسه عن الكتابة عند

[1]– روضة التعريف بالحب الشريف، ابن الخطيب، تحقيق محمد الكتاني.

[2]– ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني، صنعه وحققه وقدم له محمد مفتاح، ط1 (البيضاء، دار الثقافة والنشر والتوزيع، 1989م) وهو عمل محقق للحصول على رسالة دبلوم الدراسات العليا عام 1972م تحت إشراف الدكتور محمد بنشريفة.

أستاذه أبي بكر القادري حول التعريف بالأعلام- شكل من أشكال الجهاد[1]. ويمكن اختزال نتيجة هذه الكتابة الجهادية في الخطاطة التالية:

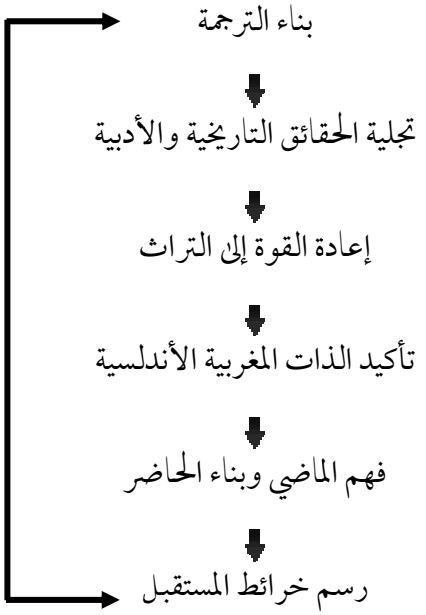

نأمل أن نكون قد وفينا هذا الجانب من الفن عند العلامة محمد بنشريفة حقه من العناية، وأن يكون حديثنا فيه مقاربا للصواب، ينبئ عن تقدير لمكانته وأدبه، ويضيء مكامن الإبداع في شخصية الفنان الصانع، ويعكس صورة تقريبية لتحفه الفنية، وبالتالي يقدم صورة لمستوى جديد في فن صناعة التراجم.

[1]- الكتابة كشكل من أشكال الجهاد، محمد بن شريفة (يوم دراسي لتكريم أبي بكر القادري، إعداد نجاة المريني، ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1994): 85-91 .

فهرس المصادر والمراجع

- **أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، محمد ابن شريفة، ط1 (بيروت، دار الغرب الاسلامي 1986).**
- **أبو الحجاج يوسف بن غَمْر، مؤرخ دولة يعقوب المنصور: تعريف وتصحيح وتصحيف، محمد بن شريفة، مجلة أكاديمية المملكة المغربية، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية، ع10، 1993م): 83-107.**
- **أبو العباس الجراوي في سياق المنافرة بين العدوتين، محمد بنشريفة: في ندوة: أبي العباس الجراوي" أيام 5-6-7 أبريل 1994م بكلية الآداب جامعة القاضي عياض ببني ملال ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1995م): 41-52.**
- **أبو مروان الباجي الإشبيلي ورحلته إلى المشرق، الدكتور محمد بن شريفة (كتاب دعوة الحق، ع 5، 1999 (المحمدية، مطبعة فضالة، 2000)).**
- **أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي: حياته وآثاره، محمد بن شريفة، تصدير محمد الفاسي (الرباط، مطبوعات الرسالة،1966م).**
- إحسان عباس والنقد الأدبي، محي الدين صبيحي (دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1983م).
- **أديب الأندلس أبو بحر التجبيبي: عمر قصير وعطاء غزير، محمد بن شريفة، ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1999م).**
- إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين، محمد بن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج، تقديم عبد الله كنون، ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1992م).

- الأزجال الأندلسية بين العميدين محمد بنشريفة وإميليو غارثيا غوميت (قراءة في الحصيلة والرؤى)، محمد العمارتي، ط1 (مكتبة سلمى الثقافية، مطبعة الخليج العربي، 2017م).
- أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، وهو كتاب "نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان، للأمير أبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر الغرناطي، حققه وقدم له محمد رضوان الداية، ط3 (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1987م).
- الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، العباس بن إبراهيم السملالي، راجعه عبد الوهاب بنمنصور، ط2 (الرباط، المطبعة الملكية، 1993م، ج1).
- أمثال العوام في الأندلس، أبو يحي عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله الزجالي القرطبي، دراسة محمد بن شريفة (فاس، مطبعة محمد الخامس، 1975م).
- الأمير المرابطي ميمون بن ياسين (ت530هـ): حياته وحجه، محمد بنشريفة (كتاب دعوة الحق، ع10، 2002م (المحمدية، مطبعة فضالة، 2002م).
- أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي، حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسي (فاس، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، 1968).
- أول تأليف مغربي في المنطق: "أسهل الطرق إلى فهم المنطق" لأبي علي الحسن بن حسُّون الماجري، محمد بنشريفة (مجلة المناظرة، ع 2 دجنبر 1989م): 27- 56.
- البحث الأدبي، طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره، شوقي ضيف (القاهرة، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية، 1972).
- البسطي آخر شعراء الأندلس، محمد ابن شريفة، ط1 (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1985م).
- ابن بيَّاع لا ابن زنباع، محمد بنشريفة (مجلة المناهل، عدد 22 يناير 1982م: (529-543).

- **بنو زهر: نظرات في تاريخ أسرة أندلسية، محمد بنشريفة (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، سلسلة الدروس الافتتاحي، الدرس السابع 1990- 1991م).**
- تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، محمود المقداد (كتاب عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ع167، نونبر 1992م).
- التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين، عبد الله بن العباس الجراري، ط1 (الرباط، منشورات النادي الجراري، مكتبة المعارف، 1985م).
- **ابن تاويت والتراث الخلدوني، محمد بنشريفة في "الكتاب التذكاري عن فقيد العلم والتراث محمد بن تاويت الطنجي: أعمال اليومين الدراسيين اللذين نظمتهما جمعية مكتبة عبد الله كنون، ومجلة "مواسم" للثقافة والإبداع بطنجة في رحاب مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بتاريخ 16-17 ماي 1997م (طنجة، منشورات مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، ماي، 1997م): 89-97.**
- تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون، ط4 (القاهرة، مكتبة الخانجي، 1977م).
- تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، تقديم وتحقيق محمادي بن عبد السلام الخياطي، تصدير محمد بن شريفة، ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1997م).
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت544هـ)، عارضه بأصوله وعلق حواشيه وقدم له محمد بن تاويت الطنجي (الرباط، مطبوعات وزراة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1965م، ج1).
- الترجمة في الغرب الإسلامي، فنها ووظيفتها في حفظ التراث وتحقيقه، أحمد حدادي، في ندوة" تحقيق التراث المغربي الأندلسي حصيلة وآفاق تكريما للأستاذ محمد بن شريفة (منشورات كلية الآداب وجدة رقم16، سلسلة ندوات ومناظرات 4، طبعة 1، 1997): 141- 166.

- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، عبد الرحمن بن خلدون، عارضه بأصوله وعلق حواشيه محمد بن تاويت الطنجي (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1951م).
- **التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، أبو المطرف أحمد بن عميرة، تقديم وتحقيق محمد ابن شريفة، ط1 (الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1991م).**
- التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات تأليف أبي المطرف أحمد بن عميرة، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بنشريفة، عرض وتعليق إدريس العلوي البلغيتي (مجلة البحث العلمي، ع41، س26، 1992م): 245-250.
- جدوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، أبو محمد الأزدي الحميدي الأندلسي (ت488هـ)، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، ط1(بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م).
- جهود الأستاذ العلامة محمد بن شريفة في خدمة اللغة العربية بالمغرب، محمد قرقزان (ندوة تحقيق التراث المغربي الأندلسي، حصيلة وآفاق، تكريما للأستاذ محمد بن شريفة (منشورات كلية الآداب، وجدة رقم 16، سلسلة ندوات ومناظرات 4، طبعة 1، 1997).
- جهود المستشرقين الفرنسيين في نشر التراث المغربي، محمد قاسمي: في ندوة "تحقيق التراث المغربي الاندلسي حصيلة وآفاق" تكريما للأستاذ محمد بن شريفة (منشورات كلية الآداب وجدة رقم16، سلسلة ندوات ومناظرات 4، طبعة 1، 1997): 277-311.
- **ابن حريق البلنسي، حياته وآثاره، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة، ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1996م).**
- **حول مؤرخ أندلسي مجهول، محمد ابن شريفة (مجلة الأكاديمية، ع2، فبراير 1985م): 101-122.**
- حوار مع العلامة محمد بن شريفة في منزله بالرباط يوم الخميس 06 يوليوز 2017م (من الساعة 17 إلى 19 مساء).

- حوار أجراه البرنامج التلفزيوني "أقواس" مع العلامة محمد بن شريفة مساء يوم الإثنين 3 دجنبر 2001م).
- **ابن خُمَيْر السبتي وآثاره، محمد بنشريفة، مجلة دار الحديث الحسنية الرباط ع 10، 1992م):3-34.**
- الدراسة الأدبية في المغرب، الأستاذ عبد الله كنون نموذجا، أحمد الشايب، ط1 (طنجة، منشورات مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، جامعة عبد الملك السعدي، 1991م).
- جهود الدكتور محمد بنشريفة في خدمة التراث النقدي الأندلسي، علي لغزيوي: في ندوة تحقيق التراث المغربي الأندلسي حصيلة وآفاق، تكريما للأستاذ محمد بن شريفة (منشورات كلية الآداب وجدة رقم 16، سلسلة ندوات ومناظرات4، طبعة 1، 1997): 385-398.
- الدكتور محمد بن شريفة وفن التراجم، عباس ارحيلة (ندوة: المدرسة المغربية في كتابة التراجم، محمد بن عبد الملك المراكشي أنموذجا، مع تكريم العلامة الدكتور محمد بن شريفة، تنظيم المجلس العلمي المحلي لمراكش يومي 27- 28 أبريل 2013م بكلية اللغة العربية بمراكش) (قيد الطبع).
- ديوان الأمير أبي الربيع سليمان الموحد، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ومحمد ابن العباس القباج وسعيد أعراب ومحمد بن تاويت التطواني، تحت إشراف معهد مولاي الحسن للبحوث المغربية، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس (تطوان، المطبعة المهدية، (د.ت)).
- **ديوان ابن فركون، تقديم وتعليق محمد بنشريفة، ط1 (الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1987م).**
- **ديوان ابي فراس الحمداني "حسب الرواية المغربية"، إعداد محمد بن شريفة (الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000م).**
- ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني، صنعه وحققه وقدم له محمد مفتاح، ط1 (البيضاء، دار الثقافة والنشر والتوزيع، 1989م).

- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، حققه وقدم له ووضع فهارسه عبد الله كنون (تطوان، معهد مولاي الحسن، 1958م).
- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، تحقيق محمد بنشريفة، س1 (بيروت، دار الثقافة، (د.ت) في قسمين).**
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، حققه عن نسخة الاسكوريال إحسان عباس، بقية السفر4 (بيروت، دار الثقافة، 1964م).
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، تحقيق إحسان عباس، السفر 5 (بيروت، دار الثقافة، 1965م).
- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بنشريفة، س8 (الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1984م (في قسمين)).**
- رايات المبرزين وغايات المميزين، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، حققه وعلق عليه رضوان الداية، ط1 (دمشق طلاس للدراسات والترجمة، 1987).
- رسائل ابن أبي الخصال، الكاتب الفقيه أبو عبد الله بن أبي الخصال الغافقي الأندلسي، تحقيق محمد رضوان الداية، ط 1 (دمشق، دار الفكر، 1987م).
- **ابن رشد الحفيد: سيرة وثائقية، محمد بن شريفة، في يوم دراسي حول "كتابة السيرة في الفلسفة: علاقة الفلسفة بالعلوم" يوم 26/ 05/ 2003 بكلية الآداب جامعة القاضي عياض بمراكش.**
- روضة التعريف بالحب الشريف، ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، عارضه بأصوله وعلق حواشيه وقدم له محمد الكتاني، ط1 (بيروت، دار الثقافة، 1970م).

- **شرح ديوان ابي فراس الحمداني لابن خالويه "حسب الرواية التونسية"، إعداد محمد بن شريفة (الكويت، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000م).**
- **شرح المختار من شعر أبي الطيب المتنبي، لابن عبد ربه الحفيد (ت602هـ)، النصف الثاني، قام بإخراجه والتقديم له الدكتور محمد بنشريفة، ط1 (مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 2011م).**
- **شروح أندلسية غير معروفة لـ "سقط الزند"، قام بإخراجها والتقديم لها الدكتور محمد بنشريفة، ط1 (مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء،2011م).**
- شوقي ضيف سيرة وتحية، إشراف وتقديم طه وادي (القاهرة، دار المعارف، 1992م).
- طريقة محمد بن شريفة في تحقيق التراث ودراسته، عز الدين عمر موسى (مجلة العرب، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ج 1-2، نوفمبر- ديسمبر، 1998م): 31-40.
- **طه حسين والتراث الثقافي الأندلسي المغربي، محمد بنشريفة (ملحق العلم الثقافي، الرباط، ع789، س21، السبت 17 نونبر 1990م).**
- **ابن عبد ربه الحفيد: فصول من سيرة منسية محمد بن شريفة، ط1 (بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1992).**
- **ابن عبد ربه الحفيد، هل هو مؤلف كتاب الاستبصار، محمد بن شريفة (مجلة الأكاديمية ع 7، دجنبر، 1990): 75-107.**
- علم التاريخ عند المسلمين، فرانز روزنتال، ترجمة صلاح أحمد العلي (بغداد، مكتبة المثنى، 1963م).
- الفقيه الكانوني ومؤلفاته، محمد بنشريفة (أعمال الملتقى الفكري الأول لمدينة آسفي، آسفي: دراسات تاريخية وحضارية، 23-25 يونيو1988م (الرباط، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، 1989م).

- **قضية دخول كتب الغزالي إلى الغرب الإسلامي مدخل عام مع التمثيل بعمل الأمير ميمون بن ياسين، محمد بن شريفة (في يوم دراسي: أشكال تلقي مؤلفات الغزالي في الغرب الإسلامي، الجمعة 17 ماي 2002، تنظيم مركز تاريخ العلوم والفلسفات العربية والوسطية بباريس وشعبة الفلسفة، مراكش).**
- **كتابة التراجم في الغرب الإسلامي: بواعثها وأنماطها، محمد بن شريفة في "الدرس الافتتاحي الرابع" بكلية الآداب جامعة القاضي عياض بمراكش، أكتوبر 2002م، ط1 (مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2003م).**
- **الكتابة كشكل من أشكال الجهاد، محمد بن شريفة (كتاب أبو بكر القادري: دراسات وشهادات، في يوم دراسي لتكريم أبي بكر القادري، إعداد نجاة المريني، ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1994 م): 85-91.**
- **كتابة السيرة الوثائقة، محمد بن شريفة: في يوم دراسي حول "كتابة السيرة في الفلسفة"، الإثنين 26 ماي 2003م بكلية الآداب، جامعة القاضي عياض بمراكش.**
- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط3 (بيروت ، عالم الكتب 1983م ج1).
- كلمة الأستاذ محمود علي مكي، ضمن ندوة "تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق" تكريما للأستاذ محمد بن شريفة (منشورات كلية الآداب، وجدة رقم 16، سلسلة ندوات ومناظرات4، طبعة 1، 1997).
- كلمة الدكتور محمد الكتاني، ضمن ندوة "تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق" تكريما للأستاذ محمد بن شريفة (منشورات كلية الآداب وجدة رقم16، سلسلة ندوات ومناظرات4، طبعة 1، 1997)(ص 45-47).
- كلمة السيد عباس الجراري (ندوة تحقيق التراث المغربي الاندلسي: حصيلة وأفاق (تكريما للأستاذ محمد بن شريفة، منشورات كلية الآداب والعلوم

الإنسانية بوجدة، رقم16، سلسلة ندوات ومناظرات رقم4، ط1، 1997) (23 – 27).

- كلمة عميد كلية الآداب جامعة عبد الملك السعدي بتطوان في افتتاح الملتقى الأول للدراسات المغربية الأندلسية: في "ندوة ابن الخطيب (مجلة كلية الآداب، تطوان، ع2 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة 1987م).

- **كيف ظهر ضريح القاضي عياض، محمد بنشريفة: في" أعمال ندوة جامعة القاضي عياض حصيلة تسعة قرون من ثقافة أصيلة ومتميزة" (مجلة كلية الآداب بمراكش، ع6، 1990): (29–41).**

- **ابن لبال الشريشي (ت 582هـ)، محمد بن شريفة، ط1 (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1996م).**

- **الماجريون، أبو محمد صالح المناقب والتاريخ، محمد بن شريفة (في "أعمال الملتقى الفكري الثاني لمدينة آسفي"، المجلس البلدي لمدينة آسفي بتعاون مع كلية الآداب، جامعة محمد الخامس بالرباط، الرباط، النشر العربي الإفريقي، 1990م): 31–45.**

- محمد بن تاويت الطنجي نموذج متميز في تحقيق التراث، محمد الكتاني: في الكتاب التذكاري عن فقيد العلم والتراث محمد بن تاويت الطنجي: أعمال اليومين الدراسيين اللذين نظمتهما جمعية مكتبة عبد الله كنون، ومجلة "مواسم" للثقافة والإبداع بطنجة في رحاب مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بتاريخ 16–17 ماي 1997م (طنجة، منشورات مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، 1997م): 73– 76.

- محمد بن شريفة: أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، مندوب صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، 1965–1966م، المجلد 13 (الرباط، منشورات المركز الجامعي العلمي، جامعة محمد الخامس، 1966): 216–221.

- محمد ابن شريفة: سيرة وبيبليوغرافيا، إعداد عبد العزيز الساوري، تقديم مصطفى الغديري، (وجدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية رقم11، سلسلة ندوات ومناظرات رقم4، جامعة محمد الأول، 1995).

- محمد بن شريفة وتحقيق التراث ودراسته، عز الدين عمر موسى (مجلة العرب، ج1- 2 ديسمبر 1998 (الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1998م): (31- 40).
- **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، القاضي عياض وولده محمد، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة، ط1 (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990م).**
- **مظهر النور، جمع أبي الحسين ابن فركون، إعداد محمد ابن شريفة (البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1991).**
- **ابن مغاور الشاطبي: حياته وآثاره، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة، ط1 (الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1994).**
- المغرب في حلى المغرب، علي بن موسى بن سعيد، حققه وعلق عليه شوقي ضيف، ط3 (القاهرة، دار المعارف، 1978، القسم الأندلسي).
- المفيد في تراجم الشعراء والأدباء والمفكرين، عبد الرحيم الكتاني وعبد العزيز بغداد، ط2 (بيروت، دار الثقافة، 1992م).
- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، الإمام المحدث الحافظ أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمان الشهرزوري المعروف بابن الصلاح (ت642هـ) (بيروت، دار الكتب العلمية، 1978).
- **ملعبة الكفيف الزرهوني، تقديم وتعليق وتحقيق محمد بن شريفة (الرباط، المطبعة الملكية، 1987م).**
- **من أعلام التصوف بالأندلس في القرن السابع: ابن عبيد يس النفزي، محمد بنشريفة (دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية، مهداة للأستاذ محمد المنوني، ط 1، دار توبقال للنشر، مطبعة فضالة، المحمدية، 1986م: 223-240.**
- المنتخب من شعر ابن زاكور، عمل عبد الله كنون الحسني (القاهرة، دار المعارف، 1966).

- **من منافرات العدوتين "نص جديد": طرفة الظريف في أهل الجزيرة وطريف لأبي فارس عبد العزيز الملزوزي المعروف بعزوز تقديم وتحقيق محمد بن شريفة (مجلة كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، ع1، يناير 1977م).**
- منهج البحث الأدبي، علي جواد الطاهر، ط3 (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979).
- منهج البحث وتحقيق النصوص، يحي وهيب الجبوري، ط1 (بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1993م).
- موسوعة "المجمعيون في خمسة وسبعين عاما" (مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، 2007):711- 713.
- النبوغ المغربي"، محمد عزيز لحبابي، (العلم الثقافي، ع 860، س 17، السبت 30 يناير، 1988م).
- نخبة من أساتذة الأدب والفلسفة: دراسات في الفن والفلسفة والفكر القومي في شرف المغفور له عبد العزيز الأهواني، ط1 (القاهرة، دار القاهرة للنشر، 1983م).
- نقد كتاب التنبيهات لابن عميرة، دراسة تحليلية تكشف أخطاء المؤلف في مآخذه على (تبيان) ابن الزملكاني، نزيه عبد الحميد السيد فرج (القاهرة، دار الفتح للإعلام العربي، 1996م).
- هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه محب الدين الخطيب (المدينة المنورة، المكتبة السلفية، (د.ت)).
- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت681هـ) حققه إحسان عباس (بيروت، دار الثقافة، (د.ت)، م1).

فهرس الموضوعات

إهداء 5

مقدمة 7

الفصل الأول:

بناء الأسماء والألقاب والأنساب والأسر

تمهيد 17

1- بناء الأسماء والألقاب والأنساب 20

1-1- أبو يَحْيَ عبيد الله الزَّجَّالي (617هـ - 694هـ) 21

1-2- أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد المَلْزُوزِي المكناسي المعروف بعزوز (؟ - 697هـ) 24

1-3- أبو عبد الله محمد بن عبد الأنصاري الأوسي الملك المراكشي (634هـ - 703هـ) 26

1-4- أبو الحسَيْن بن أحمد بن سُلَيْمان بن أحمد بن محمد ابن أحمد بن ابراهيم بن هشام القرشي المعروف بابن فُرْكون (781هـ- ؟) 28

1-5- البسطي آخر شعراء الأندلس 29

1-6- عبد الله الكفيف الزرهوني (؟،؟) 30

1-7- أبو علي بن حسُّون الماجري الكفيف (؟- 668هـ) 31

1-8- أبو المُطَرِّف أحمد بن عبد الله بن محمد الحسني بن أحمد ابن عَمِيرَة الـمَخْزومي (582هـ - 658هـ) 32
1- 9- أبو الحسن علي بن أحمد بن علي المعروف بابن لُبَّال الشريشي (508هـ-582هـ) 33
1-10 - أبو الحسن عَلِيّ بن حَريق البَلَنْسي (؟-؟) 35
1-11- أبو الحجاج يوسف بن غَمْر: مؤرخ دولة يعقوب المنصور 36
1-12- حول مؤرخ أندلسي مجهول 36
1-13- ابن خُمَيْر السبتي 37
2- النشـأة: 39
2-1- بناء تاريخ الولادة 40
(ابن عبد الملك المراكشي - أبو الحسين ابن فركون - أبو المطَرف أحمد ابن عَميرة- الكفيف الماجري - البسطي آخر شعراء الأندلس - ابن عبد ربه الحفيد ..)
2-2- بناء الأسر 47
(أسرة أبي يحي الزجالي:- أسرة ابن عبد المالك المراكشي - أسرة الكَفيف الزَّرهوني - أسرة أبي الحُسَيْن ابن فُرْكُون- أسرة أبي المُطَرِّف أحمد بن عَمِيرة - أسرة ابن لُبَّال الشّريشي - أسرة ابن حَريق البلنسي - بنو زهر: نظرات في تاريخ أسرة أندلسية..)
2- 3- بناء تاريخ الوفـاة 55
(أبو يَحي الزَّجالي - ابن عبد الملك المراكشي - أبو الحُسَيْن ابن فُرْكون - الكفيف الماجري - البسطي آخر شعراء الأندلس - أبو المطرف أحمد بن عميرة - ميمون بن ياسين (ت 530هـ))...
3- إستنتاجات 61

الفصل الثاني:

بناء ثقافة العصر وثقافة المؤلِّف

تمهيد 65

1- ثقافة العصر 67

1-1- الحياة السياسية 68

(عصر أبي يحي الزجالي - عصر ابن عبد الملك المراكشي - عصر ابن فركون- عصر البسطي- عصر ابن عبد ربه الحفيد - عصر ابن مغاور الشاطبي - عصر الكفيف الزرهوني - عصر ابن حريق البلنسي - عصر أبي المطرف أحمد بن عميرة..).

1-2- الحياة الفكرية والأدبية 81

1-2-1- التراث الفقهي 82

1-2-2- رفع الحجاب عن واقع الحياة الأدبية لعصر المؤلفين 83

1-2-3- صلة المؤلِف بمعاصريه 87

1-2-4- مشروع العلامة محمد بنشريفة في بناء الصلات الثقافية 88

2- ثقافة المؤلف 92

2 -1 - التكوين والتحصيل 94

(أبو يحي الزجالي - ابن عبد الملك المراكشي - ابن عميرة – القاضي عياض- ابن حريق البلنسي - ابن مغاور الشاطبي - الكفيف الماجري..)

2- 2- المشيخة..... 103

(ابن عبد الملك المراكشي- أبو يحي الزجالي - ابن مغاور الشاطبي الكفيف الزرهوني ابن حسون الماجري..)

2-3- بين رضوان الداية ومحمد بنشريفة (ابن خمير السبتي) 108
3- اِستنتاجات 112

الفصل الثالث:

بناء حياة التوظيف وحياة التأليف وحياة نشر العلم.

تمهيد 115
1- حياة التوظيف 116
(الزجالي - ابن عبد الملك المراكشي - ابن فركون - الكفيف الزرهوني
-ابن عميرة - ابن مغاور الشاطبي - ابن لبال الشريشي - ابن حريق البلنسي..)
2- حياة التأليف 127
(ابن عبد الملك المراكشي - ابن عميرة - ابن فركون - ابن حريق البلنسي
- ابن مغاور الشاطبي - ابن عبد ربه الحفيد - أديب الأندلس أبو بحر التجيبي
- أبو مروان الباجي - ابن عبيد يس النفزي).
3- حياة المشيخة ونشر العلم 141
(ابن عبد الملك المراكشي - الكفيف الماجري...)
4- اِستنتاجات 144
خـاتمة 147
فهرس المصادر والمراجع 153

إن اهتمام العلامة محمد بنشريفة بفن صناعة التراجم، واختيار النمط الصعب منها، يعود إلى إحساسه بضرورة كشف الحجب المستورة عن الأعلام المغمورة، إظهارا لعظمتهم ودحضا للدعاوى الموجهة إليهم، معتبرا كل ترجمة وثيقة حية أشبه بزاوية من زوايا العصر، وهذا علم خاصة أهل العلم من أولي النباهة.

يقول: "وأشهد أني أشعر بسعادة كلما أنجزت عملا من هذا القبيل، هكذا شعرت عندما حررت ترجمة أبي المُطرّف ابن عميرة... ثم فيما تلا ذلك من تعريفي بالبسْطِي والحُكيم والثّغْري والكَفيف الزَّرْهوني والكانِمي... ابن عبد ربه...".

مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال
483/4 الوحدة 4 الداوديات - مراكش - المغرب - 05 24 30 73 59